

مجلة الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
المملكة العربية السعودية
المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات
يا أيها الذين آمنوا
إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون
العدد
٥٤
السنة
١٤
ربيع الثاني جمادى الأولى جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام


بسم الله الرحمن الرحيم

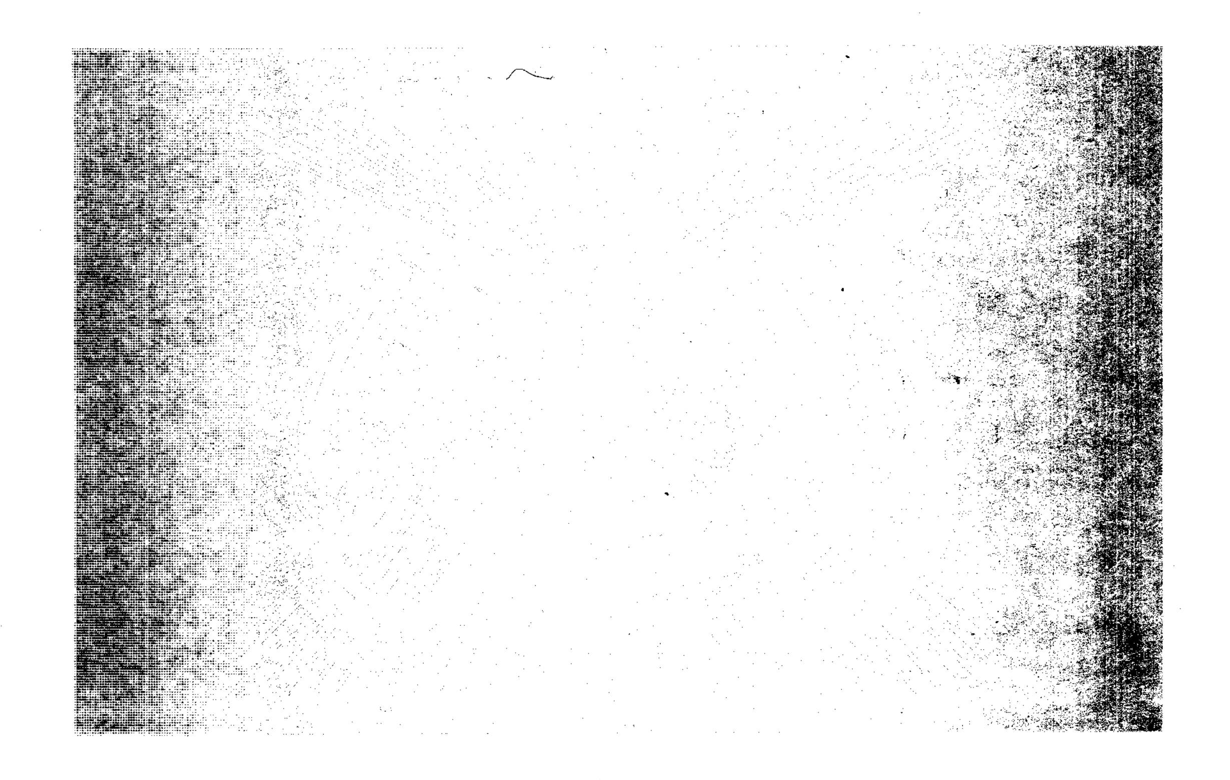




قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ
وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ
فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي
ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ
ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ
أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ سورة المائدة





عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

« كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ
وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ »

« أَخْرَجَهُ ٱلْإِمَامُ مُسْلِم »





قِيلَ لِأَعْرابي: لِمَ لَا تَشْرَبُ النَّبِيذَ؟
قَالَ: لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي.

وقال أحد الشعراء:

تَرَكْتُ النَّبِيذَ وَشُرَّابَهُ
وَصِرْتُ صَدِيقًا لِمَنْ عَابَهُ
شَرَابٌ يُضِلُّ سَبِيلَ الرَّشَادِ
وَيَفْتَحُ لِلشَّرِّ أَبْوَابَهُ



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه .

أما بعد ، فإن الخير والشر ضدان لا يجتمعان ، والخير حق والشر باطل ، وهما في الضدية في صراع لا يهدأ ، وتصير الغلبة لأحدهما على الآخر دواليك ، وإنما تحصل هذه الغلبة على أيدى البشر أنفسهم لكن الحق يمتاز بالغلبة على الباطل بأن الله تبارك وتعالى يكون مع أهله ما صدقوا معه ، فلا يخضع النصر للقوة المادية بالمقاييس البشرية ، بخلاف الباطل فإنه لابد لتفوقه من أمرين : القوة المادية الكاسحة وغفلة أهل الحق عن الأخذ بما أمر به الله من الأسباب الإيمانية والقوة المادية التى أمر الله عباده أن يهيئوا لأعدائهم بالإعداد لهم بحسب الاستطاعة .

وبهذه المقدمة يتبين أن واقع المسلمين اليوم مع أعدائهم إنما هو محصلة لهذين السببين .

وما حصل من خلل في بنية المجتمع البشرى إنما المسئول عنه غيبة الإسلام عن حكم واقعه .

إن الإسلام لا يقر الظلم بجميع صوره وأشكاله يمارس ضد أحد ، فالظلم حرام سواء كان ذلك بطريق مباشر أو بغير طريق مباشر ، ومن أجل ذلك تأسست الحدود الشرعية لمنع الظلم وكبح جماح الظالمين الذين يزاولون الظلم ضد أمن البشرية في دينها وفي كيانها وفي عقولها وفي كل ما يتصل بحياتها .

ومن ذلك ان الله تبارك وتعالى حرم الخمر تحريماً قاطعاً بحيث لا يقرب الإنسان حماها ، لانها فضلا عن إصابتها العقل ـ مناط الإدراك في الإنسان ـ بالشلل بحيث يعيش منقاداً لغيره عديم الإرادة كالحيوان ، فإنها توقع العداوة والبغضاء بين الذين سقطوا في

تعاطيها ، وتصدهم عن الله صداً كبيراً ، يقول جل ذكره (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاءفي الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ؟) ٠

وبينت السنة النبوية المطهرة العقوبة الواجبة التى يستحقها من يشرب الخمر حماية لعقول الأمة وتجنيباً للعلل والأسقام عن الفتك بصحة أجسامها وأخلاقها بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن كل من ساهم في إبراز الخمر الى حيز الوجود وإعدادها لتكون في متناول الشاربين ، فلعن عاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها ٠ ومعنى هذا أن كل من يسهم بنصيب في تيسير أمر تعاطيها تنسحب عليه لعنة الله التي تتضمن طرده من رحمته ٠

وإن أخطر من ينالهم شرر هذه الخمر المتوهج ، إنما هو الشباب الذى تعلق عليه الأمة عريض آمالها ، وتعهد إليه فيما بعد بجسام مسئولياتها ، إذ لو أن الخمر ملكت عليه نفسه ، وأسرت لبّه ، وتمكنت من قلبه ، لأفسدت عليه حياته ، وقوضت أركانه ، ومن ثم ضاعت ما كانت الأمة تؤمله فيه من خير ٠

ويلحق بالخمر في حكمها وآثارها الخطيرة كافة المخدرات والمفترات ومشتقاتهما من بيرة ، وحشيش ، وأفيون ، وكوكايين ، وقات ، وما شاكل ذلك بأى اسم ، وبأى لون ، مما يعد من أكبر المعاول في تدمير صرح الأمة ، والقضاء على كيانها ٠

والله تبارك وتعالى حين كلف المكلفين خاطب فيهم العقل الواعى ، فاذا أهلك هذا العقل فبأى شىء يعي الإنسان ويعقل عن الله ؟ ألا إنه يصير في تلك الحال كالحيوان بل أدنى (أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) ٠

ويجب أن يعلم أن إقامة الحد واجب الدولة الإسلامية ٠ ولا ريب أنه يجب على العلماء والمفكرين بيان شرع الله في الحل والحرمة المتعلقين بحياة الناس مما تكفل كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بإيضاح أحكامهما وإن مؤتمر مكافحة المخدرات والمسكرات الذى تقيمه الجامعة الإسلامية في ٢٧ / ٥ / ١٤٠٢ هـ إن شاء الله بالتعاون مع مقام وزارة الداخلية إنما هو تكريس لأفكار العلماء والباحثين المسلمين وغيرهم في بيان حكم الله في هذه الجرثومة الضارة للعقل والبدن واقتصاد الأمة وأخلاقها ، والكشف عن هذا الخطر الداهم الذى يجعل من أفراد الأمة دمى لا روح فيها ولا حياة ، فيسهل حينئذ على أعداء الله من اليهود والنصارى والملاحدة وأعوانهم أن يملكوهم ويلتهموا ثرواتهم ، ويسخروهم كالآلات في خدماتهم ، ويشكلوهم أشكالا منوعة حسبما يريدون ، مع الاستفادة بالاستشهاد بما توصل

إليه إنسان هذا القرن بما هيأ الله له من وسائل التقنية (والتكنولوجيا) في تقرير حقائق هذه المسكرات والمخدرات ، عسى أن يكون في ذلك مساهمة نافعة يفيء بها الإنسان المنهمك في تناول هذه الأوبئة إلى رشده ويعرف موضع الخطر ، ويدرك عمق الهاوية التى يتردى فيها من ينزلق إلى حمأة هذه الرذيلة . فلعله أن يرعوى ، ويقلع عن مقارفة هذه الجريمة التى تنطلق منها الجرائم جميعا .

وإذا كانت الجامعة الإسلامية تقيم هذا المؤتمر فإنها إنما تؤدى واجباً هو من طبيعة وظيفتها في الدعوة والتبصير ، فقد حدد نظامها الأساسى أنها مؤسسة علمية ودعوية كذلك وأن عليها أن تتخذ كافة الوسائل الممكنة لتحقيق هذا الهدف على هدى من الكتاب والسنة ،وهى في ذلك تأتسى بالداعى الأول ، إمام الهدى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى أمره ربه أن يعلن على العالمين منهج دعوته بقوله (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى)

بيد أنها بما تشتمل عليه من قدرة بشرية وإمكانات معنوية ومادية مؤهلة للقيام بهذا الواجب أصلًا ، الذى يعدّ من صميم ما نيط بها لتقوم به نحو العالم الإسلامى خاصة ، ونحو العالم بأسره عامة ، فرسالة رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إنما هى للناس جميعاً (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) ، وما كانت كذلك إلا رحمة لهم باستنقاذهم من وهدات الضلال (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

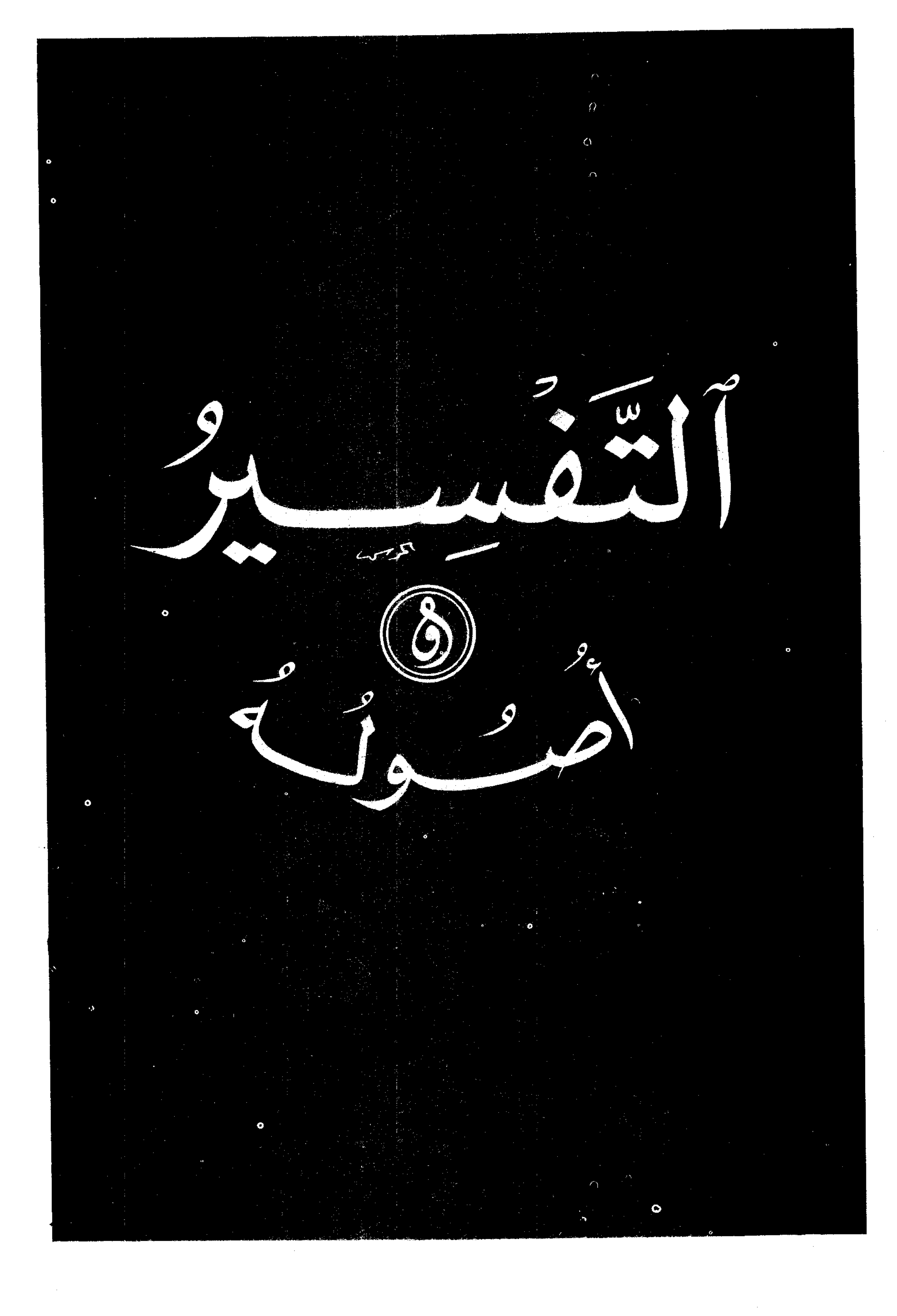
هذا وقد دعت الجامعة لحضور هذا المؤتمر الهام حشداً من العلماء والمفكرين في مختلف أنحاء العالم الإسلامى الذين نهلوا من علوم الشريعة ، وجمعوا من خبرات الحياة ما يمكنهم من الإسهام في التوجيه في هذا المؤتمر ، ليتوفر للبحث الذى يقوم عليه المؤتمر ما يجعله جديراً بالوفاء بكل مقومات البيان والإقناع بإذن الله عز وجل .

وإننى بهذه المناسبة لأتقدم بالشكر لله عز وجل ثم لقادة هذه المملكة المسلمة ،فقد توفر على أيديهم للمسلمين في كل مكان كل أسباب التمكين والنماء لجامعتهم الإسلامية ، ولانستطيع أن نفيهم حقهم كفاء ما قدموا للمسلمين في هذه الجامعة العتيدة سوى الدعاء بأن يديم الله على هذه البلاد عزها وأمنها في ظل عقيدة الإسلام وشريعته بقيادة جلالة الملك المعظم وصاحب السمو الملكى ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية حفظهما الله وأيدهما ونصر بهما الحق وأهله .

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه .

[illegible]


بحوث
إسلامية


التفسير
و
أصوله

فاجتنبوه لعلكم تفلحون

للشيخ أبي بكر الجزائري
الأستاذ بالدراسات العليا بالجامعة

يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون

(المائدة / ٩٠)

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد فقد قال العلماء : معرفة سبب نزول الآية يساعد على فهمها .

ومن هنا نورد لك أيها القارىء سبب نزول هذه الآية ليعينك على فهمها بإذن الله تعالى .

روى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه وغيرهم :
أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال :

فيَّ نزل تحريم الخمر . وذلك أن رجلا من الأنصار صنع طعاماً فدعانا فأتاه ناسٌ فأكلوا وشربوا حتى انتشوا (١) من الخمر ، وذلك قبل تحريم الخمر ، فتفاخروا ، فقالت الأنصار : الأنصار خير ، وقالت قريش : قريش خير ! فأهوى رجل بلَحْيِ (٢) جزور فضرب على أنفى ففزره (٣) فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، فنزلت هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ... الآية) .

---

(١) سكروا .
(٢) فك بعير .
(٣) شقة .

ولما كان فهم الآية الكريمة يتوقف على فهم كلماتها فإنا نشرح لك أيها القارىء الكلمات التى نرى شرحها ضرورياً لما فيها من خفاء لعدم استعمال الناس لها في مخاطباتهم اليوم وهى :

- **آمنـوا :** معناها : صدقوا جازمين بالله رباً وإلهاً حقاً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، وبالإسلام ملة وديناً ، وبلقاء الله تعالى وصادق وعده لأوليائه وأهل محبته ، ووعيده لأهل عداوته وبغضته ·
- **إنمـا :** هذا الحرف أداة قصر بمعنى أن المحرمات الأربعة التى اشتملت عليها الآية الكريمة وهى الخمرُ والميسر ، والأنصاب والأزلام مقصورة على الرجس فليس فيها خير ولا نفع ولا شيء آخر أبداً إلا الرجس فقط ·
- **الخمـر :** هذا اللفظ مأخوذ من التخمير الذى هو التغطية والستر ، ومنه خمار المرأة المسلمة التى تغطى به رأسها وتستر به محاسن وجهها قال تعالى : (وليضربن **بخمرهن** على جيوبهن ولا يبدين زينتهن) ·

وفي الحديث الشريف : خمّروا الإناء بالليل أى غطوه واستروه حتى لا يقع فيه ما يفسد ما فيه ، فسميت الخمر خمراً لأنها أولا تخمّر في إناء وتغطى حتى تشتد وتقذف بالزبد ، وثانيا تغطى شعور شاربها وتستر عقله حتى يصبح لا يعى ما يقول ولا يدرك عاقبة ما يفعل ، ولذلك حرمت ، وأصبح كل مسكر خمراً ، وكل خمر (١) حرام ، وما أسكر كثيره فقليله حرام ·

- **الميســر :** هذا اللفظ مشتق من اليسر والسهولة ؛ لأن المال المتحصل به يحصل بسهولة ويسر أى بدون تعب ولا حصول مشقة · ولا يبعد أن يكون مشتقا أيضا من اليسار الذى هو السعة والغنى · هذا وجه اشتقاق كلمة **الميسـر** ، أما حقيقته فهو كل أنواع القمار التى يحصل بها المال بلا كلفة ولا مشقة كلعبة الطاولة والنرد ، والشطرنج ، والكعاب ، والجوز ، والكيرم ، الورق ، والدمنو وما إلى ذلك من أنواع الألعاب غير ما أباح الرسول صلى الله عليه وسلم من الرماية والمناضلة ، والسباق ·
- **الأنصـاب :** جمع نَصَب بفتح النون والصاد ، أو نُصْب بضم النون وسكون الصاد : حجارة تُنصب للعبادة ، وكل علم أو تمثال ، أو صنم عبد من دون الله تعالى · وتحريمها يشمل عبادتها أو إيقاع العبادة عندها ، أو صنعها أو بيعها وشراءها · أو الرضا بها ·
- **الأزلام :** جمع زُلَم بضم الزاى وفتح اللام كصُرَد ـ طائر معروف ـ والزلم سَهمٌ لا ريش

---

(١) وفي الصحيح كل مسكر خمر وكل مسكر حرام رواه مسلم وأبو داود ، وفي رواية لمسلم : كل مسكر خمر وكل خمر حرام ·

عليه ولا نصل فيه · ويقال له قِدح وجمعه إقداح وأقداح وهو سهم الميسر ، كان العرب في الجاهلية يستقسمون بها أى يتعرفون بها إلى ما قسم لهم وقدر من خير أو شر وكيفية الاستقسام بها : أن يكتب على أحدها : أمرنى ، وعلى الثانى نهانى ، ويترك الثالث غفلًا أى ليس عليه علامة ، فإذا أراد أحدهم أن يسافر أو يتاجر أو يحرث أو يبنى أو يتزوج وهو لا يدرى الخير في أيها يدخل تلك القداح في خريطة ويحركها ويخرج واحداً منها فإن كان الذى عليه أمرنى فعل ما أقدم عليه ، وإن كان الذى عليه نهانى ترك ما عزم عليه من الأمور ، وإن خرج بعد تخليط القداح وتخليطها في الخريطة القدح الغفل أعاد تخليط القداح وتحريكها وأخرج واحداً منها ويعمل بمقتضاه ·

ولما جاء الإسلام رحمة الله للعالمين حرم الاستقسام بالأزلام ومثله خط الرمل ـ والحساب بالمسبحة ، وقرعة الأنبياء ، والشوف ، والنجوم ، والطيرة ، والعرافة ، والكهانة ·

وأعطى المسلمين أحسن بديل وهو الاستخارة ، وحقيقتها : إذا أراد المسلم أمراً كزواج أو طلاق أو تجارة أو حرث أو بناء أو بيع أو شراء أو سفر أو اقامة ولم يدر الخير في أيها صلى ركعتين (١) وسأل الله تعالى أن يختار له ما فيه خيره عاجلا أو آجلا ·

● **رجس :** أى مستقذر فالرجس هو ما استقذر من قول أو عمل أو اعتقاد ، والرجز العذاب مستقذرا كالأوبئة والركس : النجس مساً كالروث والعذرة ، والنَّجِس ـ فَعِلٌ كفرح ـ المتلوث بالنجاسات ويكون مساً كالجسم المتنجس لما خالطه من أنواع النجاسات ، ومعنى كأرواح المشركين والكافرين وأرواح الشياطين وهى أن الرجس في الآية التى نشرحها خبر ـ والخبر وصف في الحقيقة ـ عن الأربعة المحرمة وهى الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، إذ ما من واحد منها إلا وهو رجس مستقذر شرعا وعقلا وطبعا لعدم وجود أى نفع أو خير فيه فهو شر كله ولكن وصفه بالرجسية أبلغ في التنفير منه ·

● **من عمل الشيطان :** الشيطان : إبليس الذى أخرج آدم وزوجه من الجنة بوسوسته لهما وتغريره بهما حيث زين لهما الأكل من الشجرة المنهى عن الأكل منها فأكلا منها فأخرجهما مما كانا فيه · وهو مشتق من شطن الحبل من البئر إذا بعد ، وسمى إبليس شيطاناً لشدة بعده عن الخير والحق والفضيلة · وكان شرب الخمر ولعب القمار وعبادة الأصنام والاستقسام

---

(١) دعاء الاستخارة دعاء خاص كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يعلمه أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن . والدعاء يوجد في الصحاح والسنن وفي كتابنا منهاج المسلم وهو أيسر تخريجا ، فليطلب منه ·

بالأزلام من عمله ؛ لأنه زينه لفاعله ودفعه إليه وحمله عليه ليهلك به معه والعياذ بالله من الشيطان وشِرْكه وشَرَكِه (١) .

● **فاجتنبوه :** الفاء حرف عطف وتكون للسببية نحو نزل المطر فنبت العنب ، وهى هنا الفصيحة إذْ قد أفصحت عن جواب شرْط مقدر تقديره : إذا عرفتم أن هذه المذكورات الأربعة رجس من عمل الشيطان فاجتنبوها ، وذكر الضمير فاجتنبوه باعتبار : المذكور ، أو لفظ الرجس والكل صحيح ومعنى اجتنبوا : اتركوا ذلك المذكور جانبا لتبتعدوا عنه ولا تصلوا اليه ؛ لأن المرء اذا ترك الشيء جانبا لا يأتيه إذ قد أعرض عنه ونأى بجانبه ، أما إذا تركه أمامه فقد تراوده نفسه أن يقرب منه أو يتناوله بيده ، فلذا كان التعبير بالاجتناب أبلغ ، وهو كثير في القرآن .

● **لعلكم :** لعل حرف ترج غالباً وهى هنا كذلك أى اجتنبوا ذلك المذكور لكم رجاء أن تفلحوا .

● **تفلحـــون :** أى تفوزون . يقال أفلح المرء في عمله نجا من خسارة ما بذله فيه من جهد وظفر بما أراده منه من نفع ومصلحة . وعليه فالفلاح معناه الفوز ، والفوز : النجاة من المرهوب ، والظفر بالمرغوب المحبوب هذا في الدنيا ، أما في الآخرة فالفوز النجاة من النار ، ودخول الجنة .

قال تعالى : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) .

معنى الآيـــة الكريمـــة :

بعد أن عرفت أيها القارىء الكريم معانى كلمات الآية الكريمة المفردة فإليك معناها مركبة : نادى الله تعالى عباده المؤمنين بوصف الإيمان ليقبلوا عليه ويسمعوا عنه ما يقول **(يا أيها الذين آمنـوا ....)** ثم أخبرهم ناصحاً مبيناً أن الخمر وهى كل مسكر ، والميسر وهو كل لعب مُلْهٍ عن ذكر الله ، والأنصاب وهى كل ما صرف القلب عن الله تعالى ، والأزلام وهى كل تطلع إلى ما أخفاه الله عن عباده مما كتب لهم أو عليهم من خير أو شر ،

---

(١) وشركه الأولى من الشرك الذى هو عبادة غير الله ، وشركه الثانية من الشراك الحبائل التى توضع للصيد . وإبليس ينصب شركه وهو تزينه للشر والباطل ليصيد به ابن آدم فيرديه ويهلكه .

ضر أو نفع لحكمة استمرار الحياة واطرادها إلى نهايتها المحدودة لها **رجس** مستقذر يطلب العقلاء البعد عنه والبراءة منه لضرره وفساده وانعدام النفع منه والخير فيه ·

ثم أمرهم بعد أن بين لهم شر وفساد ما أخبرهم عنه من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام أمرهم مرتبا أمره على ما عرفهم من رجسية المذكور أمرهم باجتنابه وهو تركه والبعد عنه ، وعدم تحديث النفس بالقرب منه فضلا عن فعله ·

وعلل لهم الأمر بترجيتهم للفلاح وتأهلهم لخير الدنيا والآخرة ان هم امتثلوا أمره فتركوا ما أمرهم بتركه من هذه المذكورات الأربعة في الآية وهى الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ·

ما تضمنته الآية الكريمة من أحكام :

لقد تضمنت الآية الكريمة الأحكام التالية :

١ ـ نجاسة المذكورات الأربعة نجاسة معنوية إلا الخمر فقد تكون نجاستها حسية أيضا على خلاف في ذلك ·

٢ ـ تحريم الخمر صنعاً وبيعاً وشربا وإهداءً وحملا إذ لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر وبائعها وحاملها والمحمولة اليه ·

٣ ـ تحريم الميسر سواء كان بخطر كالقمار أو بدونه ، إذ لم يعلل لغريمه بالخطر وإنما علل بكونه رجس ، والرجس يجب تركه والبعد عنه ، والميسر كل لعب مُلْهٍ إلا ما أباح الشرع من السباق والمناضلة ·

٤ ـ تحريم الأنصاب وهى التماثيل صنعاً وبيعاً ، وتذكاراً وآثاراً ، وما ينصب للزعماء اليوم تقليدا للكفار من تماثيل لبعض الزعماء العرب والمسلمين كتمثال أتاتورك ، والأمير عبد القادر ، وسعد زغلول ، وبورقيبة ·

٥ ـ تحريم كل تطلع إلى الغيب وبأى واسطة من الوسائط إلا ما رخص الشارع فيه من الاستخارة ·

ما في الآية الكريمة من هداية :

لقد تضمنت هذه الآية الكريمة أنواعا من الهداية القرآنية : منها أن أهل الإيمان الصحيح هم الذين يتشرفون بخطاب الله تعالى ، ويسمون بالاستجابة له تعالى ، وينهضون بما يطلب إليْهم ربهم ويكلفهم به من أمر ونهى ؛ لاكتمال قوتهم بالإيمان وإرادتهم بالمعرفة .

ومنها أن المجتمع الإيمانى الذى أراد الله تعالى إيجاده في ظروف ختمت فيها الدنيا بالشر والفساد ، شاء تعالى أن يقيم دعائم الحضارة فيه والكمال الإنسانى على مبدأ العقيدة السليمة الصحيحة ، والطهر التام لظواهر الناس وبواطنهم ، فلذا كانت كلمة السر فيه : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله **(اعبـدوا الله واجتنبـوا الطاغوت)** .

ومنها أن أولياء الله الذين يعمر بهم الكون ، وتزدهر بهم الحياة ، وتتجلى بهم وفيهم الكمالات الإنسانية هم أهل الإيمان والتقوى ، ومن عداهم من أهل الكفر والفسق هم ظلمة الحياة وثقلها ، وفساد الأرض وخرابها ، ولولا كلمة الفصل لما كان لهم أن يعمروها دقائق بل ثوانى .

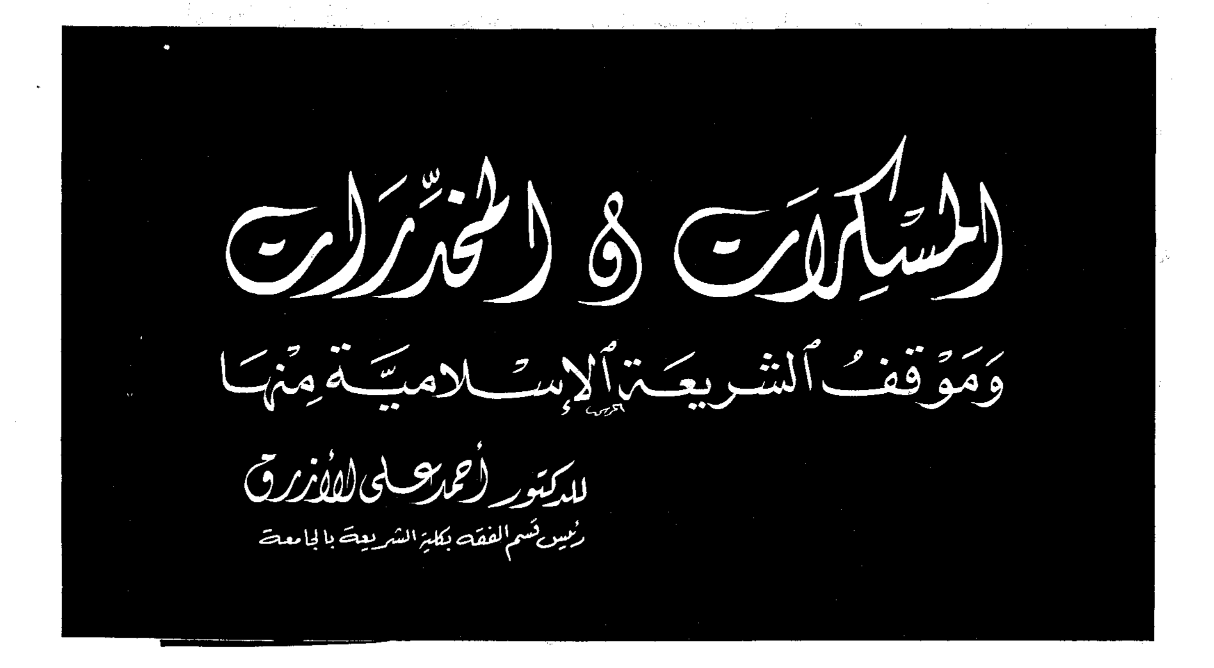
وأخيراً أيها القارىء الكريم وقد أطلت عليك ، وما كان لى أن أطيل لولا الحاجة الماسة إلى البيان والبلاغ . فاعلم أن المجتمع البشرى مؤمنه وكافره بره وفاجره قد سادته الشرور وانتظمته المفاسد ، وعمته الظلمات والمظالم ، وأصبح يقرب من هاوية سحيقة قد لا يخرج منها إذا وقع فيها إلى يوم القيامة .

وإن كان هناك حيلة لإنقاذه مما يتوقع له فهى الإسلام برافعته العظمى ، تلك الرافعة التى انتشلت أقواما ومجتمعات من الحضيض فوضعتهم في مستويات رفيعة ناطحوا بها الجوزاء علواً وسمواً ، وسادوا فيها الدنيا هداية وقيادة ، فسلام عليهم في الماضين ، وسلام عليهم في الحاضرين والآتين . أولئك رجال سلف هذه الأمة الطاهرة وصدرها الصالح .

هذه الرافعة هى **القرآن الكريم ،** قال تعالى **(ولو شئنا لرفعناه بها)** إنها آيات القرآن الكريم . فإذا قيض الله للبشرية رجلا قادها بالقرآن ، وساسها به وأصلحها عليه ، فقد نجت وسعدت ، وإلا فعلى الحياة العفاء ، وعلى الدنيا السلام .

الفقه وأصوله





نحمد الله سبحانه الذى أحل لعباده الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث .

ونصلى ونسلم على خير خلقه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسار على نهجه إلى يوم الدين ، وبعد .

فإن من مقاصد الشريعة الإسلامية جلب النفع ودفع الضرر .

فمن جلب المنافع إباحة جميع ما فى الأرض ، وتسخير كل القوى لخدمة الإنسان قال تعالى « هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعا » .

والقاعدة في ذلك عند فقهاء الإسلام أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتى الحظر .

أما دفع المضار فإن الإسلام قد شرع من الأحكام ما يهدف به إلى الحماية والمحافظة على ما يعرف بالضروريات لكل مجتمع من المجتمعات . وهذه الضروريات جاءت جميع الشرائع السماوية بحمايتها والمحافظة عليها ، لأنه لا حياة للناس بدونها . ولا استقرار ولا أمن ولا طمأنينة إلا بصونها عن عبث العابثين والضروريات هى : (١) الأديان (٢) الأنفس (٣) العقول (٤) الأنساب (٥) الأعراض (٦) الأموال .

أما الأديان فضرورة إجتماعية ، وليست هناك أمة بدون تدّين سواء كان دينها صحيحا أو فاسداً ، وللمحافظة على الدين فرض الإسلام القيام بالدعوة اليه · والدفاع عنه قال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (١) ·

وقال سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٢) ·

وللمحافظة على النفوس شرع الإسلام القصاص ، قال تعالى « ولكم في القصاص حياة » (٣) ·

وحرم الإعتداء على الأنفس بالإتلاف أو الإيذاء ·

وللمحافظة على الأنساب حرم الإسلام الزنا ووضع له العقوبة الرادعة جلداً أو رجماً ، قال تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (٤) وجاءت السنة برجم الزانى المحصن · (٥) ·

وللمحافظة على الأعراض حرم الإسلام القذف · وشرع لذلك عقوبة رادعة قال تعالى « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون » (٦) ·

وللمحافظة على الأموال نهى الإسلام عن أكل أموال الناس بالباطل وشرع لذلك حد السرقة · قال سبحانه « والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » ·

حفظ العقـــــل :

العقل نعمة من نعم الله الجليلة فهو الذى يميز به المرء بين الهدى والضلال ، والخير والشر ، والطيب والخبيث ·

والعقل هو مناط التكليف وبه فضل الله الإنسان على بقية أنواع الحيوان لذا حرصت الشريعة الإسلامية على تحريم كل ما يضر بالعقل ، فحرمت الخمر وكل مسكر ، ولم تكتف بجعل الجزاء أخرويا فحسب ، لأنه جزاء آجل وبعض النفوس لا يثنيها عن غيها ولا يردعها

---

(١) آل عمران الآية : ١٠٤ (٢) الانفال الآية : ٦٠ (٣) البقرة الآية : ١٧٩ ·

(٤) سورة النور الآية : ٢ (٥) أنظر جـ ٤ من سبل السلام للصنعانى ص ٤ - ٥ ط الحلبى (٦) سورة النور الآية : ٤

عن طغيانها آجل الجزاء بل يردعها التأديب الجسمانى العاجل فشرعت لذلك عقوبة على من يتناول المسكرات أو يسعى في إزالة عقل شخص بالضرب ونحوه ·

تحـــريم الخمـــر :

الخمر يقال لكل مسكر خامر العقل أى غطاه ، وقيل هو : اسم للمتخذ من ماء العنب أو للمتخذ من ماء العنب والتمر · ورجح غير واحد من أئمة اللغة كالجوهرى والدينورى أنه لكل شيء ستر العقل · (١)

وقد حرمت الشريعة الإسلامية الخمر وعاقبت على شربها منذ أربعة عشر قرنا وانفردت بتحريمها والعقاب عليها طيلة هذه المدة حتى جاء العالم في القرن العشرين يشهد للإسلام بأنه كان على الحق في موقفه من الخمر ، وذلك بعد أن أثبت العلم أن فيها من الأضرار ما لا يحصى فهى تفسد العقل ، والصحة وتؤدى الى ضياع المال والكرامة · (٢) ·

التدرج التشريعى في تحريم الخمر :

جاء الإسلام والعرب كانوا في إباحة واسعة يكرهون كل ما يقيد حريتهم أو يحد من شهواتهم ، وقد تمكنت من نفوسهم عادات كثيرة لا يستطيعون التحول عنها دفعة فاقتضت الحكمة الإلهية ألا يفاجؤوا بالأحكام جملة فتثقل بها كواهلهم وتنفر منها نفوسهم ، ولذلك وردت الأحكام التكليفية شيئا فشيئا ليكون السابق من الأحكام معداً للنفوس ومهيئاً لها لقبول اللاحق ، وبذلك تكون أوقع في النفس وأقرب للانقياد ·

من ذلك تحريم الخمر فإنها كانت متمكنة من نفوس العرب تمكناً اقتضت معه الحكمة الإلهية أن يتدرج القرآن في تشريع أحكامها · فلم يصرح لهم بتحريمها من أول الأمر بل قال في جواب عنها وعن الميسر « قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » (٣) ·

ولا يفهم طلب الكف عنهما من هذه الآية إلا من عرف سرَّ التشريع لأن ما كثر إثمه ينبغى تركه ،إذ لا يوجد في الأفعال شر محض فالعبرة في الحل والحرمة بغلبة جهة المصلحة أو المفسدة ·

---

(١) أنظر جـ ١ من المصباح المنير للفيومى ص ٢٤٨ ط بولاق السادسة و جـ ٨ من نيل الأوطار للشوكانى ص ١٧٦ ط مكتبةالدعوة ·
(٢) أنظر جـ ١ من التشريع الجنائى المقارن لعبد القادر عوده ص ٦٥٠ / ٥١ / ط دارالعروبة الثانية ·
(٣) سورة البقرة الاية : ٢١٩

وبعد أن أشار القرآن الكريم إلى أنه ينبغى تركها لغلبة إثمها نهى الناس عن الصلاة في حالة السكر قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (١) ·

ثم صرح بالنهى عنها نهيا عاماً مؤكداً فقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (٢) ·

والمتأمل في الآيات الكريمة التى نزلت في تحريم الخمر يرى أنه أشارت في إيجاز محكم إلى المفاسد الرئيسية للخمر ، فآية النساء التى منعت من اقتراب الصلاة في حالة السكر بينت علة المنع وهى ألا يعلم المصلى ما يقول وفي هذا إشارة إلى أن الخمر تخرج الإنسان عن وعيه ، وتفقده إدراكه · حتى يبلغ مرتبة الهذيان ، وفي ذلك امتهان للعقل الذى كرم الله به الإنسان · وفضله على سائر المخلوقات فالخمر مفسدة للفرد في عقله وآدميته ·

كما أوضحت آية المائدة التى جاء فيها التحريم النهائى للخمر ، سبب هذا التحريم وهو أن الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين المسلمين وتصرفهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، أى أنها مفسدة خلقية ،واجتماعية · ودينية ، وأقل ما تحدثه الخمر بالإنسان هوأنها تشيع في نفسه روح الاستهتار وعدم المبالاة بالقيم ، وأنها تبعد شاربها عن دينه وإيمانه ·

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن · ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن · (٣) ·

هذا وقد أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة مخاطر إدمان شرب الخمر على أجهزة الجسم المختلفة ، وأثبتت أيضا أن شرب الخمر قد يفضى الى الوفاة بالتسمم الكحولى وأن الإدمان يفضى إلى الجنون ، ولهذا نرى الأطباء يوصون المريض بعدم تناول المشروبات الكحولية وإلا عرض نفسه للخطر ، وكل هذه الأضرار التى في الخمر أصبحت الآن حقائق علمية مؤكدة تدرس لطلبة الطب في أنحاء العالم (٤) ·

---

(١) سورة النساء الاية : ٤٣ (٢) سورة المائدة الايتان : ٩٠ ـ ٩١ ·

(٣) انظر جـ ٢ من صحيح البخارى مع فتح البارى ص ٥٨ الطبعة السلفية ·

(٤) انظر كتاب في رحاب الطب النبوى للدكتور نجيب الكيلانى ص ٥٩ ط مؤسسة الرسالة بيروت ·

السـنة النبوية والخمـر :

جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة مؤكدة لتحريم الخمر ، وجاء فيها بيان الأنواع التى تصنع منها الخمر على ما كان معروفاً في بلاد العرب وبيان عقوبة شارب الخمر ، وبينت السنة أن الخمر ليست بدواء كما كان يظن بعض الناس وإنما هى داء ·

فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ·(١) ·

وعن عمر رضى الله عنه قال : نزل تحريم الخمر وهى من خمسة : من العنب ، والتمر والعسل ، والحنطة والشعير · والخمر ما خامر العقل · متفق عليه · (٢) ·

وعن جابر رضى الله عنه أن رجلا من جَيْشَانَ ، وجيشان من اليمن سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له : المِزْرُ · فقال :أمسكر هو ؟ قال :نعم فقال : كل مسكر حرام ·

إن الله عهد عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار رواه أحمد ومسلم والنسائى (٣) ·

حـد الشـارب :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى برجل شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين قال ـ أنس ـ وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف : أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر · متفق عليه (٤) ·

ولمسلم في قصة الوليد بن عقبة ، جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين وجلد أبو بكر أربعين ، وجلد عمر ثمانين وكل سنة (٥) ·

الخمـر داء :

عن وائل بن حجر الحضرمي أن طارق بن سويد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن

---

(١) الحديث أخرجه مسلم انظر جـ ٨ من نيل الأوطار للشوكانى ص ١٧٣ ط مكتبة الدعوة

(٢) انظر جـ ٤ من سبل السلام للصنعانى ص ٣٣ ط الحلبى ·

(٣) انظر جـ ٨ من نيل الأوطار للشوكانى ص ١٧٤ ط مكتبة الدعوةالإسلاميةلشباب الأزهر

(٤) انظر جـ ٤ من بلوغ المرام وشرحه سبل السلام للصنعانى ص ٢٨ ط الحلبى

(٥) المصدر السابق ص ٣٠

الخمر يصنعها للدواء · فقال : إنها ليست بدواء ولكنها داء · أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما

وعن أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم · أخرجه البيهقى وصححه ابن حبان (١) ·

فهذان الحديثان يدلان على أنه يحرم التداوى بالخمر وأنها داء ·

يقول العلامة ابن القيم في الطب النبوى : المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلا وشرعا أما الشرع فما ورد في الأحاديث النبوية ·

وأما العقل فهو أن الله سبحانه وتعالى حرمه لخبثه فإنه لم يحرم على هذه الأمة طيبا عقوبة لها كما حرمه على بنى اسرائيل بقوله « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » (٢) ·

وإنما حرم الله على هذه الأمة ما حرم حمية لهم ، وصيانة عن تناوله · فلا يتناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل ، فإنه وإن أثر في إزالتها لكنه يعقب سقماً أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذى فيه ، فيكون المداوى به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب ، وأيضا فإن تحريمه يقتضى تجنبه والبعد عنه بكل طريق ، وبإتخاذه دواءحض على الترغيب فيه وملابسته ، وهذا ضد مقصود الشارع · وأيضا فإن الخمر داء كما نص عليه صاحب الشريعة فلا يجوز أن يتخذ دواء (٣) ·

التداوى بالنجس والخمر :

أجاز بعض الفقهاء إستعمال النجس في حال الضرورة والاضطرار ، ومنع ذلك جماعة من الفقهاء ·

استدل المجوزون بما روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه أن ناسا من عُرينة قدموا المدينة فاجتووها فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبل الصدقة وقال اشربوا من ألبانها وأبوالها · الحديث (٤) ·

واستدل المانعون بقوله صلى الله عليه وسلم :إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم (٥) · والنجس حرام فلا يتداوى به لأنه غير شفاء ·

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦ (٢) سورة النساء الآية ١٦٠

(٣) انظر كتاب في رحاب الطب النبوى للدكتور نجيب الكيلانى ص ١٠ / ١١ ط مؤسسة الرسالة

(٤) انظر جـ ١ من جامع الترمذى مع شرحه تحفة الأحوذى ص ٢٤٢ مطبعة المدنى بالقاهرة ·

(٥) الحديث أخرجه البيهقى وصححه ابن حبان انظر جـ ٤ من سبل السلام للصنعانى ص ٣٦ ط الحلبى ·

قال الحافظ ا بن حجر : إن قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم ، محمول على حالة الاختيار ، وأما في حال الضرورة فلا يكون حراماً كالميتة للضرورة · ولا يرد قوله صلى الله عليه وسلم في الخمر « إنها ليست بدواء إنها داء » في جواب من سأله عن التداوى بها ، فإن ذلك خاص بالخمر ويلحق بها غيرها من المسكر والفرق بين المسكر وغيره من النجاسات أن الحد يثبت باستعمال المسكر في حال الاختيار دون غيره ولأن استعمال المسكر يجر إلى مفاسد كثيرة ، ولأنهم في الجاهلية كانوا يعتقدون أن في الخمر شفاء فجاء الشرع بخلاف معتقدهم ·

وأما أبوال الإبل فقد روى ا بن المنذر عن ا بن عباس مرفوعا أن في أبوال الإبل شفاء لذربة بطونهم ـ والذرب فساد المعـدة ـ فلا يقاس ما ثبت أن فيه دواء على ما ثبت، نفى الدواء عنه قال : وبهذا الطريق يحصل الجمع بين الأدلة والعمل بمقتضاها (١) ·

ويقول ا بن رشد في بداية المجتهد : إستعمال المحرمات في حالة الإضطرار الأصل فيه قوله تعالى « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » (٢) ·

ثم بين أن استعمال المحرم إن كان لطلب البرء فهو محل خلاف بين الفقهاء · فمن أجازه منهم إحتج بإباحة النبى صلى الله عليه وسلم الحرير لعبد الرحمن بن عوف لمكان حكة كانت به ، ومن منع ذلك احتج بقوله عليه الصلاة والسلام « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » (٣) ·

المنـافع التى في الخمـــر :

واذا قال قائل : إذا ثبت أن الخمر فيها من المضار ما ذكرتم · فكيف وصفها القرآن بأن فيها منافع للناس ·

والجواب عن ذلك أن المقصود بالمنافع في الآية المنافع المـادية التى كانوا يستفيدونها من تجارة الخمر يربحون منها الربح الفاحش كما يربحون من وراء الميسر ، ومما يدل على أن النفع مادى أن الله تعالى قرنها بالميسر · ولا شك أن النفع في الميسر مادى بحيث يكون الربح لبعض المقامرين فكذلك الخمر ·

قال القرطبى : فأما المنافع في الخمر فربح التجارة ، فإنهم كانوا يجلبونها من الشام

---

(١) انظر كتاب تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للمباركفورى ص ٢٤٣ / ٢٤٥ مطبعة المدنى جـ ١

(٢) الأنعام الآية : ١١٩ وانظر جـ ١ من بداية المجتهد لإبن رشد ص ٥٨٥ ط حسان (٣) حديث اخرجه البيهقى وصححه ا بن حبان انظر جـ ٤ من سبل السلام ص ٣٦ ط الحلبى

برخص فيبيعونها في الحجاز بربح وكانوا لا يرون المماكسة فيها فيشترى طالب الخمر الخمر بالثمن الغالى · هذا أصح ما قيل في منافعها · (١) ·

ومن لطيف ما ذكره القرطبى في ذم الخمر · قال : إن شارب الخمر يصير ضُحكة للعقلاء فيلعب ببوله وعذرته وربما يمسح بها وجهه ، حتى رؤى بعضهم يمسح وجهه ببوله ويقول : اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين ·(٢)

هذا وفي عصرنا الحاضر وبعد أن ظهر للناس أضرار الخمر من الناحية الطبية ، والاجتماعية سارعت بعض الدول إلى سن التشريعات التى تحرم الخمر ، « فأمريكا » كانت أصدرت قانونا يحرم الخمر تحريما تاماً وكذلك الهند أصدرت قانوناً مماثلاً ، وبعض الدول حرمت تقديم الخمر أو تناولها في المحلات العامة كما حرمت بيعها لمن لم يبلغوا سنا معينة ، ولكن هذه التشريعات لم تنجح في محاربة الخمر لأن العقوبات التى فرضت لم تكن رادعة ، وخير علاج يقى الناس شر هذا الوباء هو علاج الإسلام ·

المخـــــدرات :

حرمت الشريعة الإسلامية المخدرات والمفترات لما فيهما من الأضرار والمفاسد ، وورد النهى فى السنة عن كل مسكر ومفتر ·

أخرج أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن كل مسكر ومفتر (٣) ·

قال الإمام الخطابى : المفتر كل شراب يورث الفتور والخور في الأعضاء (٤) ·

وبالنظر في كتب اللغة نجد أن التفتير والتخدير معناهما متقارب ، ففى لسان العرب : الفتر الضعف وفتر فتورا لانت مفاصله وضعف · وفي المصباح المنير ومعجم متن اللغة : خدر العضو استرخى فلا يطيق الحركة وخدرت عينه ثقلت من قذى أو غيره ، والخدرة : الضعف والفتور يصيب الأعضاء والبدن (٥) ·

الفرق بين المسكر وغيره :

ذكر الإمام القرافي في كتاب « الفروق » التفرقة بين المسكر ، والمرقد ، والمفسد ·

---

(١) انظر جـ ١ من تفسير آيات الأحكام للصابونى جـ ١ مكتبة الغزالى ص ٢٧٤ · (٢) المصدر السابق ص ٢٧٥ ·

(٣) انظر جـ ٤ من سبل السلام للصنعانى ص ٣٥ ط الحلبى (٤) المصدر السابق (٥) انظر لسان العرب لابن منضور والمصباح المنير للفيومى · ومعجم متن اللغة لاحمد رضا مادة : خدر وفتر ·

فالمسكر هو : الذى يغطى العقل ولا تغيب معه الحواس ، ويتخيل صاحبه كأنه نشوان مسرور قوى النفس شجاع كريم ، ولذلك قال الشاعر :

ونشربها فتتركنا ملوكا   وأسداً ما ينهنهها اللقاء

والمرقد هو : الذى يغيب الحواس كالسمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس كالبنج .

أما المفسد فهو : المشوش للعقل كالحشيش والأفيون وسائر المخدرات والمفترات التى تثير الخلط الكامن في الجسد ، ولذلك تختلف أوصاف مستعمليها فتحدث حدة لمن كان مزاجه صفراويا ، وتحدث سباتا وصمتا لمن كان مزاجه بلغميا ، وتحدث بكاء وجزعاً لمن كان مزاجه سوداويا ، وتحدث سرورا لمن كان مزاجه دمويا فتجد من متناوليها من يشتد بكاؤه ، ومنهم من يشتد صمته ومنهم من يعظم سروره وانبساطه

فشرّاب الخمر تكثر عربدتهم ووثوب بعضهم على بعض بالسلاح . ويهجمون على بعض الأعمال التى لا يطيقونها في حال الصحو كما أشار الشاعر ، أما أهل الحشيش والأفيون فيصيرون همدة ساكتين أنتزعت، منهم قوة البطش بل هم أشبه شىء بالبهائم ولذلك تكثر حوادث القتل مع شراب الخمر ولا تكاد توجد مع أصحاب المخدرات إذ هذه المخدرات تحدث خنوثة الطبع وفساده ، وقد تجر صاحبها إلى الدياثة على زوجته وأهله فضلا عن الأجانب .

والمسكرات محرمة إجماعا وفيها الحد ، والمخدرات محرمة كذلك ، وفيها الحد أو التعزير الزاجر عنها .

والمرقدات يجوز استعمالها للعمليات الجراحية . قال ابن فرحون المالكى : والظاهر جواز ما يسقى من المرقد لقطع عضو ونحوه ، لأن ضرر المرقد مأمون ، وضرر العضو غير مأمون . وبهذا تنفرد المرقدات عن المخدرات (١) .

وقال صاحب القواعد السنية في الأسرار الفقهية : إعلم أن النبات المعروف بالحشيشة لم يتكلم عليه الأئمة المجتهدون ولا غيرهم من علماء السلف ، لأنه لم يكن في زمنهم وإنما ظهر في أواخر المائة السادسة وانتشر في دولة التتار .

قال العلقمى في شرح الجامع : حكى أن رجلا من العجم قدم القاهرة وطلب دليلا على تحريم الحشيشة وعقد لذلك مجلساً حضره علماء العصر ، فاستدل الحافظ زين الدين العراقى بحديث أم سلمة : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر . فأعجب

---

(١) انظر جـ ١ من كتاب الفروق للقرافي ص ٢١٥ / ٢١٦ ط عيسى الحلبي

الحاضرين قال : ونبه السيوطى على صحته ، واحتج به ابن حجر على حرمة المفتر ولو لم يكن شرابا ولا مسكرا ذكره في باب الخمر والعسل من شرح البخارى .

وكون الحشيشة من المفتر مما أطبق عليه مستعملوها ممن يعتد بهم . وبخبرهم يعتد في مثل هذا الأمر . والقاعدة عند الأصوليين والمحدثين أنه إذا ورد النهي عن شيئين مقترنين ثم نص على حكم النهى عن أحدهما من حرمة أو غيرها أعطى الآخر ذلك الحكم بدليل اقترانهما في الذكر والنهى . وفي الحديث المذكور ذكر المفتر مقرونا بالمسكر . وتقرر عندنا تحريم المسكر بالكتاب والسنة والاجماع فيجب أن يعطى المفتر حكمه بقرينة النهى عنها مقترنين . وفسر غير واحد التفتير باسترخاء الأطراف وتخدرها وصيرورتها إلى وهن وانكسار (١) .

وقال ابن حجر الهيتمى : وأعلم أن الحشيشة المعروفة حرام كالخمر . يحد آكلها على قول قال به جماعة من أهل العلم كما يحد شارب الخمر . وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج . إفساداً عجيباً حتى يصير في متعاطيها تخنث قبيح ودياثة عجيبة وغير ذلك من المفاسد . فلا يصير له من المروءة شيء البتة ، ويشاهد من أحواله خنوثة الطبع وفساده وإنقلابه إلى أشر من طبع النساء .. وكذا متعاطى نحو البنج والأفيون . قال :

والخمر أخبث من جهة أنها تفضى إلى الصيال على الغير وإلى المخاصمة والمقاتلة والبطش . ثم قال : وسبب اختلاف العلماء في الحد فيها وفي نجاستها كونها جامدة مطعومة ليست شرابا . فقيل هى نجسة كالخمر وهو الصحيح عند الحنابلة وبعض الشافعية وقيل : طاهرة لجمودها وهو الصحيح عند الشافعية . وقيل : المائعة نجسة . والجامدة طاهرة . قال : وعلى كل حال فهى داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر لفظا ومعنى (٢) .

قال ابن البيطار : إن الحشيشة وتسمى القنب توجد في مصر مسكرة جداً إذا تناول الإنسان منها قدر درهم أو درهمين ، وقبائح خصالها كثيرة . وعد منها بعض العلماء مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية (٣) .

وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ في مجموع الفتاوى عن الحشيشة وعن تأريخ ظهورها ورأى أهل العلم فيها حديثا قيما مفصلاً .

من ذلك قوله : وكذا الحشيشة المسكرة يجب فيها الحد وهى نجسة في أصح الوجوه وقد قيل : إنها طاهرة . وقيل : يفرق بين مائعها ويابسها والأول الصحيح ، لأنها تسكر

---

(١) انظر المصدر السابق للقرافي ص ٢٦

(٢) انظر جـ ٢ من كتاب الزواجر لابن حجر الهيتمى ص ١٣٨ ط عيسى الحلبى

(٣) انظر جـ ٤ من سبل السلام للصنعانى ص ٣٥ / ٣٦ ط مصطفى الحلبى

بالإستحالة كالخمر النىء ، بخلاف ما لا يسكر بل يغيب العقل كالبنج أو يسكر بعد الاستحالة كجوزة الطيب فان ذلك ليس بنجس · ومن ظن أن الحشيشة لا تسكر وإنما تغيب العقل بلا لذة فلم يعرف حقيقة أمرها (١) ·

قال : الحمد لله هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها أو لم يسكر · والسكر منها حرام بإتفاق المسلمين · ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب · فإن تاب وإلا قتل مرتداً لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين (٢) ·

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : أما المحققون من الفقهاء فعلموا أنها مسكرة وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب فهى تجامع الشراب المسكر في ذلك والخمر توجب الحركة والخصومة · وهذه توجب الفتور والذلة ، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل وفتح باب الشهوة وما توجبه من الدياثة مما هى من شر الشراب المسكر وإنما حدثت في الناس بحدوث التتار (٣) ··

ويقول الدكتور نجيب الكيلانى عن المخدرات :

تطلق كلمة المخدرات على كثير من المواد الطبيعية والكيماوية التى تؤدى إلى خدر الجسم والعقل والمواد المخدرة تختلف في آثارها ومضاعفاتها واستجابة الجسم والعقل لها وكثير من هذه المواد قد يؤدى إلى الإدمان بحيث لا يستطيع متعاطيه أن يستغنى عنها وإلا أصيب بأضرار مختلفة قد تصل إلى الموت ·

وبعض هذه المواد قد يؤدى إلى السكر أو غياب العقل أو يؤدى إلى لون من التخيل وتصور أمور لا وجود لها · فإذا انتهى أثر المخدر شعر المدمن بحالة من الإضطراب وعدم الإستقرار والكآبة والتوتر ويظل في تدهور وتوتر · بل إن أجهزة الجسم تتأثر على اختلاف أنواعها ·

قال : ولقد انتشرت الأدوية المخدرة في كل أنحاء العالم انتشاراً رهيباً وتفشت المخدرات بين الشباب وخاصة في أوروبا وأمريكا · وتسببت هذه المخدرات في كثير من الانحرافات والكوراث الاجتماعية ، والاقتصادية ، والأخلاقية (٤) ·

وأكتفى بهذا القدر ولولا ضيق الزمن لتوسعت في بعض موضوعات هذا البحث المتشعب النواحى · وحسبنا أن نعلم أن الشريعة الإسلامية سبقت كل النظم والقوانين في

---

(١) انظر جـ ٣٤ من مجموع الفتاوى لابن تيمية ص ١٨٩ ط الاولى

(٢) المصدر السابق لابن تيمية ص ٢١٠ / ٢١٤

(٣) انظر جـ ٣٤ من مجموع الفتاوى لابن تيمية ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ط الاولى

(٤) انظر كتاب في رحاب الطب النبوى للدكتور نجيب الكيلانى ص ١٣ / ٦٤ ط مؤسسة الرسالة ·

محاربة المسكرات والمخدرات وبيان ما فيها من أضرار ومفاسد · وكلما تقدم العلم أثبت صدق الشريعة وأنه لا خلاص للناس من مخاطر الشقاء والهلاك والدمار إلا في الأخذ والعمل بما جاءت به هذه الشريعة الغراء ·

وفق الله المسلمين للتمسك بتعاليم دينهم والعمل بما في شريعتهم حتى يعزهم الله ويكتب لهم الخلاص مما فيهم ·

والله ولى التوفيق وهو الهادى إلى أقوم طريق ··

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير خلقه وعلى آله وصحبه ··

مراجـــع البحث :

١ ــ روائع البيان تفسير آيات الأحكام جـ ١ للشيخ محمد على الصابونى طـ مكتبة الغزالى ·

٢ ــ صحيح الإمام البخارى مع شرحه فتح البارى لابن حجر جـ ١٢ المطبعة السلفية (كتاب الحدود) ·

٣ ــ نيل الأوطار مع شرحه منتقى الأخبار للإمام محمد بن على الشوكانى جـ ٨ طـ مكتبة الدعوة الإسلامية القاهرة (كتاب الأشربة) ·

٤ ــ بلوغ المرام لابن حجر مع شرحه سبل السلام للصنعانى جـ ٤ باب حد الشارب وبيان المسكر طـ الحلبى ·

٥ ــ بداية المجتهد لابن رشد جـ ١ كتاب (الأطعمة والأشربة) طـ مطبعة حسان بالقاهرة تقديم « سيد سابق » وتصحيح عبد الحليم محمد . وعبد الرحمن حسن ·

٦ ــ كتاب الفروق للإمام القرافي جـ ١ طـ دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى / مصر ·

٧ ــ القواعد السنية في الأسرار الفقهية هامش جـ ١ من الفروق / للشيخ محمد على حسين مفتى المالكية ·

٨ ــ الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمى جـ ٢ طـ دار إحياء الكتب العربية ·

٩ ــ كتاب : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٣٤ طـ الأولى ·

١٠ ــ التشريع الجنائى الإسلامى المقارن بالقانون للأستاذ عبد القادر عوده جـ ١ طـ ثانية مطبعة دار العروبة ·

١١ ــ لسان العرب : لابن منظور ·

١٢ ــ المصباح المنير لأحمد بن على المقرى الفيومى ·

١٣ ــ في رحاب الطب النبوى للدكتور نجيب الكيلانى طـ الأولى : مؤسسة الرسالة ·


ثقافة إسلامية



الخمر جماع الاثم

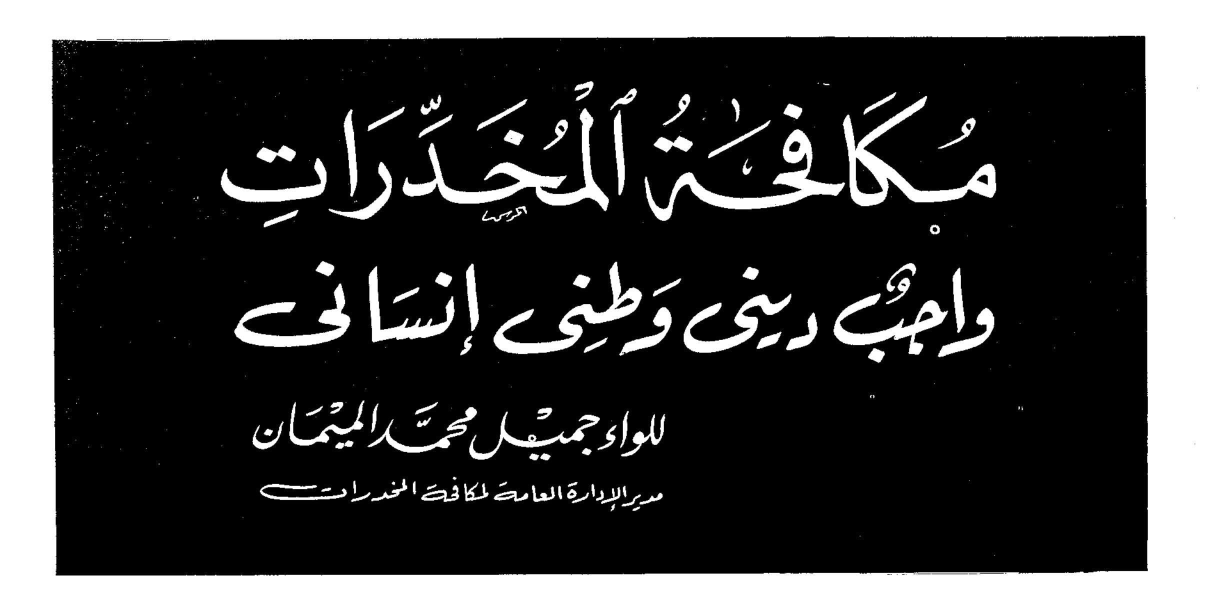
للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده ..

وبعد فيسرني أن أرحب بالجامعة الإسلامية –في المدينة المنورة – فيما تعتزمه من عقد مؤتمر في صدد مكافحة المخدرات والمسكرات ، وهى دائمة معنية بقضايا المسلمين ، وما يجدّ من المشاكل في حياتهم ، فهى أجدر بأن تقوم بإصلاحات جذرية وتقدم جهوداً وخطوات نافعة في إزالة الأمراض والمفاسد التي تغزو المجتمع الإنسانى عامة والمجتمع الإسلامي خاصة ، وإن معالجة قضايا المسلمين ووصف أمراضهم وتقديم العلاج الناجع لها من واجبات المسلمين ومسئولياتهم ، إذن فإنّ عقد هذا المؤتمر جاء في موضعه وأوانه ·

ومن المعلوم أن الدين الإسلامي حريص على بقاء هذه الإنسانية والحفاظ على كرامتها وشرفها ، وشرع أحكامه لجلب المصالح للعباد ودرء المفاسد عنهم ، وإن الخمر « جماع الإثم » كما جاء على لسان النبوة – على صاحبه الصلاة والسلام – ، وجاء التحذير منه في آيات مفصلة من كتاب الله وأحاديث مستفيضة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يتحرق له القلب ألماً ويتندى له الجبين حياءً ، أن هذا الداء الوبيل والمرض العُضال الذي نعى عليه الشرع الإسلامي الحكيم وحرّمه قد تسرب في مجتمعنا اليوم ، وشاع إدمان الخمر في كثير من الأقطار والبلاد ومنى به أبناء الإسلام ، بل أصبح تناول المسكرات والمخدرات موضة من موضات العصر الحديث يتسلى به الناس ولا يخافون سوء عاقبته ، وإذا تفشى هذا الداء فإنه يكاد ينخر المجتمع بأسره ، ويخشى به الزوال على جميع القيم الخلقية السامية التي اعترفت بها الديانات وتشبثت بها الأجيال ، والحفاظ على العقل من مقاصد الشارع الحكيم ، وبالحفاظ عليه يناط صلاح الإنسانية والقيام بمصالحها ، فإذا اختل العقل وأصابه فتور وشلل ، اختلت الموازين كلها ·

أكتفي بهذه الكلمة الموجزة التي أمليتُها على عجل – وأنا على أهبة السفر إلى البلاد – وأكرر الترحيب بهذا المؤتمر وأدعو الله أن يكلله بالنجاح ويحقق الأهداف الإنسانية الإسلامية النبيلة التي يرمي إليها ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ·



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فإن من فضل الله تعالى على عباده أن شرع لهم من الدين ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم ، ومن رحمته سبحانه أنه لم يفرض عليهم من التكاليف الشرعية إلا ما يطيقون ، فأحلّ الله لعباده الطيبات من الرزق ، وحرّم عليهم الفواحش والخبائث ونهاهم عن كل ما يفسد دينهم أو يضر بمصلحتهم . فجاءت الشريعة الإسلامية الغرّاء لحفظ كيان الأمة . فأوجبت حماية الضروريات الخمس التي يقوم عليها البناء القوي للمجتمع الصالح وهى حماية النفس والعقل والدين والمال والعرض . وحرّمت ما يضر بشيء منها بنصوص محكمة لا تقبل التأويل .

ومن فضل الله تعالى أن رفع الإنسان وفضله على كثير من خلقه . بأن أنعم عليه بالعقل ليكون مسئولا عن تأدية التكاليف الشرعية التي فرضها على الإنسان والتي لم يحصرها سبحانه في الصلاة وغيرها من العبادات . بل إن الإسلام يتطلب من المسلم يقظةً فكريةً دائمةً وتحكيم عقله في كل شيء ، واستجلاء كل الظواهر المحيطة به سعياً وراء خير الأمة الذي هو مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية وغاية من غاياتها . لذلك فقد حرّم الله سبحانه وتعالى كل ما يضعف العقل أو يذهبه . والمخدرات بمختلف أشكالها وأنواعها محرمةٌ شرعاً لتأثيرها المباشر على العقل ، فهى تعطله وتذهب به .

إن تعاطي المواد المخدرة ظاهرة عرفت منذ زمن بعيد ، وكانت حتى عام ١٩٤٠ م تنحصر في بعض الدول التي عانت من إساءة استعمال المخدرات الطبيعية ذات الأصل النباتي (الحشيش والأفيون) ، وأثناء الحرب العالمية الثانية بدأ الطيارون الألمان يستعملون جرعات من عقار الأمفيتامين المنشط لزيادة عدد طلعات الطيران ، ثم تطور الأمر إلى إساءة استخدام العقاقير الأخرى المصنعة سواء المنشطة أو المنومة أو المهلوسة ، والتى تنتجها مصانع الأدوية من مواد كيميائية على شكل حبوب أو أقراص أو كبسولات أو حقن أو أشربة ، وقد كانت تنتجها أصلًا للأغراض الطبية والعلاجية لبعض الأمراض النفسية أو لتسكين بعض الآلام أو لإذهاب القلق والمساعدة على راحة الإنسان المريض ولكن للأسف ، أسيىء استعمال تلك العقاقير بشكل رهيب ، فشكلت ظاهرة خطيرة أخذت بتلابيب معظم المجتمعات الدولية وأصبحت كظاهرة المخدرات الطبيعية سواء بسواء إذ أنها كلها سموم ، بل إن مشكلة العقاقير المخدرة أشد وطأةً وأثراً على المجتمعات الدولية في وقتنا المعاصر ، بل وكارثة عظمى تهدد المجتمع الإنساني بسبب سهولة تناولها ووجودها بالصيدليات ومراكز الأدوية ، ولتشابهها مع تلك الأدوية التي يستعملها المريض بوصفات طبية مشروعة ، وقد نشأت المشكلة بسبب استعمالها بطريقٍ خاطىء يؤدي إلى الإدمان ، وتنتج عنه أبلغ الآثار السيئة والأخطار الجسيمة على مستعمليها وعلى المجتمع ٠

ولقد أحس المجتمع الدولى بخطورة المشكلة .. فهب إلى إبرام اتفاقية المواد النفسية عام ١٩٧١ م وضع بمقتضاها نظاماً للرقابة على العقاقير ذات التأثير على النفس والعقل بهدف قصر استخدامها للأغراض الطبية والعلمية فقط ، وبُذلت – وما زالت تبذل – من كافة الأجهزة المعنية بشئون المخدرات والهيئات العالمية الصحية جهودٌ مضنية في سبيل التصدى لهذه المشكلة ودرء أخطارها الجسيمة ٠

ولم يسلم مجتمعنا العربي السعودي من هذه الظاهرة (استعمال الحبوب المخدرة) ، ولكن – والحمد لله – ما زالت لا تعدو أن تكون دقّاً لناقوس الخطر الذي بدأ في الآونة الأخيرة يقرع أسماعنا ٠ والمشكلة إن كانت قائمة ، فالوقاية منها والاحتياط لها – قبل أن تستفحل – واجب ، وهناك دول وقعت فريسة لهذا الداء الوبيل ولم تدرك خطره إلا بعد أن عانت الكثير منه ٠ فعلينا أن نأخذ درساً مما عانته تلك الدول ، فالتقىّ من وعظ بغيره ، والشقىّ من وعظ بنفسه ٠ ومن واجبنا الديني والوطني والإنساني أن نتصدى لهذه الآفة بكل إيمان وجدية لندرأ عن شبابنا أخطارها ، وعن مجتمعنا آثارها ، فالوقاية خير من العلاج ٠

والكارثة التي تحل بالفرد وبالمجتمع نتيجة استعماله للمخدرات ، تبدأ من مستصغر

الشرر . فيبدأ الفرد في تعاطيها لهدف أو لظرف خاص . مثل الطالب الذي يستعمل حبوب الأمفيتامين بهدف اليقظة والسهر للاستذكار وقت الامتحانات . والمرأة التي تأخذ الحبوب لمعالجة البدانة التي تفقدها الشهية لتزيد من نشاطها وقدرتها على القيام بمسئولية بيتها . والعامل الذي يبغى الحفاظ على قواه وزيادة نشاطه وقدراته على العمل والإنتاج . والسائق الذي يتناول الحبوب المنبهة لتساعده على السهر لمواصلة السفر بسيارته . والشاب الذي يجاري صديقه فيستعمل الحبوب المخدرة مجاملة أو تقليدا في ميوعة يريد بها إنعاش نفسه . أو إزالة همومه . أو الهروب من مشاكله العائلية . أو النفسية التي تنتابه نتيجة بعض الظروف التي تحيط به اجتماعياً أو أسرياً . وذلك الذي يتناول الحبوب لأسباب صحية دون استشارة الطبيب . كل هؤلاء واهمون . مخطئون . إذ أنهم بعد وقت قصير يتأكدون من ذلك . ويشعرون أن كل ما سعوا إليه من استعمالهم للمخدر أثره وقتي . وسريعاً ما يزول . فيدفعهم ذلك بلا شك إلى زيادة الجرعة التي يتعاطونها أملا في تحقيق ما يريدون فيعتادونها . ثم يدمنونها . وهنا تقع الكارثة .

إن إدمان المواد المخدرة يعود بأسوإ النتائج على الفرد في صحته الشخصية وإرادته وعمله وإنتاجه ووضعه الاجتماعي . فيعاني من الأمراض وضعف البنية والشخصية . وينتابه الخمول والوهن . ويفقد السيطرة على تحركاته وأعماله وأقواله . ويتحول إلى شخص يفتقر إلى الطاقة المهنية والحماس والإرادة اللازمة لتحقيق واجباته العادية المألوفة . ويصبح شخصاً كسولاً . سطحياً . متواكلاً . غير موثوق فيه . مهملاً . منحرف المزاج . فينعكس أثره على عمله . وعلى تعامله مع الناس . وغالباً ما يفشل في دراسته . أو يطرد من عمله . أو يقل إيراده . وينعكس كل ذلك على أسرته . فلا تكون له القدرة على رعاية أبنائه وتربيتهم التربية السوية . فهو شخص مهموم مرتبك التفكير . لا همّ له إلاّ أين . ومتى . وكيف يتعاطى الجرعة التى اعتادها . فيحطم بذلك ذاته وعلاقاته مع أسرته ومعارفه وجماعته . وتصبح أهداف الحياة لديه ثانوية .

ولا شك أن المجتمع يتأثر تأثراً مباشراً من هذه الظاهرة . اقتصادياً . واجتماعياً وأمنيا . فضعف إنتاج الفرد يؤثر على إنتاج المجتمع . بالإضافة إلى أن دخول العديدين ممن يتعاملون في المواد المخدرة السجن يشكلون عبئاً على اقتصاديات الدولة لما تتكبده من مصاريف باهظة لإعاشتهم ورعايتهم وعلاجهم وهم أيدٍ عاطلة لا يؤدون عملاً . فضلا عما تنفقه الدولة من أموال طائلة على قوات الأمن . وقوات المكافحة . والقضاء . وكان من الأجدى أن تتجه تلك الأموال إلى دعم اقتصاديات المجتمع . ثم إنه يجب أن لا نُغفل تلك المبالغ الهائلة التي تضيع سُدىً خارج البلاد أثماناً للمواد المخدرة . وياليتها كانت ثمناً لآلات ومعدات تدعم

الاقتصاد الوطنى وتنشد الرخاء للمجتمع · كما يجب أن لا نغفل مدى القلق والفزع الذي يلحق أفراد المجتمع من جرائم متعاطى المسكرات والمخدرات ، فلقد أكدت الدراسات والإحصائيات ارتباط تعاطى المخدرات بالجريمة ، فكلما زادت ظاهرة التعاطى زادت معها معدلات الجرائم المختلفة من قتل وسرقة واعتداء على النفس والعرض ، فضلا عن حوادث السيارات والحريق وإصابات العمل · فالمخدرات في حد ذاتها جريمة يعاقب عليها النظام ، ومن يرتكبها يمكن أن يستمرىء لنفسه ارتكاب غيرها من الجرائم ، فهى تشجعه على مخالفة الأنظمة الأخرى وارتكابه أفعالا ضارة وتصرفات طائشة ، وتزين له نفسه غير الواعية – تحت تأثير المخدر – أن يرتكب الفواحش والجرائم فتعرضه لعقوبة السلطة ، وتؤدى به إلى السجن . فيفصل من عمله إذا كان موظفا ، ويضيع مستقبله ، ويضر بأسرته التي يتركها دون عائل . فيتشرد أبناؤه ويسيرون في طريق مظلم دون هادٍ أو راعٍ لهم ، ويضلون السبيل وتتفكك الأسرة التي هى عماد المجتمع ·

وإن كان عاملا على آلة أو ماكينة ، فإنه يتسبب بفعل المخدر وعدم وعيه إلى إتلافها أو إلى إحداث حريق مدمر للمؤسسة التي يعمل بها ، أو أن يصاب بإصابة تعجزه عن العمل ، أو تودى بحياته ، فيخسر نفسه وتخسره أسرته · ولو أن المجال هنا يتسع لسردت الكثير مما صادفنى أثناء ممارستى لعملى من مآسى لحقت بأسر انهارت وتشردت بسبب تعاطى عائلها للمخدرات ودخوله السجن ، وفصله من عمله وطرده من الخدمة العسكرية ، أو موته أو إصابته · وكم من سائقين راحوا ضحية حوادث سيارات وراح معهم ضحايا أبرياء بسبب عدم وعيهم نتيجة استعمالهم للمخدرات · وتشير الإحصائيات والدراسات أن ١٠٪ من حوادث السيارات كانت نتيجة استعمال السائقين للمخدر · وقد ازدادت النسبة إلى ٢٥٪ حتى أصبحت الآن تشكل السواد الأعظم من أسباب حوادث السيارات والشاحنات خاصة على الطرق ·

وإن الشباب – عدة الأمة ومناط آمالها ورجال الغد والدعامة الأساسية التى يرتكز عليها المجتمع في التنمية ونهضة البلاد – مُستهدف من أعدائنا لتقويض عزيمته ، والفت في عضده لإبعاده عن المشاركة بفاعلية والإسهام بجدية في تقدم الأمة ورقيها وتحقيق آمالها الطموحة في التنمية والازدهار – فتتجه مشكلة المخدرات اليوم للنيل من شبابنا – وقد فطنت حكومتنا الرشيدة وبتوجيهات من جلالة مولاى الملك المعظم وسمو ولى عهده الأمين وسمو وزير الداخلية وسمو نائبه إلى الاهتمام بالتصدى لهذه المشكلة ، وحماية شباب هذه الأمة من أخطارها ، ووقايته من كل ما يعوقه عن المشاركة الإيجابية في عمليات التنمية ، وهبت كافة الجهات المعنية ذات العلاقة بالمملكة للمساهمة في المكافحة وحل المشكلة من كافة جوانبها

الاجتماعية والصحية والنفسية ، كما أن سعادة الفريق أول / عبد الله عبد الرحمن آل الشيخ مدير الأمن العام قد والى عنايته بأعمال المكافحة ، بمدها بكل عون ومساعدة في سبيل الضرب على أيدى كل من يتعامل في المواد المخدرة تهريباً ، أو تجارةً ، أو ترويجاً ، أو استعمالاً . وأسأل الله عز وجل أن يهدى شبابنا إلى مافيه صلاح دينه ودنياه ، وأن يلهمه الصواب والهدى والتقى ، وأن يجنبه سوء الأخلاق ما ظهر منها وما بطن إخلاصا لدينه ومليكه ووطنه .

وأختتم كلمتي بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله – الشباب الذي نشأ في عبادة الله – وفق الله شبابنا المسلم إلى تحقيق ذلك ، والله الموفق وهو من وراء القصد .

القات والوقت والأموال الضائعة

ان الجمهورية العربية اليمنية تخسر سنوياً ما يزيد على ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون ساعة عمل هو الوقت الهائل الذى يضيع على أبناء اليمن بسبب مضغ أوراق القات وتخزينه وهو وقت تتبين قيمته في التنمية المطلوبة لهذا البلد الإسلامي فيصيب اقتصادها بخسائر فادحة فضلاً عن ألف مليون ريال ثمناً للقات الذى يستهلكه المواطنون .

(من تقرير المكتب العربى لشئون المخدرات)

المخدرات
أخطر معوقات التنمية

للدكتور إبراهيم إمام
رئيس قسم الإعلام بكلية الدعوة وأصول الدين

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وفضله على غيره من الأكوان بما ركَّب فيه من قوى أعلاها العقل وأغلاها الإدراك والفهم ، والمعرفة من أهم خصائص الإنسان (وعلم آدم الأسماء كلها) يشير إلى ما أودع الله سبحانه في آدم من قوى الإدراك والاستنباط والقياس ، وتداعي المعاني وتوالدها . ومن هنا كانت القدرة على إنماء قاموسه اللغوي ، وإضافة جديد إليه كل يوم ، إذ كلما جدَّ جديد في الحياة من المخترعات والمصنوعات التي تفتق عنها عقل الإنسان ، وضع لهذا الجديد اسما يعرفه به ، ويستدل منه عليه ، ففي عقل الإنسان تتولد المدركات ، وتتشكل الصور ، وتتداعى المعاني ، ومن عقل الإنسان تخرج الأسماء لكل مدرك ، ولكل متصور في عالم الواقع أو الخيال .

يقول الله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم) . وفيه بيان لموقف الملائكة في هذا الامتحان ، وعجزهم عن وضع أسماء لتلك المخلوقات التى عرضها الله تعالى عليهم ، لأنهم ليس لهم علم ذاتى ، عن طريق الاستنباط والقياس ، كما الشأن في الإنسان ، وإنما علمهم محصور فيما يعلمهم الله فيه ، لا يزيدون فيه أو ينقصون ، فلا ابتكار ولا اختراع ، على خلاف الإنسان الذي يبتكر ويخترع ، ويجمع بين الأشياء ويفرقها ، ويولد منها ويختصر .

وإذا كان الحيوان مخلوقاً ذا طبيعة واحدة . جسمه مصدر طاقته وغرائزه توجهه ، يأكل ويشرب ويتناسل بدافع جسدي بحت، لا إدراك فيه لهدف ، ولا اختيار لوسيلة ، وإذا

كان المَلَكُ مخلوقا يعيش في نطاق روحه ، ويطيع الله تعالى بفطرته ، لأنه مفطور على الطاعة المطلقة (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ٠

فإن الإنسان له طبيعته الفريدة التى تتميز بكونه قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله ، (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فالشهوات كلها أو الدوافع الفطرية أو الغرائز الإنسانية أو القوة الحيوية هى نشاط جثماني ، ولكنها فطرة قابلة للكبح والضبط بالعقل والإدراك ، وقابلة للسمو الروحي بالإيمان بالله والمثل العليا والعمل على تحقيقها إيجابياً في واقع الحياة ٠

الإسلام والتنمية :

وفي قوله تعالى : (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) كشف عن فضل آدم في هذا الموقف وأنه قادر على مالا تقدر عليه الملائكة ، من إحداث هذا التغيير في وجه الأرض ، بما أدخله عليها من إضافات في صورها وأشكالها ، وذلك ما لا تستطيعه الملائكة من ذات أنفسها ، ولهذا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، سجود إجلال وتعظيم لقدرة الخالق سبحانه ، الذي أخرج من تراب الأرض كائناً يعلِّم الملائكة ما لم يكونوا يعلمون ٠

وقد غير آدم الأرض فأخرج المخبوء من أسرارها ، وسخرها لخدمته ، فعمر جديبها ، وأحيا مواتها ، واستأنس متوحشها ، وألان حديدها ، حتى أقام تلك المدنيات وهذه الحضارات ، فركب البحار وسبح في الفضاء ، ووصل إلى الكواكب والأقمار ، حتى وضع أخيراً قدميه على القمر ٠

ثم إن الإنسان لا يقف عند هذا الذي أخرجه من معطيات مدركاته فإن أمام الإنسان مجالاً فسيحاً للبحث في أسرار هذا الكون الذي أودع به الخالق سبحانه مالا ينفذ من آيات علمه ، وحكمته وقدرته ، فإذا عجز جيل من أجيال الناس عن اكتشاف سر من أسرار الكون جاء الجيل الذي بعده ، فحاول أن يكشف عن مكنون هذا السر ، وهكذا تتوالى أجيال الإنسانية ، كل جيل يبني على ما أقامه الجيل السابق حتى يعلو صرح البناء ، وينمو نموا مطردا ، ما دام للناس وجود على الكوكب الأرضي (١) ٠

---

(١) عبد الكريم الخطيب – الانسان في القرآن الكريم ، دار الفكر العربى ص ٢٠٧ ٠

والمعرفة من أهم خصائص الإنسان . (وعلم آدم الأسماء كلها) والإنسان خليفة الله الخالق المبدع المسيطر على كل قوى الكون . وهو مخلوق تحتفل به السموات والأرض . ويتولى الله سبحانه وتعالى إعلان مقدمه على الملأ الأعلى . فالخلافة عن الله فيها معاني الإنشاء والابتكار والتعمير والتغيير والتبديل . وكلها معاني دقيقة لاصطلاح التنمية .

التنمية تكليف إسلامي :

وقد تحدث القرآن الكريم عن جسم الإنسان وحواسه وعقله وقواه الظاهرة والباطنة فقال تعالى : (ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين) . وقال سبحانه : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ... لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام . بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) وقال جل شأنه : (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها . أم لهم أعين يبصرون بها . أم لهم آذان يسمعون بها) .

والحواس نعمة من الله أنعم بها على عباده . وهى التي تصل بين البيئة الخارجية وعقل الإنسان . فكل ما يراه الإنسان ويسمعه ويلاحظه ويشمه ويختبره ينتقل إلى العقل الذي يزنه ويميزه . فتنشأ عمليات التعقل والتذكر والتفكر والتدبر . يقول الله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض . واختلاف الليل والنهار . والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس . وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح . والسحاب المسخر بين السماء والأرض . لآيات لقوم يعقلون) . ويقول سبحانه : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) . ويقول جل شأنه : (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات . إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره . إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه . إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) .

وهكذا نجد أن الإسلام يوجه الإنسان إلى البحث والدراسة والملاحظة والتجريب . ويحثه على استخدام عقله وفكره ليتدبر الكون من حوله . وينال نتيجة جهده وكدحه بقدر ما ينفق من رصيد العلم والمعرفة . الذي جمعه من النظر والتدبر في ملكوت السموات والأرض .

وما أودع الخالق سبحانه في مستكنات الأسرار في هذا الوجود · وهكذا يتحقق إعمار الأرض وتنمية الحضارة ·

فأهم ما يميز الإنسان قدراته العقلية وإمكاناته اللغوية والرمزية ، وما جبل عليه من اختيار وإرادة ، ومحاولته حل المشكلات والتعلم والتدرب ، فضلا عن نشاطه الفكرى وتحليقه في التصور الإيجابي والتخيل البناء ، فهو يرسم في ذهنه صورة للواقع ويرسم صورة أخرى لواقع جديد يريد أن يحققه بفضل ما أفاءه الله عليه من نعمة العقل والإدراك ، بحيث يكون تحركه من الواقع الملموس والصورة المأمولة تحرك إنجاز وفاعلية ·

ولا حرج في الإسلام من بلوغ الإنسان شأواً بعيدا في مجال التنمية طالما يتقي الله ويعمل لمرضاته ، وفي تلك الحدود الربانية لا قيود على حريته في البحث والعلم والتنمية ، بل إنه مطالب بذلك ، ومكلف بإعمار الأرض وتحسين أحوال معيشته ، والحصول على طيبات الرزق ، والعمل المتواصل من أجل رقيه وسعادته ·

موقف الإسلام من الخمر والمخدرات :

والنشاط الفكري للأفراد والجماعات البشرية وكذلك قدراتها على التنظيم والبحث العلمي والعمل الاقتصادي والانتاج الصناعى والزراعى وغيره ، كله مرهون بسلامة العقل الإنساني من أى قصور أو فتور أو تخدير ، فالإقبال على الحياة ، والاحتكاك بالواقع لتغييره إلى الأفضل شيمة الإنسان المسلم السوى ، فهو يعالج الواقع أو يتحاور معه بالعمل الجاد والخيال الإيجابى القائم على التصور الفعلى ، أما الشخص السلبى المريض فإنه يركن إلى الوهم والخيال ، ويظن أن المخدر هو منقذه من مرارة الواقع مع أنه يسلمه إلى الخيال المريض ·

والإسلام الذي يؤكد قيمة الإنسان الذي كرمه الله واستخلفه في الأرض ، لا يتضمن مفهوماً غريباً كمفهوم التخليص المسيحى اليهودى ، لأن الإسلام يعتبر حياة الإنسان على الأرض شيئاً إيجابياً ، وينظر إلى الأمام من أجل تحقيق الإرادة الإلّهية في المستقبل ، والسعادة الحقيقية ، وإن أقرب تعبير إسلامي عن العمل الناجح والتنمية السليمة هو الفلاح ، فالإسلام يتحدث عن الأمة الإسلامية النشطة البناءة المسئولة الفعالة في التاريخ والتي هى بحق خير أمة أخرجت للناس في سعيها وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ·

ولقد عد الإسلام إذهاب العقل والتخدير من الكبائر التى يعاقب عليها بالحد الشرعى وذلك حفاظاً على كيان المجتمع البشرى ونشاطه الفعال في خدمة التنمية والأهداف السامية للإنسان ، وقد قصد الشارع الإسلامي بتعاليمه وتكاليفه وأحكامه المحافظة على الأمور الضرورية الخمسة للناس وهى الدين والنفس والعقل والمال والنسل أو العرض ، فكل ما يحفظ هذه الأمور الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأمور أو بعضها فهو مفسدة ٠ لذا فقد جاءت الشريعة الإسلامية بتحريم المسكرات والمخدرات ، لما فيها من الأضرار الفادحة والمفاسد الكثيرة التي تتولد منها وتنشأ عنها بالنسبة للفرد والمجتمع ٠

ويستوى في نظر الإسلام كل مسكر ، لأن المسكر في اللغة الخمر وكل ما يسكر ويذهب بالعقل من الخمرة وما فيها معناها كالحشيش والأفيون والمواد النفسية من العقاقير التي قذفت بها الحضارة الغربية ٠ وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » رواه أحمد ، وأبو داود ، ومادة خمر - عند العرب - تدور في الأصل حول السّتر ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها ورأسها ، ومنه خمروا آنيتكم أى غطوها (١) ٠

فكل مسكر خمر مهما تعددت أشكاله وألوانه ، ومهما وضع له الناس من مسميات وألقاب ، فيدخل في ذلك كل ما ثبت إسكاره من أى مادة حتى ولو كانت خبزا وماء ، كما روى عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت « لا أحل مسكرا وإن كان خبزا وماء » ، وسواء كان نيئاً أو مطبوخاً ، مأكولاً أو مشروباً ، جامداً أو مائعاً ، موجوداً في زمن النبى صلى الله عليه وسلم أو لا ٠ ويدخل في ذلك - بطبيعة الحال - الحشيش ، والأفيون ، والبيرة ، والبوظة ، والمواد المنومة (**Barbiturates**) والمواد المنشطة (**Amphitamines**) وكل ما يتعاطى لأغراض الكيف وتحقيق الشعور بالنشوة والراحة الموهومة لأنها تضر الفرد والمجتمع على السواء ، وذلك لأن تعاطيه يؤدى إلى الإدمان ، ويؤدى إلى أضرار مختلفة تتعلق بصحة الفرد البدنية والنفسية وقدراته وإمكاناته الإنتاجية ، مما يؤثر على التنمية والرقي ، ويعطل قوى الإعمار والإنشاء والبناء ، ويتناقض مع كرامة الإنسان ومكانته السامية ٠

---

(١) نظرة الشريعة الإسلامية إلى المخدرات - رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية ٠

نظريات التنمية والتخلف :

والتنمية لغوياً معناها الزيادة أو الكثرة أو الارتفاع · نما المال بمعنى زاد وكثر ، وتنمية الشيء تعني ارتفاعه من موضعه إلى موضع آخر ونمى ينمى ونمياً ونماء وينميه المال وغيره ، زاد وكثر ، ونمى الخضاب في الشعر أو اليد : ازداد سوادا ، وأنمى إنماء الشيء : زاده فأنمى أى زاد ، وأنمى الحديث : أذاعه ونشره ، وأنماها الكلأ للإبل بمعنى سمنها ، وانتمى البازى : ارتفع موضعه إلى موضع آخر ·

ولقد أصبح اصطلاح « التنمية » من أكثر المصطلحات شيوعاً في مجالات الاقتصاد والاجتماع والتربية والثقافة والإعلام ، والمقصود به رفع مستوى المجتمعات المتخلفة ، ومساعدتها للتخلص مما تعانيه من أمية ومرض وفقر · وكرست هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة معظم جهودها للعناية بالتنمية ، ودعم الجهود المحلية والدولية لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والحضارية في المجتمعات المتخلفة ، والانتقال بها إلى مستويات أفضل وأرفع ·

وقد قدمت عدة تفسيرات لأسباب التخلف ، منها مثلًا التفسير الجغرافي الذي يؤكد أنصاره تفسيرهم للتخلف بأن عدداً كبيراً من الدول النامية يقع في المناطق المدارية والاستوائية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، بينما تقع معظم الدول المتقدمة في المناطق المعتدلة ، ويؤكد أصحاب هذا الرأى أن بيئة الأراضي الاستوائية والمدارية ودرجة خصوبتها ، وانتشار الأوبئة فيها ، وأمطارها الغزيرة ، وحشائشها الضارة تعوق التنمية الزراعية ، كما أن حيواناتها هزيلة بسبب انخفاض القيمة الغذائية للمراعى ، إذا قورنت بالثروة الحيوانية في البلاد الأوروبية والأمريكية ·

غير أن الظروف الطبيعية والعوامل الجغرافية لا يمكن أن تكون وحدها سبب التخلف بدليل أن بعض الدول النامية تقع في المناطق المعتدلة كدول البحر المتوسط وغيرها ، وتحتكر هذه المناطق بعض المحصولات الهامة ، وكم من دولة استطاعت أن تتقدم رغم ظروفها الجغرافية الصعبة ·

وثمة نظرية أخرى تؤكد أن التخلف له أسباب اجتماعية تتمثل في ضعف قوى الإنتاج وتدهور المستوى العلمي ، واكتناز الذهب ، والاهتمام بالمظاهر الكاذبة كارتفاع المهور وإقامة

الحفلات الباذخة حبا في المباهاة . وقد تفتت الثقافة بفعل التعليم الأجنبي الذي يختلف عن التعليم الوطني في البلد الواحد . وتنقسم التربية إلى قسمين متنافرين أحدهما ديني والآخر علماني .

وهناك من يعزو التخلف إلى الجنس والعقيدة . ولكن ثبت مثلا أن اليابان وهي تضم سكانا من الجنس الأصفر قد حققت تقدماً هائلًا ذعرت له دول الجنس الأبيض . كما سجل التاريخ للصين والهند وغيرهما حضارات زاهرة . وكثيراً ما يتبجح المفترون بزعم أن الإسلام سبب تخلف الدول المؤمنة به . وهو تعصب أعمى يكشف عن الحقد الدفين منذ مئات السنين . فالإسلام هو الذي عالج قضايا الدنيا والدين . وهو الذي حدد العلاقات الاقتصادية والاجتماعية تحديداً ينهض دليلًا على الرقى والتقدم . ووضع للعمل والإنتاج قيمة كبرى . وإذا كان المسلمون متخلفين في بعض مجتمعاتهم . فإن ذلك لا يرجع إلى الإسلام . بل إنه على العكس من ذلك يرجع إلى إهمال الدين وعدم التمسك بتعاليمه السمحة البناءة .

وهناك نظرية حديثة ترجع أسباب التخلف إلى الاستعمار . فالدول الاستعمارية استطاعت خلال عشرات السنين أن تحدث تنميتها وتقدمها على حساب المواد الأولية من البلدان التي استعمرتها . وبسيطرتها على التجارة الخارجية للمستعمرات . وجعلها سوقا لمنتجاتها . وبحرمان شعوب المستعمرات من فرص التقدم .

يقول القائد الهولندي « كوين » الذي غزا جاكارتا : « ألا يستطيع أى رجل في أوربا أن يفعل بماشيته ما يشاء ؟ هكذا يفعل السيد هنا برجاله الذين يعتبرون بكل ما يملكون ملكاً خاصاً للسيد شأنهم في ذلك شأن البهائم في الأراضي المنخفضة – أى هولندا !! » .

وقام الإسبان في أمريكا اللاتينية بما قام به الفرنسيون في شمال أفريقيا . لقد أهملت الطرق التي شيدها الوطنيون عن عمد لأن أسبانيا كانت تريد تقسيم المستعمرات وحكمها على أساس المبدأ الاستعماري المعروف : فرق تسد . ولهذا جعلت المواصلات والطرق تمتد من الداخل إلى الساحل . ومن الساحل إلى الوطن الأم . إنه نفس الأسلوب الفرنسي في شمال أفريقيا . والأسلوب الإنجليزي في الدول الإسلامية . لقد كان المسافر من القاهرة إلى الجزائر لا بد أن يطير إلى باريس أولا . وكان قصد المستعمر دائماً هو تفتيت الوحدة بين أصحاب العقيدة الواحدة . وخلق منازعات على الحدود عندما يرحل .

الإستعمار والمخدرات :

وأخطر ما لجأ إليه الاستعمار هو استخدام المسكرات والمخدرات ليفت في عضد الشعوب ، وقتل مواهبها ، والقضاء على نشاطها . لقد أغرقت بريطانيا الصين بالأفيون . والأسبان هم الذين أدخلوا المخدرات في أمريكا اللاتينية في القرن السادس عشر . وكان الهولنديون سببا في دخول المخدرات إلى جنوب أفريقيا في القرن السابع عشر مع الخمور الرخيصة المهلكة لصحة الشعب الزنجى ، وبذلك يكون الحشيش والأفيون والخمور قد انتقلت مع الغزو الاستعمارى والهجرات البشرية المصاحبة للمستعمرين والغزاة الذين عملوا على نشره بين الأهالى الأصليين كوسيلة للقضاء عليهم ، ولتعطيل التنمية في بلادهم ، أو على الأقل لامتصاص قواهم الذهنية .

ولقد عرفت اسرائيل هذه الحقيقة ، فأخذت تروج هذه السموم بين العرب ، وخاصة إبان نكسة ١٩٦٧ وما بعدها ، وعلى سبيل المثال فقد ضبط في القضية رقم ٢٩ جنايات غارب سنة ١٩٦٨ ما مقداره ٤٩٨ كيلوجراما من الحشيش و ٥٣ كيلوجراما من الأفيون ، وضبط في القضية رقم ٥٧ جنايات غارب سنة ١٩٦٨ ما مقداره ٤٨٤ كيلوجراما من الحشيش ، وضبط في القضية رقم ٩٢ جنايات غارب سنة ١٩٦٩ ما مقداره ٥٠٨ كيلوجراما من الحشيش و ١٧٢ كيلوجراما من الأفيون ، وضبط في القضية رقم ١٠ جنايات الغردقة سنة ١٩٧٠ ما مقداره ٩٧١ كيلوجراما من الحشيش ، وضبط في القضية رقم ٦٩ جنايات الغردقة سنة ١٩٧٠ ما مقداره ٨٩٤ كيلوجراما من الحشيش و ٥٨٩ كيلوجراما من الأفيون ، وضبط في القضية رقم ١٢١ جنايات الغردقة سنة ١٩٧٠ ما مقداره ٧٩٨ كيلوجراما من الحشيش و ٢٩٤ كيلوجراما من الأفيون .

وثبت أن هذه الكميات كلها قد هربت عن طريق خليج السويس . أما عن طريق قناة السويس فإن الكميات المهربة لا تقل خطراً ، ففي القضية رقم ٢٥٨ جنايات عتاقة سنة ١٩٦٧ ، كان المضبوط ٩٨٦ كيلوجراما من الحشيش و ٣٢٦ كيلوجراما من الأفيون ، وفي القضية رقم ١٥٣ جنايات عتاقة سنة ١٩٦٨ ، كان المضبوط ٨١٢ كيلوجراما من الحشيش و ٤١٤ كيلوجراما من الأفيون ، وفي القضية رقم ٤٤١ جنايات السويس سنة ١٩٦٧ ، كان المضبوط ٢٤٥ كيلوجراما من الحشيش و ٩٣ كيلوجراما من الأفيون ، وفي القضية رقم ١٩ جنايات عسكرية الاسماعيلية سنة ١٩٦٨ كان المضبوط ٢٢٠ كيلوجراما من الأفيون (١) .

---

(١) لواء دكتور محمد نيازى حتاتة – الاتجار بالمخدرات وأثره على الأمن القومى – ص ١٧٠ – ١٧١ .

وقد كشفت التحقيقات أن بعض تلك المخدرات كانت مخلوطة بسموم قاتلة ، وملوثة بجراثيم أو بئة فتاكة . فاجتاحت المناطق التى وزعت فيها أمراض خطيرة . فالمخدرات وسيلة مدمرة في يد العدو أكثر فتكا من الأسلحة ، لأن سمومها تنتشر في أبدان الشعب ببطء ، ودون صخب أو انفجار أو دوى ، بل الأدهى من ذلك أن أبناء الشعب يحملونها إلى اخوانهم وأبنائهم ، كما أن خطرها باق في الأجيال اللاحقة لأن تأثير المخدرات على الأجنة في بطون أمهاتهم أمر ثابت ومعروف نتيجة التعاطى ٠

أخطار المخدرات :

إن الدول الاستعمارية واسرائيل تعمل على تعويق التنمية ، وتعطيل قوى العمال والفلاحين والطلاب والموظفين ، فقد اتضح من الأبحاث التي أجراها العلماء وقام بها الأطباء أن الآثار المباشرة للتخدير تعمل على تخفيض الإنتاج كما ونوعا ، سواء عقلياً أو آلياً ، كما تبين أن نقص الانتاج وانخفاض مستواه ، يزدادان بزيادة كمية المخدر المتعاطاة ، وهذه النتائج تؤيدها المظاهر النفسية التي لوحظت على الأشخاص موضع التجربة والتي تدل على التعويق الذي يمر به الفرد أثناء العمل وتحت تأثير المخدر ٠

وتدل نتائج البحوث التي أجريت على الأفيون ومشتقاته أن آثار هذه المخدرات الصحية والنفسية تصيب الوظيفة الانتاجية للأفراد بضرر شديد ٠ ومن أهم آثار الأفيون على الشخصية : العصبية والحساسية الشديدة والتوتر الانفعالى ، وسوء الخلق وعدم الاكتراث والاهمال وانخفاض مستوى الانتاج ، وضعف القدرة على التكيف والتوافق الاجتماعى ، والتدهور الخلقى ، والتخلف الاقتصادى ، - وكل ذلك يفضى إلى التعطل والبطالة والطفيلية ، ويدفع المدمنين إلى الانزلاق في مهاوى الجريمة كالنَصْب والاحتيال وخيانة الأمانة والدعارة والسرقة ، والانزلاق في تجارة المخدرات وترويجها ٠

ويكفي لكى تدرك خطورة المخدرات أنه في أوائل الخمسينات من هذا القرن قدرت الأمم المتحدة عدد المتعاطين للحشيش في العالم بحوالى ٣٠٠ مليون نسمة ، مع أن هذا التقرير تقريبي وغير دقيق لصعوبة الوصول إلى أعداد من يمارسون هذه العادة الذميمة ، والتى تحرمها معظم المجتمعات ، وعلى الرغم من أن هذا الرقم قديم مضى عليه أكثر من ثلاثين عاماً ، إلا أن له دلالته الخاصة على مدى شيوع المخدرات وإنتشارها ٠ وتشير الإحصاءات أن معظم المتعاطين

في العالم الإسلامي ، كما أن الدول المنتجة أيضا تقع معظمها في العالم الإسلامي ، مع أنها دول نامية في أمس الحاجة إلى يقظة أبنائها وجهودهم المخلصة من أجل التنمية والتقدم وتحسين الأحوال المعيشية ٠

المخدرات في العالم الإسلامي :

فقد كانت زراعة الأفيون بتركيا هى المصدر الرئيسى الذي تغذي حركة الاتجار غير المشروع في الشرق الأوسط . وكان بعض الانتاج التركى يصنع إلى باز مورفين على الحدود السورية التركية داخل مصانع بدائية ، توطئة لنقلها إلى أوروبا لتحويله إلى مورفين وهوريين ٠

إلا أن بعض الأفيون الناتج في إيران وأفغانستان وباكستان أخذ يتزايد تهريبه يوماً بعد يوم إلى منطقة الخليج العربي مع العمالة المتزايدة المتجهة إلى هذه البلاد للقيام بأعمال العمران والتنمية ٠

وقد صرحت إيران بأنها قررت منع زراعة خشخاش الأفيون سنة ١٩٥٥ ثم عادت سنة ١٩٦٩ وصرحت بزراعته ، مما أثار قلق الدول الأخرى ، وكان المجتمع الدولى يطالب دائماً بالحد من زراعة الحشيش والأفيون ٠ ففى تركيا مثلا كان الأفيون يزرع في ٤٢ ولاية قبل سنة ١٩٦٧ ، تناقص إلى ١١ ولاية سنة ١٩٦٩ ، ثم تسع ولايات سنة ١٩٧٠ ، لتصل إلى سبع ولايات سنة ١٩٧١ ، وكان مقرراً أن تنخفض إلى خمس ولايات سنة ١٩٧٢ ، مع إدخال نظام التراخيص إلى أن وصلنا إلى الدورة الرابعة والعشرين للجنة المخدرات الدولية التى عقدت بجنيف (من ٢٧ /٩ – ٢١ /١٠ /١٩٧١) وإذا بممثل تركيا يعلن قرار حكومته التاريخى الصادر في ٢٩ يونية ١٩٧١ الذى يقضي بمنع زراعة الخشخاش وانتاج الأفيون نهائياً داخل حدود تركيا اعتباراً من محصول خريف ١٩٧٢ ٠

إلا أن الإلغاء التركي إذا حقق أهدافه في الاقلال من الأفيون التركى أو انعدامه في الأسواق ، إلا أنه يخشى من ارتفاع الأسعار واتساع الزراعات في الدول الثلاث المجاورة لسد الفراغ ، مما دفعها إلى المطالبة بالمساعدات الفنية والمادية لمواجهة الموقف وإحلال زراعات بديلة وتدعيم أجهزة الشرطة مع عقد الاتفاقيات فيما بينها للتصدى لمحاولات التهريب عبر الحدود المشتركة ٠

أما بالنسبة لإيران فلم يتحسن الموقف بالنسبة للاتجار غير المشروع : فالأفيون يتدفق

من الحدود الشرقية والمورفين من الحدود الشمالية الغربية مع عصابات مسلحة مستخدمة كافة وسائل النقل ، وشكلت الضبطيتان الرئيسيتان على الحدود الشرقية والتي بلغت إحداهما ١٢٢٨٢ كيلوجراما والثانية ٤٢٢٤ كيلوجراما من الأفيون نسبة ٨٠ ٪ من مضبوطات عام ١٩٧٣ كما ضبط ستة معامل لصنع الهيروين في اذربيجان وطهران ، وتزداد هذه الكميات في السنوات الأخيرة (١) ·

المخدرات والتنمية في لبنان :

وتتضح مشكلة التنمية وعلاقتها بالمخدرات بأوضح صورة في لبنان : فهو المصدر الرئيسى لتغذية العالم العربي والإسلامي بالحشيش ، الذي يزرع بقضائى بعلبك والهرمل من محافظة البقاع ، وتأتي المغرب في المرتبة الثانية لتغذية شمال أفريقيا وأوروبا الغربية · وقد بلغت الزراعات بالمغرب سنة ١٩٦٨ ثلاثة آلاف هكتار ، كما ضبط خمسون طناً من الحشيش وتم إتلاف ٣٨ مليون شجرة ·

ويتسرب إنتاج إيران وأفغانستان وباكستان والهند من الحشيش إلى دول الخليج العربى بكميات متزايدة مع العمالة الوافدة إلى تلك البلاد ، أما السودان فيكتفى ذاتيا بانتاجه في الجنوب ·

وقد قام المشروع الأخضر اللبناني سنة ١٩٦٦ بهدف إحلال زراعات بديلة عن زراعات القنب الهندى وأوردت مذكرة رسمية لهذا المشروع بأن قضية إحلال الزراعات المفيدة محل الزراعات غير المشروعة باتت بالنسبة للبنان قضية حيوية لأنها مرتبطة برسالته التاريخية وسمعته الإقليمية والعالمية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ·

ولكن اتضح أن المشروع يحتاج إلى رصف الطرق وتربية المواشي وإقامة مصانع الألبان وإنشاء المناحل وتربية الدواجن وزرع دوار الشمس والسمسم والفاكهة والذرة والبرسيم وفول الصويا والنباتات العطرية ، وتوفير الميكنة الزراعية ·

وقد استجابت جميع المنظمات الدولية لمد يد العون إلى لبنان ، إلا أنه اتضح أن منطقتى الهرمل وبعلبك تعتبران الحشيش مصدراً رئيسياً للدخل ، وأن توفير الماء ضرورى

---

(١) تقرير المكتب العربى لشئون المخدرات الفصل الأول – ص ١٠ – ١١ ·

للانتاج الزراعي ، كما اتضح أن رقعة زراعة الحشيش في ازدياد مستمر ، ولما كان مردود دوار الشمس لا يقارن بمردود الحشيش ، كما أن للمهربين وسائلهم الشيطانية في اغراء المزارعين ، فقد أصبحت هذه المشكلة تهدد التنمية في لبنان وفي الشرق الأوسط بوجه عام (١) ٠

ولذلك يجب على العالم العربي أن يتعاون بسرعة لإيقاف زراعة الحشيش في لبنان ، ومساعدة البلاد على التنمية الزراعية ، ودعم الزراعات المفيدة ، وتطبيق قوانين إتلاف الزراعات المحظورة ٠

مشاكل القات والتنمية :

لقد حظيت مشكلة القات باهتمام اللجنة الاستشارية بعصبة الأمم سنة ١٩٣٥ ونوقشت بدوراتها المختلفة ثم أحيلت إلى منظمة الصحة العالمية حيث أصدرت لجنة من خبرائها تقريرها الثالث عشر الذى نشر سنة ١٩٦٤ وتضمن « أن القات يشبه المواد من فصيلة الأمفيتامينات وأن الأعراض التسممية الناجمة عن الإسراف في المضغ تشبه تلك التى يسببها سوء استعمال الأمفيتامينات » ٠

وقد خرج ممثل الأمم المتحدة من الدراسات الميدانية التي أجراها بكل من صنعاء وعدن وزيارته لبعض الأراضي المزروعة بالقات وتفقده للأسواق التي يباع فيها والتي يقبل عليها المواطنون إقبالاً منقطع النظير ، أن زراعة القات قد عادت على اليمن الشمالية بأضرار صحية واقتصادية ينبغي أن تكون موضع الاعتبار عند النظر في معالجة المشكلة المتعمقة الجذور

وتتمثل بعض الأضرار الصحية لنبات القات في فقدان الشهية وسوء التغذية والتعرض للأمراض المعدية كالسل وإضعاف القدرة الجنسية لدى الرجال والتفكك الأسري وغير ذلك ٠

غير أن ما يسترعى النظر ما أبلغت به جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سكرتارية الأمم المتحدة من أنها لاحظت أن القات يستهلك مخلوطاً بمواد مخدرة أو منشطة أخرى - وأنها ضبطت ثلاث حالات كان القات فيها مخلوطاً بالمورفين ، واثنتى عشرة حالة مخلوطاً بالأفيون ، وإحدى وعشرين حالة مخلوطاً بالموباريتال ، وثلاث حالات بالمسكرات ، وهذه ظاهرة جديدة لاستهلاك القات مخلوطاً بمواد مخدرة أكثر خطورة ٠

---

(١) التقرير السابق - ص ١٧ ٠

وتتضح خطورة المخدرات على التنمية إذا ما عرفنا أن اليمن كانت من أشهر مصدرى البن الممتاز في العالم ، ولكن طغت شجرة القات على شجرة البن بسبب إقبال المواطنين على « تخزين » أوراق القات ومضغها ٠

وشجرة القات تعمر عشرين عاماً ، ولا تحتاج إلى أرض خصبة ، وتصمد للآفات وفضلاً عن ذلك فهى تدر ألف ريال في العام ، وتصدر أوراقها من صنعاء إلى عدن بما قيمته ثمانون ألف جنيه استرلينى شهرياً ٠ إنه إغراء الشيطان الذى يلعب بالعقول ! فشجرة البن موسمية لا تدر على صاحبها سوى ستين ريالاً سنوياً ، ولا تنبت إلا في أرض خصبة ، ولا تقاوم الآفات ، وتحتاج إلى تبخير ، فضلاً عن تأثير تذبذب الأسعار ، وتحكم الشركات الاحتكارية في أسعاره ، واستيلاء الحكومة على جزء من المحصول كضريبة ، يقابله إعراض اليمنيين عن تعاطى البن واستهلاك قشرته ، مما أدى إلى انخفاض صادرات اليمن من البن إلى ثلاثة آلاف طن بعد أن كانت تصدر ستة عشر ألف طن سنوياً ٠

والنتيجة أن الجمهورية العربية اليمنية تخسر سنوياً ما يزيد على ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون ساعة عمل هو الوقت الهائل الذى يضيع على أبناء اليمن بسبب مضغ أوراق القات وتخزينه وهو وقت تتبين قيمته في التنمية المطلوبة لهذا البلد الإسلامى ، فيصيب اقتصادها بخسائر فادحة ، فضلاً عن ألف مليون ريال ثمناً للقات الذي يستهلكه المواطنون (١) ٠

والعجيب أن تأتى قوائم الاتفاقية الوحيدة للمخدرات لعام ١٩٦١ ، وقوائم اتفاقية المواد النفسية لعام ١٩٧١ خالية من إدراج القات الذى ثبتت أضراره الصحية والاقتصادية والاجتماعية على شعوب بأكملها ٠ ولعل السبب في ذلك أن الهيئات الدولية تعتبر القات مشكلة إقليمية مقصورة على جنوب الجزيرة العربية وشرق أفريقيا ، وأن القات تمضغ أوراقه طازجة ولا يتحمل التصدير إلى مناطق أخرى بعيدة عن مناطق إنتاجه خشية ذبوله وضياع تأثيره الفعال ٠

ولقد وافق المشتركون في ندوة القادة الإداريين التى عقدت بصنعاء من ١٥ – ٢١ مايو ١٩٧٢ على قرار ينص « على اعتبار القات كارثة وطنية وتحريم القات بين كافة العاملين في

---

(١) نفس التقرير – ص – ٢٩ – ٣٠ ٠

الدولة واقتلاع أشجاره من أراضى الحكومة والأوقاف وامتناع وزارتى المواصلات والزراعة عن تقديم أي مساعدة لزراع القات » ·

كما تقدم المكتب الدولى العربي لشئون المخدرات بمقترحات أهمها دراسة حجم المشكلة وأبعادها ، وتشجيع وسائل الإعلام على معالجة المشكلة على كافة المستويات مستعينة بمنظمة اليونسكو وخبرتها في هذا المجال لبيان أضرار القات الصحية والاجتماعية ·

كما اقترح دراسة إحلال زراعات بديلة يكون مردودها مجزياً وموازياً لمردود شجرة القات ، وعلى رأسها شجرة البن التى اشتهرت بها اليمن منذ أقدم العصور ، وإعفاء شجرة البن من الضريبة وتقديم دعم حكومي ودولي للزارعين ، على أن تدخل اليمن منظمة البن الدولية لتستطيع الحصول على حصة تمكنها من تصدير محصولها للأسواق العالمية ·

هذا بالإضافة لضرورة تنشيط البرامج الرياضية والثقافية وشغل أوقات الفراغ بالعمل الإيجابي البناء الذي يتناسب مع البيئة والظروف الاجتماعية ، وأن يعنى بخطة التنمية وتنفيذ برامجها بعزم لا يلين علاجاً لمشكلة القات ، ودفعاً لخطرها الداهم على المواطنين الذين ينهضون بعبء التنمية ·

الجهود الدينية والإعلامية :

وقد تكون آمال التنمية عريضة ضخمة ، وإيقاع التغيير سريعاً لدرجة لا تتمشى مع قدرة بعض الناس ، وهنا ينبغي أن نحذر عند تطبيق خطة التنمية ، حتى لا يكون لها ضحايا من الذين تسول لهم نفوسهم المريضة ، ونزغات الشيطان ، وبطانة السوء التردى في هوة المخدرات لعدم إمكانهم ملاحقة التنمية في سرعتها أو في اختلافها الشديد عما عهدوه من عادات وأساليب في الحياة ·

لذلك تلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في التوعية ، وتوفير مناخ عام مواتٍ للتغيير المنشود مع بيان أبعاده ونتائجه المرجوة ، كما تعنى التربية الدينية بخلق روح معنوية عالية في نفوس النشء لتحصينهم ضد التورط في الوقوع في التهلكة ·

ولا شك أن تقوية الشعور الدينى ، وتربية الضمير الإسلامي ، وتنشيط الضوابط الدينية والأخلاقية عن طريق تبيان موقف هذه من كل ما من شأنه التأثير الضار على العقل الذى هو عنوان قيمة الإنسان . خير سبيل لإعداد الشباب لمرحلة التنمية · والمخاطب دائماً هو العقل الواعي الذي منحه الله تعالى للإنسان لاستئناس البيئة المادية والسيطرة عليها ، كما سخرها الله له ، ولكن هذه الطاقات الذهنية بحاجة دائمة إلى التوجيه والتدريب ·

غير أن للإنسان خصيصة أخرى أساسية هى الاجتماع والتعاون مع الآخرين ، وشخصية الإنسان تنمى عن طريق الأسرة والجماعة على أسس سليمة رسمتها الشريعة الإسلامية الغراء ، وبذلك تتحقق التنمية الإنسانية التى تكفل الاستقرار والطمأنينة والقدرة على التفكير الهادئ والارتقاء ، وكسب الثقة بالناس بعد الثقة بالله سبحانه وتعالى ، وكذلك الثقة بالنفس ، لأن فقدان الثقة يؤدى إلى الانسحاب ، والاستغراق في أنشطة سلبية وشاذة ، لعلها أهمها وأخطرها تعاطى المخدرات ·

ويقوم الإعلام بوسائله المتعددة من صحافة وإذاعة مسموعة وإذاعة مرئية بواجب تثبيت المثل والقيم والتشكيك في الأمور المنبوذة حتى تهتز وتنهار ، وهو أسلوب فعال يمكن أن تكون له فعالية كبيرة مع انتشار وسائل الإعلام في العصر الحديث · ولا بد من وضع برامج هادفة من أجل حماية المجتمع من شرور المخدرات ، كهدف أصيل يتوجه إلى كافة المستويات الاجتماعية والفكرية ·

ولما كان الفراغ يجر إلى الملل والسآمة ، فلابد من تمضية وقت فراغ الشباب بكل ما هو نافع لهم ومفيد لتربيتهم ، وخاصة أثناء العطلات المدرسية ، والإجازات الطويلة ، مع العناية بالساحات الرياضية والأنشطة الثقافية ·

المخدرات والأسرة :

ولا تنجح جهود التنمية في دولة ما دون أن ترتكز على دعم الأسرة ، باعتبارها الخلية الرئيسية في البناء الاجتماعى ، ومن الثابت أن الشخصية الإنسانية تتكون جذورها في أحضان الأسرة ، وتتأثر بالعلاقات الاجتماعية في نطاقها ، وإن أى خلل فيها ينعكس بالضرورة على أفرادها ، ويصيبهم بالأمراض النفسية والاجتماعية التى تعطل مسيرة التنمية ·

ولا شك أن تعاطى المخدرات يشكل عبئاً ثقيلاً على اقتصاديات الأسرة وميزانيتها ، حيث ينفق الوالد جل دخله ، بل قد يقترض أحياناً إذا ما سقط فريسة للإدمان وخاصة الأفيون ، للحصول على المخدر ومستلزماته ، مما يؤثر بالطبع تأثيراً خطراً على الحالة المعيشية العامة للأسرة من النواحي السكنية والغذائية والصحية والتعليمية والأخلاقية . فلا يستطيع أفراد الأسرة الحصول على احتياجاتهم الأساسية اللازمة للمعيشة الكريمة .

وقد تضطر الأم للعمل ، بل إنها قد تتعرض للتشرد والانحراف ، وقد تصاب بأمراض خبيثة جسمية ونفسية ، وقد ينحرف الأبناء ويتورطون في ارتكاب الجرائم ، أو يقومون بأعمال غير مشروعة أو غير أخلاقية ، وهكذا تأكل المخدرات ميزانية الأسرة ، وتهلك روحها المعنوية ، وتقضى على أخلاقها ، وتعطل إنتاجها ، وتشل نشاطها ، فتصبح الأسرة عبئاً على التنمية بدلاً من كونها عاملاً من عوامل تنشيطها ودعمها .

وإذا عرفنا أن تعاطى المخدرات أكثر انتشاراً بين الطبقات العاملة من العمال والفلاحين والصناع والحرفيين ، لأدركنا مدى حجم الخسارة على مشروعات التنمية في العالم الإسلامي ، وهى خسارة فادحة تصيب الأفراد والأموال والمجتمعات ، وتهدد بتوقف عمليات التنمية وشللها .

ولما كان الإنفاق الكبير على المخدرات يعطل توفير الحاجات الضرورية لأفراد الأسرة ، فإنه فضلاً عن ضعف الأطفال وهزالهم ، وتعريضهم لأمراض سوء التغذية ، وغيرها من الأمراض الخطيرة ، فإن إشاعة روح عدم الاكتراث ، وعدم تقدير المسئولية من جانب المتعاطى ، مع إهمال الواجب ، يعطى نموذجاً سيئاً لأفراد الأسرة ، ويقدم لهم قدوة شريرة وغير أخلاقية ، فلا ينشأ لدى الأبناء إحساس بأداء الواجب ، ولا شعور بالمسئولية ، فيشبون عالة على غيرهم ، وطفيليين على مجتمعاتهم .

المخدرات والجريمـة :

ويزيد الطين بلة تعاطى الأفيون ، لأنه يؤدي إلى أمراض نفسية وخيمة ، وعلل

جسمية فتاكة ، وتشجر الخلافات بين أفراد الأسرة ، ويزداد الصخب بين الزوج وزوجته وأولاده ، وقد يلجأ إلى العنف والضرب والسب والمقاطعة والمطاردة ، ويمتد تأثير هذه الحالة الشاذة إلى خارج نطاق الأسرة ثم الجيران ، فضلا عن الفضائح في نطاق العمل ، فيتعطل الإنتاج ، ويعم الخراب داخل الأسرة وخارجها ٠

وبالإضافة إلى هذه الآثار الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة ، تصاب الأسرة بحالات مختلفة من القلق والتوتر وعدم الاستقرار لوجود المخدرات – وهى محظورة بحكم الأنظمة – كما يسهر المتعاطون سهرات حمراء في البيوت ويحولونها إلى مواخير للفساد ، وبؤر للشرور ٠

وقد ذكرت الغالبية العظمى من متعاطي المخدرات أنهم ليسوا على وفاق مع زوجاتهم ، وفي هذا الجو المفعم بالانحراف ، لا ينشأ شباب يعول الوطن عليه ، بل تصدّر هذه الأسر أشقياء صغاراً ، ومجرمين ينخرون في عظام المجتمع كالسوس المهلك ، ولا يمكن الاعتماد عليهم في تنفيذ خطط التنمية ، لأنهم أنفسهم مشكلات تنتظر الحل ، وتزيد المشكلات المتراكمة تعقيداً ٠

وحتى إذا أودع الأطفال دور الإصلاح أو رعاية الأحداث ، ودخل الكبار السجون بعد ضبطهم يتعاطون المخدرات ، فإن مصيبتهم تصبح أدهى وأمر داخل جدران السجون ، حيث يتأثرون بمخالطيهم من السجناء ، ويصبح السجن مرتعاً خصباً لتبادل الخبرات الشريرة وحافزاً لارتكاب جرائم جديدة بأساليب ماكرة خبيثة ٠

وكثيراً ما تلجأ العصابات الإجرامية إلى تجنيد أعضاء جدد من بين السجناء ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما يلقاه متعاطى المخدرات من معاملة شاذة بعد خروجه من السجن ، إذ أنه يفقد عمله ، ويتعرض لاحتقار زملائه ، وازدراء أصدقائه ، وتحفظ أقاربه ازاءه ، لأدركنا مدى استعداده للسقوط في السلوك الإجرامى ، فقد يلجأ إلى السرقة ، أو الاختلاس أو التورط في عصابات الدعارة من أجل الحصول على المخدر – وهذه كلها تعطل مسيرة التنمية ، وتشل حركة التقدم ٠

وكثيراً ما تكون عصابات المخدرات التى تقوم بالتهريب والاتجار غير المشروع والتوزيع متورطة في أنواع أخرى من الأنشطة الإجرامية ، مثل المافيا ، وهى عصابات ذات شهرة دولية تمارس نشاطها الإجرامى في إيطاليا وأمريكا اللاتينية وغيرها من الدول ، وهى

تستغل عبودية المتعاطى للمخدر ، وعدم قدرته على شرائه ، لإجباره على المشاركة في أعمالها الإجرامية وتدريبه عليها ، كأن تجبر النساء على ممارسة البغاء أو الرجال على التهريب أو السرقة أو الاختلاس أو إخفاء المسروقات أو التجسس على أسرار بلادهم ٠

ضحايا التنمية :

إن التنمية تقوم على أكتاف الرجال الذين يعملون بجد ونشاط لبناء الحضارة ، وهى تقوم على أساس من التفكير العلمى السليم والتخطيط المحكم الدقيق ، والتدريب المستمر لكشف القدرات ، وكسب المهارات ، لأن الإنسان بطبيعته في حالة تطور دائم ، ونمو لا يتوقف ٠

غير أن التجديد في ممارسة الحياة ، كالانتقال من الحياة الرعوية إلى الصناعة ، أو من الزراعة إلى الحياة الحضرية ، أو تطوير المدن من الحارات الضيقة إلى الأحياء الفسيحة بشوارعها العريضة ، ومواصلاتها المتقدمة ، والانتقال من عصر الدواب إلى عصر البخار ثم الكهرباء فالذرة والطاقة الشمسية – كل ذلك لا يتم بسهولة ويسر ، وإنما يتطلب تعليماً وتدريباً وتوافقاً ، فالتنمية الاقتصادية والاجتماعية تنطوى على أعباء ومسئوليات ، وتتطلب واجبات واكتساب عادات جديدة ومهارات شتى ٠

وقد تقصر بعض الهمم دون بلوغ غاياتها المرموقة ، فتؤثر السلبية والهروب إلى عالم الأحلام ، أو التردى في الفكر الهدام ، أو أخطر من ذلك تعاطى المخدرات ٠

ولا قيمة لتنمية يكون ثمنها ضياع الشباب وهلاك الإنسان ، وأى تنمية لا تؤدي إلى خدمة الإنسان واستقراره ورقيه لا جدوى منها ، لأن النهضة الناجحة تؤدى إلى سعادة الفرد والمجتمع ٠ فإذا كان التصنيع يحمل في طياته خطر التحول من القيم المتكافلة المترابطة المتماسكة إلى حياة فردية متنافسة متدابرة ، يحل فيها الصراع الطبقى محل التواد والتعاون والتآزر ، فإن شره خطير ومستطير ، ولا شك أن إهمال تعاليم الدين من أهم العوامل المؤدية إلى حالات الاكتئاب النفسى والضياع وفقدان الثقة ٠ مما يؤدى إلى الإرتماء في أحضان المخدرات ٠

ومن معوقات التنمية تلك الهوة السحيقة الفاصلة بين التطور التكنولوجى الصناعى الاقتصادى ، والتطور الاجتماعى والنفسى ، إذ أنه من السهل إقامة مصنع من المصانع المتطورة ،

أو استيراد آلة الكترونية معقدة ، ولكن من الصعب توفير العمال والفنيين اللازمين لإدارة المصنع وتشغيل الآلات الدقيقة ، مع المحافظة على استقرارهم وتكامل شخصياتهم ·

ففي أثناء عملية التحول ، يجد بعض الناس مشقة في التوافق مع الحياة الجديدة ، وأمام عجزه عن تمثل السمات الضرورية للعمل الحديث ، واكتساب المهارات اللازمة له ، قد يشعر بالإحباط ، ويحس بالفشل ، وعدم القدرة على التعامل مع الواقع الجديد ، فيلجأ إلى استجابات تعويضية سلبية عاجزة ، فينغمس في شرب الخمر ، أو يسقط في هوة تعاطى المخدرات ، التماساً لسعادة موهومة ، وهروباً إلى هلوسة · تصوره عملاقاً عبقرياً ، والآخرين أقزاماً عاجزين ، فيضر بذلك نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته ·

المخدرات والفئات العاملة :

لقد ثبت من الإحصاءات أن المخدرات تنتشر بين الفئات العاملة ، وتجتاح الشباب والطلاب ، ومن هنا ندرك خطورة المخدرات على التنمية ، ومدى فداحة الضرر الذي يصيب الإنتاج نتيجة تعاطي المسكرات والمخدرات ·

فبدلا من تدريب العمال وتعليم الشباب القدرة على الانضباط ، ومراعاة الدقة المتناهية في العمل الصناعي والبحث العلمي ، وتعويدهم على الإدراك الواعي السليم ، يتعرضون لأذى المخدرات التي تورث تخلفاً في الإنتاج ، واضطراباً في إدراك الزمن ، واهتزازاً في إدراك الأصوات ، وغموضاً في وضوح الرؤية ، واختلالاً في إدراك الأحجام والألوان ، فضلًا عن اضطراب في الذاكرة ، وانخفاض كفاءة التفكير - وكل ذلك يطيح بجهود التنمية ويبدد آمال التصنيع والتقدم ، ويشتت برامج التقدم ويعطلها ·

وتدل الأبحاث التي أجريت على المدمنين في تونس على أنهم متدهورون في عملهم وتقل صلاحيتهم تدريجياً وثمة ارتباط وثيق بين حالات التدهور في القدرات العقلية وبين إدمان الحشيش في الحالات الخطيرة · أما الموظفون الذين عرفوا بالنشاط ورجال الأعمال الذين كانوا موضع ثقة ، فإنهم يتأثرون في أخلاقهم وكفاءتهم الإنتاجية ، ويتحولون بفعل المخدر إلى أشخاص يفتقرون إلى الطاقة المهنية والحماس والإرادة اللازمة لتحقيق واجباتهم العادية المألوفة ·

والحشيش يجعل من الذين يتعاطونه أشخاصاً كسالى سطحيين غير موثوق بهم ، ذوى اتجاهات خشنة ، وكلها صفات لم تكن معروفة عنهم قبل التعاطي ، وبالإضافة إلى ذلك يظهر الإهمال واضحاً في سلوكهم كما تنحرف مشاعرهم العادية ومداركهم العقلية ومعاييرهم الأخلاقية ·

وفي دراسة أخرى حول متعاطي الحشيش بين أفراد الجيش الأمريكي ، وجد أن الجنود المتعاطين كانوا يتركون معسكراتهم دون اكتراث ويذهبون لتعاطي الحشيش بالرغم من علمهم أن ذلك يعرضهم للمحاكمة العسكرية ، مما يدل على الإهمال وعدم المبالاة ·

المخدرات والشباب والجاسوسية :

ومما يؤسف له أن كثيراً من شباب الدول النامية يتردون في أوحال المخدرات ، فيتأخرون ويؤخرون تنمية بلادهم ، فبدلاً من العمل على إنجاز خطط التنمية وتنفيذ برامجها الإصلاحية ، نجد أنهم يتعرضون لمخاطر الجهل والجوع والمرض ، ويفسدون عقولهم ويخربون نفوسهم ، ويعرضون حياتهم لأشد المخاطر ، وينزلقون في مهاوي الجريمة ، وبدلاً من الانخراط في العمل الإيجابي البناء ، نجدهم يلوذون بالهروب والانسحاب باستخدام المسكرات والمخدرات ·

وتكمن المأساة الحقيقية في أن الدول الإسلامية في مسيس الحاجة إلى طاقات أبنائها ، وعقول شبابها ، وسواعد رجالها من أجل البناء والتعمير والتشييد على نحو ما أمرهم الله تعالى به ، بيد أن المخدرات تبدد الطاقات ، وتعطل النشاط ، وتعوق التنمية ، وتصرف الناس عن الواقع ، وتنأى بهم إلى عالم الأوهام والأحلام المريضة ·

ولعل أخطر ما ألم بالشباب من مصائب تقليدهم لفئات تسمى (الهيبيز) في أوروبا وأمريكا ، وفئات الاشتراكية الجديدة – وهؤلاء وأولئك يتخذون من تعاطي المخدرات تعبيراً عن التمرد ، وأسلوباً للرفض والاحتجاج · فكأن تعاطي المخدرات أصبح مذهباً فكرياً يعتنقه الشباب الساخط في العالم الغربي والعالم الشيوعي، ثم يأتي شبابنا المسلم فيقع فريسة التقليد الأعمى ويسير على نهج هؤلاء الأشقياء ·

ولقد استغل مهربو المخدرات إقبال الشباب على اعتناق هذه المبادئ الهدامة ، فأوقعوهم

في حبائلهم واستغلوهم في تهريب المخدرات ، وبذلك سقطوا بهم من جرائم الاستهلاك إلى جرائم الاتجار بالمخدرات ، ولعنة الله على أولئك الذين يجعلون من تعاطي المخدرات مذهباً له طقوسه التي تشبه الطقوس الوثنية، وتعرض تلك الطقوس على أشرطة الڤيديو التي تهرب إلى العالم الإسلامي، فيقلدها شبابنا تقليداً أعمى ·

وانها حقا لكارثة مفجعة أفضت إلى كوارث أفظع · فلقد تحول أولئك الناس من دينهم ووطنهم إلى مذاهب غيرهم وأوطان أعدائهم ، وبالتالى أضحى التأثير فيهم ، وجرهم إلى خيانة أوطانهم أمراً ميسوراً ، وذلك تحت تأثير المذاهب الوافدة ، والأفكار المستوردة ، والاتجاهات الرقيعة الهدامة ·

وقد يؤدي الاتجار بالمخدرات وتعاطيها إلى إفساد إدارة الدولة ، لأن إدخال المواد المخدرة ينطوي على إعداد وتخطيط من قبل العصابات السرية القوية التي قد تستعين في ذلك بما تملكه من مال وفير فيسقط في براثنها كبار الموظفين المكلفين بحماية زمام الدولة · وعندما ينتقل الولاء للدين إلى مذاهب أخرى تحت إغراء المال الذى يجرف بعض الرجال ويهوي بهم إلى التفريط في الأمانة ، ويتورط المسئولون في المشاركة الفعلية في تهريب المخدرات ، فإنه يصبح فساداً ضاراً بكيان الدولة ، ومهدداً لأمنها ومستقبلها ·

وقد يتورط المسئولون في أعمال التجسس على أسرار بلادهم من خلال الترويج للمخدرات وتيسيرها وتهيئة مجالسها ، وبذلك يتاح الجمع بين أفراد عديدين من فئات شتى وبلاد متعددة واتجاهات متنافرة ، فيستطيع العدو أن يجند من الضعاف أمام المخدرات عملاء له في ظل سحائب الدخان القاتل المتصاعد من المخدرات المحترقة أو تحت تأثير المشروبات والأطعمة المحشوة بها ، وذلك للحصول على أسرار تعرض الدول لأشد الأخطار ·

وكثيراً ما تتطور صفقات تهريب المخدرات إلى صفقات تهريب الأسرار الأمنية والعسكرية إلى الأعداء ، فإذا ما أثمر الإغراء بالمال ثمرته انتقلت الصفقات بعد ذلك إلى أهدافها الحقيقية ؛ ألا وهى التجسس على الأوطان وخيانتها ·

المخدرات أخطر معوقات التنمية :

يؤدي تعاطي المخدرات إلى إشاعة الجرائم في المجتمعات مثل البغاء والرشوة والاختلاس والفساد والتجسس ، كما تنتشر في المجتمع الذي يستهدف التنمية أعمال غير إنتاجية كرعاية المدمنين في المستشفيات وحراستهم في السجون ، ومكافحة المهربين وتجار المخدرات وكان الأولى

بكل هؤلاء أن ينفذوا خطط التنمية العاجلة ، لتلحق مجتمعاتهم النامية بركب الحضارة المتقدمة ، ولكن المخدرات معوق هائل في طريق التنمية لأنها تتطلب تضخم عدد أفراد الشرطة وموظفي السجون والمحاكم ، وكان من الممكن أن يتوجه هؤلاء لأعمال إنتاجية أو صحية أو توجيهية إيجابية ٠

ومعنى ذلك أن تعاطي المخدرات لا يشل قدرة الأفراد المدمنين فحسب ، وإنما يصيب بالشلل قطاعات كبيرة من المجتمع ، كما يؤدي إلى إنفاق الأموال الكثيرة على العلاج والمكافحة ، وكان من الممكن تغطية تكاليف التنمية ، تلك الأموال من أجل الرقى والنهوض والتصنيع وإقامة المدارس وبناء المستشفيات وغيرها من الخدمات ، وشق الترع والمصارف ٠

وإذا كانت هذه المخدرات تزرع في المجتمع الذى تستهلك فيه ، فإن معنى ذلك إضافة جزء من الثروة القومية في الأرض التي كان من الممكن استغلالها في زراعة ما هو أنفع للمجتمع من المخدرات ، ولكن المهربين وتجار المخدرات يقفون للتنمية بالمرصاد ، ولا يريدون تحقيقها لأنها تضيع عليهم فرص الاتجار والزراعة المحرمة ٠

كلمـة ختاميـة :

إن الوقاية خير من العلاج ، ومن واجب العلماء أن يدركوا خطورة المخدرات على عقول الناس ونفوسهم ، وأن يؤكدوا لهم دائماً أضرارها فشأنها في ذلك شأن الخمر ، فالخمر كل ما خامر العقل وغطاه وغشاه ، فهى كلها مسكرة ، فما جاء في الوعيد على الخمر ينسحب على المخدرات أيضاً لاشتراكها جميعاً في إزالة العقل ٠

وقد رأينا أن الإنسان لا يستحق هذا الوصف إلا بالعقل والإدراك وبدونهما تستحيل التنمية ويتعذر التقدم ٠ فالإنسان يعرف بعقله الخير من الشر ، والنافع من الضار ، والهدى من الضلال ، وبه رفع الله شأن الإنسان وكرمه وفضله على كثير من خلقه ، وخاطبه واستخلفه في الأرض ليعمرها وينميها ، ولا تنمية بلا عقل ، وكل ما يخمر العقل ويغطيه حرام شرعاً ، فكل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ٠ وقد اتفق علماء منظمة الصحة العالمية على إدراج الخمور والأفيون والعقاقير المؤثرة على النفس والعقل في قائمة واحدة ، واعتبروها شروراً على الأفراد والمجتمعات ، وهى نفس النظرة التي ينظر إليها علماء المسلمين إلى تلك المواد ، والله ولى التوفيق ٠

عتاب ... من الكبد

للشيخ عبدالله ابراهيم الأنصاري و الدكتور أحمد مصطفى زهرة
مدير الشئون الدينية - وزارة التربية والتعليم بقطر   قسم الكيمياء بجامعة قطر

أخي الإنسان المكرم تعال معي بكل جوارحك لتسمع محاورة واقعية بين اثنين تكون سعادة أحدهما سعادة للثاني والعكس للعكس تعال واسمع ·

إن تلك القطعة الحمراء الداكنة من اللحم الإسفنجي ، والتي تزن حوالى كيلو جرام ونصف ، وتحملها بين جنباتك ، أينما ذهبت وحيثما حللت ، والتي يطلق عليها العلماءُ اسم « الكبد » ، هي الرفيق المخلص ، وهى أكبر أعضاء جسمك من الداخل ، وأكثر أعضاء جسمك وفاءً وولاءً لك ·

ولو تخيلنا أن كبدك يتخاطب معك ويتعاتب فإنه ولا شك قائل لك :

- « أنا كبدك ، أكبر أجهزتك الداخلية ، تجدني دائماً في الجانب الأيمن من جوفك ، تحميني ضلوعك اليمنى ، ويمكنك أن تتحسسني في نهاية هذه الضلوع ·

- لقد أثبت العلم حديثاً وقديماً أني أقدم لك خدمات جليلة ، وبانتهاء خدماتي تنتهي حياتك ·

ألا تذكر يا صاحبي أن لغة الغزل هي جملة « يا بعد كبدي » ؟

• لقد قال العلماء إني مختبر كيماويات وإني مخزن كبير ومصنع لتصنيف الأطعمة وحفظها ، وكذلك لإنتاج ما تحتاجه من أغذية ، وأنا حارس يقظ لكل أجهزتك ، ولمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم ·

• لقد قام الأطباءُ والعلماءُ بحصر شامل وإحصاءٍ عام لوظائفي الحيوية فوجدوا أنها تزيد على خمسمائة وظيفة ، وما زالوا يكتشفون الكثير ·

فإذا كنت يا صاحبي تتقي الله في كبدك فأنا كبدك ، أخفف عنك ما يتكبده كل جسمك من متاعب ·

• فإذا ما تناولت طعاماً أو شراباً به نسبة من المواد الضارة أو السامة بطريق الخطأ ، فإني أحاول جهد طاقتي أن أحتجزها فلا تذهب لباقي أجزاء جسمك ، ثم أُخلصك منها بعد ذلك بطرقي العجيبة ، إن تركتني سليماً وحافظت على علاقات الصداقة بيني وبينك ·

• أما إذا كنت ممن يتعاطون السموم متعمداً ، خمراً كانت أم مخدرات ! فإنك تسبب لي متاعب لا قبل لك بها ·

ولا شك يا صاحبي أنك سمعت عمن ماتوا بسبب تليُّف الكبد ! ، لقد كان سبب ذلك إرادة ربك أن تتغلب عليَّ الكحولات والمخدرات فأتوقف عن عملي ويموت صاحبي ·

• ماذا تفعل بي الخمر ؟ · لقد أثبت البحث العلمي يا صديقي أن الخمور تزيد من طاقتي على اختزان الدهون بكثرة ، بينما واجبي أن أختزنها بحساب دقيق ؛ فأحرق منها جزءاً يمدك بالطاقة عندما تقوم بعمل شاق ، ولكن زيادة الدهون عن طاقتي تسبب لي بداية مرض تليف الكبد ·

• ولعلك لاحظت أن من يتعاطى الخمرة بانتظام ، ولعدة أسابيع قد زادت شهيته

للطعام ، أو أصبح يأكل أكثر من المعتاد ! وقد يبدو هذا تشجيعاً لك على تعاطيها !! ولكن دعني أهمس في أذنك شارحاً السبب لهذا التغير المؤقت ·

في الواقع يا صاحبي ، كما قلت لك ، أنا أقوم بدور وزارة التموين وأيضاً وزارة الصحة بالنسبة لك ·

وفيما يختص بالتموين ؛ فإني أُقسِّم بعض أجزائي إلى مخازن أو مستودعات ، ويمر عليَّ الطعام المهضوم ، بعد امتصاصه في الأمعاء فأختزن منه ما يزيد على حاجتك ، كل شيء في مكانه المخصص له ، فهنا مكان للسكريات وآخر للدهون وآخر للبروتينات وآخر للفيتامينات و ···· و ······· الخ ·

وإذا احتاج جسمك إلى أي مادة فسوف يرسل مخك إشارة إلى كبدك ، يحدد فيها المكان ونوع المادة المطلوبة وكمياتها ، فأقوم في الحال بإرسالها عن طريق قلبك ، أما إذا حدث لك نقص عام في أي مادة فإني أنبهك إلى ذلك عن طريق معدتك ، فتأكل كالمعتاد ·

أما إذا كنت تشرب الخمر ، أو ما يحتوي على كحول ، فإني أصاب بحالة من اللخبطة ، ولا أقدر على تمييز بعض المواد في طعامك وتزداد قدرتي على اختزان دهون أكثر فتمتلئ الأماكن المخصصة لهذه الدهون وكذلك أماكن أخرى كانت مجهزة ومخصصة لمواد غذائية وكيميائية أخرى ، تمتلئُ بدورها بالدهون الزائدة · وأصبح عاجزاً عن التوفيق بين متطلبات جسمك من مواد وغذاءٍ وبين الزائد من الدهون · فأُرسل إليك إشارات خاطئة ، وأخطرَ معدتك لتتقلص وتدعوك لتناول مزيد من الطعام المتنوع ، ولكن يا صديقي ما إن يتم هضم طعامك حتى أرفض اختزان كل ما تحتاجه منه لأني كما قلت لك أعاني من ضيق المكان فيذهب معظم ما تناولت من طعام إلى نفايات لا فائدة لك منها ، وهكذا تتسبب الخمرة في فتح شهيتك ، فتأكل كثيراً وتستفيد بأقل القليل مما تتناول · تماماً كسيارة تحرق البترول بكثرة ولا تمشي إلا بضعة كيلومترات قبل أن تتزود مرة أخرى بالوقود · فهل فهمت السبب ؟ وهلَّا توقفت عن تناول الكحولات حتى تعطيني فرصة لأُحرق لك معظم الدهون المختزنة وأمدك بالطاقة ، اللازمة لنشاطك وحيويتك ؟ وهل تمنحني الفرصة لأعمل من جديد أميناً على خزائن غذائك ؟

• إنك يا صاحبي إن توقفت عن تناول الخمور والمسكرات ، وكذلك أنقصت كمية الدهون في طعامك ، فإني سأقوم بتنظيم العلاقة بين ما تتناوله وما تحتاجه من طعام ، ولن أسمح للدهون بالزيادة في جسمك ، وسأخلصك منها حتى لا تتسبب في انسداد شرايينك لا قدر الله ، ويكون في ذلك مالا يحمد عقباه .

• دعني يا صاحبي أحكي لك قصة طريفة تحدث لي كل يوم ولا تشعر بها . بالطبع أنت تتناول من الحمضيات الكثير ، وقد تتناول طعاماً أو دواءً ، وربما أعددت أدوية متعددة ، بعضها قبل الأكل وبعضها أثناءه وبعضها بعد الأكل . لا بأس بذلك ياعزيزي مادام الأمر يدعو إلى ذلك ، ولكن قد يتسبب كل ما سبق في انفكاك ذرات الهدروجين وتتسرب إلى خلاياي وأغشيتي وفي هذا هلاكي ، ولكن ربُك مَنَحنِي القدرة على استدعاء بعض الدهون المحتجزة في أماكنها لتقوم بأخطر عملية ذرية لم تستطع أنت ولا إخوانك العلماءُ محاكاتها في المختبرات ؛ إنني أقوم بتصنيع مواد كيماوية أخرى تدخل في تركيبها الدهون مع ذرات الهدروجين مع مواد أخرى ، وأحولها إلى مواد فيها سلام وشفاءٌ لك من كل سوء ؛ أقول لك إني أقوم بذلك عن طيب خاطر ، طالما أنك لم ترسل إليَّ من الكحولات ما يعطلني عن أداء مهمتي وأعمالى .

• وتعالَ معي أحكي لك أيضاً عن قصة الحلوى والسكريات بل والنشويات التي تتناولها .

ما من شك أن جسمك يحتاج دائماً إلى المواد السكرية ، في كل دقيقة بل في كل ثانية ، ولكنك لا تعرف بالضبط الكمية التي تحتاجها ، والكمية التي يجب أن تظل في دمك ولا تقل أو تزيد عنها ! . أنا كبدك أقوم في صمت شديد بمراقبة ما تتناول من السكريات والنشويات ، وحينما يصلني فإني أتولى بنفسي عملية تحويلها إلى مادة أخرى اسمها « الجليكوجين » ، وأختزنها في مكانها المخصص لها عندي .

فإذا كنت في عجلة من أمرك ، أو كنت تجري ، أو تصعد السلَّم في منزلك فإنك ولا شك تحتاج إلى طاقة . فأقوم في الحال بتحويل الجليكوجين إلى سكريات أحادية أرسلها إلى دمك بحساب دقيق ، ويقوم أخي البنكرياس بإفراز مادة الأنسولين وهذه تتسبب في حرق السكريات وتحويلها إلى طاقة تحتاجها أنت . كل هذا يتم في ثوان قليلة وكما قلت لك بحساب دقيق وبتعاون تام بين أجزاء جسمك المختلفة ، لو كانت كلها تعمل دون خلل .

فإذا تناولت يا صاحبي المسكرات أو المخدرات فماذا يحدث في هذا المختبر الذي ينظمه خالقك وخالقي ؟ إن الأمور تختلط عليَّ ، ويضيع جزءٌ من مجهوداتي في محاولاتي احتجاز أكبر قدر من هذه السموم حتى لا تصل إلى دمك ، ولكن هذه المسكرات ، يصل جزءٌ كبير منها إلى الدم قبل أن تمر على كبدك ، ويصلني جزءٌ كبير يمنعني عن تنظيم كمية السكريات في دمك ، فلا أقوى على تحويل أو اختزان الزائد منها ، وبذلك تزداد فرصة إصابتك بمرض السكري ، وخصوصاً إذا لم يستطع أخي البنكرياس بدوره أن يساهم في حرق السكريات الزائدة ·

• ومما لا شك فيه أن صاحبي ينمو جسمه كل يوم ، فتتجدد خلاياه وتتغير تلك الخلايا التي تتلف ، ودوري هنا أني أقوم بتصنيع ما تتناوله من بروتينات وتحويلها إلى مواد تدخل في بناء خلايا جسمك فأُساعدك على تجديد حيويتك ونشاطك بإذن الله ·

• هل تعلم يا صاحبي أني أختزن مركبات الحديد والنحاس وغيرها بين ثنايا كبدك ؟

إنني أستخدم هذه المواد في صنع كريات الدم الحمراء عندما تحتاج لمزيد من الدم بعد عملية جراحية أو بعد نزيف · نعم يا صاحبي ؛ أنا أزودك في دقائق بما فقدته من دماءٍ إذا كنت تحافظ عليَّ وتتركني أعمل دون كحولات · فأنا أرد لك الجميل وأنا مرتاح البال ·

• أنا يا صديقي لا أمُن عليك ، فأنا منك وبك ، ولكني أود أن أذكر لك أن من أهم وظائفي التي ألزمني الله بها ، أني أُنتج لك كل يوم ما يزيد على لتر ونصف من مادة الصفراء ، وأُرسلها إلى جهازك الهضمي لتساعده على هضم الدهون وكذلك الفيتامينات الذائبة فيها · ومن حسن حظي أن الطب قد اعترف أخيراً بأني لست مسئولا عن مرض الصفراء ، ولكنها مسئوليتك أنت إذا لم تحافظ عليَّ ·

• والآن يا عزيزي ، هل تعلم أنه إذا جرح أحياناً موضع بجسمك ، فإن الأوامر تصدر إليَّ فوراً من المخ تقول لي ، « يا كبدَ فلان ، هناك نزيف فى المكان الفلاني يتدفق منه الدم » · وسرعان ما أُفرز مادة خاصة من مئات المواد التي أصنعها واسمها « الفيبرينوجين » وأُرسل بها عبر أوعيتك الدموية إلى مكان النزيف ، بالإضافة إلى كيماويات أُخرى ، تتحد مع

بعضها ويساعدها الهواء ، فتقوم بعملية سد الجرح في الحال وتمنع عنك الميكروبات أو التلوث أو الموت نزفاً ٠

• هناك يا صاحبي مئات الخدمات أقوم بها وأقدمها لك كل دقيقة إن حفظتني من السموم ٠ ودعني أذكرك ببعضها وأدقّها جميعاً ٠

لا شك أنك لا تدري أني أقوم بإفراز مضادات حيوية طبيعية ٠ فأرسلها إلى دمك لتهاجم الجراثيم والميكروبات وخلافه لتقضي عليها فوراً ، ولا أتركها تتكاثر فتقضي علينا ٠

وأخيراً يا صديقي فأنت تشرب الشاي ، والقهوة وتتناول العقاقير المسكنة أو العقاقير المنبهة أو المنشطة ، أو الأدوية دون استشارة طبيب ٠ ولكني أقوم في مختبراتي بمجهود ضخم ، وبما منحني الله من قدرة على العمل ، أحول دون تراكم هذه السموم في جسمك ، وربما أحولها إلى مواد غير سامة وأرسلها فوراً إلى زميلتيَّ ، كِلْيَتيك ، فتقوم هاتان الكليتان بالتخلص من هذه المواد الزائدة أو الضارة ٠

وبعد يا صاحبي ٠ هذا قليل من كثير مما أقدمه لك ٠ وما زلت أقدم لك الكثير ٠ وحتى لو اقتطع الجراح جزءَاً مني ، فأنا كبدك أخفف عنك ما تكابد ٠ وسوف أقدم لك خدماتي كاملة لأني أضاعف من جهدي بما يتبقى سليماً مني ٠

وتعال يا صاحبي نتفق سوياً ، ونعقد معاً معاهدة صداقة وعدم اعتداءٍ ٠

فإذا لم تكن أكذوبة المدنية الحديثة قد أغرتك بتناول الخمور ، وإذا لم يكن أقران السوء قد مهدوا لك طريق الانغماس في تعاطي الكحولات ، وإذا كنت قوي الإرادة ، متمسكاً بفضائل دينك ، فإني أشكرك من كل « كبدي » وأعاهدك أن أظل وفياً مخلصاً ما دمت قد ابتعدت عن طريق الإثم الكبير ، ولكن ! ٠٠ قد يهمس شرير في أذنك ، أن قليلا من الخمر يصلح المعدة ، أو أن الكحول يزيل الآلام ، وينسيك الهموم ، ولكني أقول لك بأمانة أن الكحول مخدر وقتي أي أنَّ مفعوله مؤقَّت وقد يسكن الألم إلى حين ، ولكنه يعاودك أشد ألماً ، بالإضافة إلى ما تتركه المسكرات من آثار تتراكم على مر السنين وتُسبب لي التليّف والتوقف ٠

ورجائي لك إن كنت ممن يتعاطون المسكرات أو المخدرات ، أن تتوقف قبل فوات الأوان ، ولا تيأس من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، وأعدك ، رغم ما سببته لي من تعطيل وآلام ، أن أضاعف جهدي ، وأبذل أقصى طاقتي لخدمتك ، وأن أستخدم ما تبقى مني دون تليّف . بفعل الخمر . أستخدمه بأقصى كفاءَة لأعوضك ما فاتك من خدمات جسمانية . وأن أحاول بعون الله أن أخلصك من آثار أم الخبائث ما دمت على عهدك محافظاً ، وعن الخمور والمحرمات مبتعداً .

بارك الله لك في عقلك ، حتى تقرأ وتصدّق وتتعظ ، وجعلك الله « ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه » .

صديقك المخلص
كبدك

السم المرخص بتداوله في العالم..!

إن الكحول هو السم الوحيد المرخص بتداوله على نطاق واسع في العالم كله ، ويجده تحت يده كل من يريد أن يهرب من مشاكله ولذا يتناوله بكثرة كل مضطربي الشخصية ، ويؤدي هو إلى اضطراب الشخصية ، ومرضها . أما الجرعة الواحدة من الكحول فقد تسبب التسمم وتؤدي : إما إلى الهيجان . وقد تؤدي إلى الغيبوبة . أما شاربو الخمر المزمنون فيتعرضون للتحلل الأخلاقي الكامل مع الجنون .

رئيس قسم الأمراض النفسية بجامعة لندن

سبيل الدعوة الإسلامية للوقاية من المسكرات والمخدرات

للدكتور جمعة الخولي

رئيس قسم الدعوة بكلية الدعوة وأصول الدين

وضع الإسلام جملة من الوسائل التى تعمل على تنقية الفطرة من الأوشاب والأوضار التى تعكر صفاءها ، أو تطمس معالم الحق فيها ، وتحرص على حماية الإنسان من كل ألوان الخبائث التى تصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد سلكت الدعوة في تحقيق هذه الوسائل وفي تربية النفس البشرية على حب الطيبات من المطاعم والمشارب والأعمال ، والإقبال عليها ، وعلى بغض الخبائث من هذه الأنواع والبعد عنها ، سلكت منهجا قويماً جديراً بالتأمل والاعتبار .

وقبل أن نبين الطريق الذى سلكته الدعوة قديما وتسلكه حديثا لتجنيب أتباعها خطر المسكرات والمخدرات وكل ما من شأنه أن يضر بالإنسان ويورث غضب الله .

قبل ذلك نعرف بالمسكرات والمخـدرات ...

أولا : المســـــكرات :

المسكرات جمع مسكر ، وهى تطلق في اللغة على كل ما يغطى العقل ويخرجه عن طبيعته المميزة الواعية . قال صاحب القاموس المحيط : سكر كفرح .. نقيض صحا .. والسكر محركة : الخمر ، وكل ما يسكر (١) وقال الجوهرى : السكران خلاف الصاحى (٢) .

---

(١) مختصرا من ترتيب القاموس المحيط ٢ / ٥٨٥

(٢) الصحاح للجوهرى ج ٢ / ٦٨٧

أما في اصطلاح الشريعة فالمسكر كل ما من شأنه الاسكار بلا تفريق بين شكل المسكر أو مظهره ، ودون نظر إلى المادة التى أخذ منها سواء كان عنبا أو حنطة أوشعيرا أو غير ذلك ، سائلا كان أو جامدا ، وأيا كانت طريقة تناوله شربا أو أكلا .. بذلك جاءت الأحاديث والآثار ..

في الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » (١) . ولفظ مسلم « كل مسكر حرام » دون تفريق بين نوع ونوع .

وقال « كل شراب أسكر فهو حرام » (٢) « دون تفريق أيضا »

كما قال عليه الصلاة والسلام « وإنى أنهاكم عن كل مسكر » (٣) .

ولما نزل تحريم الخمر في القرآن الكريم فهم الصحابة رضوان الله عليهم من ذلك تحريم كل ما يسكر نوع دون اعتبار للمادة التى أخذت منه . فما كان مسكرا من أى نوع من الأنواع اعتبروه خمرا ويأخذ حكمه . سواء كان ذلك موجودا في عصر النبى صلى الله عليه وسلم أو ظهر بعده ، وسواء وجد في عصرنا أو يظهر في المستقبل ، وسواء سمى باسمه حقيقة ، أو بغير اسمه .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « إن تحريم الخمر نزل وهى من خمسة : العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير » ثم قال : والخمر ما خامر العقل (٤) .

فكأنه قال : الخمر الذى وقع تحريمه في لسان الشرع هو ما خامر العقل في أى زمان ومكان . أى غطاه وخالطه ولم يتركه على حاله .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه سأل النبى عن شراب من العسل يقال له النبيذ ؛ وشراب من الشعير يقال له المزر . وكانت تصنع باليمن فقال عليه الصلاة والسلام كل مسكر حرام » (٥) .

أى : بأى اسم ، أومن أى مادة وماهية ، ولا عبرة بالأسماء فالأسماء لا تغير الحقائق ، وكل ما كان فيه اسكار فهو حرام .

كما روى عن السيدة عائشة قولها « لا أحل مسكرا وإن كان خبزا أو ماءً » (٦) .

---

(١) البخارى ومسلم .

(٢) البخارى ومسلم .

(٣) أبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٤) أنظر فتح البارى ١٠ / ٤٧ .

(٥) جامع العلوم والحكم / ٣٩٤

(٦) المحلى ٤ / ٥٩١ مطبعة الامام ـ القاهرة .

وقال ابن رجب الحنبلى : « قالت طائفة من العلماء وسواء كان هذا المسكر جامدا أو مائعا ، وسواء كان مطعوما أو مشروبا ،وسواء كان من حب أو تمر أولبن أو غير ذلك » (١) .

وقبل أن يذكر ابن رجب ذلك يقول « إن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يحتجون بقول النبى صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام » على تحريم جميع أنواع المسكرات » ما كان موجوداً منها على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وما حدث بعده » (٢) .

كما سئل ابن عباس عن الباذق فقال : سبق محمد صلى الله عليه وسلم الباذق ، فما أسكر فهو حرام ، يشير إلى أنه إن كان مسكرا فقد دخل في هذه الكلمة الجامعة العامة » (٣)

والباذق : شراب كان معروفا عندهم وهو معرب من الفارسية ، قال ابن الأثير : هو بفتح الذال ، تعريب باذه ، وهو اسم الخمر بالفارسية (٤) .

ومعنى سبق محمد الباذق ، أى سبق حكمه أو سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها ، وبهذه الاعتبارات السابقة في معنى المسكرات فان اسم الخمر يطلق على كل المسكرات ، لأن الاشتراك في الصفة يقتضى الاشتراك في الاسم أيضاً ، والى ذلك الاشارة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق : « كل مسكر خمر » كما روى عن النعمان بن بشير أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إن من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا ، ومن الزبيب خمرا ، ومن التمر خمرا ، ومن العسل خمرا ، وأنا أنهاكم عن كل مسكر » (٥) .

هذا .. واذا كان البعض ذهب إلى تخصيص الخمر بعصير مواد معينة كالتمر والعنب مثلا ، وما عداهما فلا يحرم إلا القدر المسكر ، فان ما سبق من أدلة ونصوص يكفى بعضهم في الرد عليهم .

ولعل مما استدل به هؤلاء حديث « الخمر من هاتين الشجرتين ، النخلة والعنبة » (٦) لكن الحديث ليس على إطلاقه ، وانما هو مبنى على الغالب الموجود ، أو الأهم الأكبر ، كما في حديث « الحج عرفة » أى أهمه ومعظمه .

فليس في الحديث ما يشير إلى نفى الخمر من غيرهما قال القرطبى : « ثبت بالنقل

---

(١) جامع العلوم والحكم / ٣٩٧
(٢) المرجع السابق .
(٣) نفس المرجع .
(٤) النهاية في غريب الحديث ١ / ١١١
(٥) أبو داود والترمذى وابن ماجه .
(٦) مسلم .

الصحيح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ وحسبك به عالما باللسان والشرع ـ خطب على منبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس : ألا إنه قد نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، ثم قال : والخمر ما خامر العقل » وهذا أبين ما يكون في معنى الخمر ، يخطب به عمر بالمدينة على المنبر بمحضر جماعة من الصحابة ، وهم أهل اللسان ، ولم يفهموا من الخمر إلا ما ذكرناه ، واذا ثبت هذا بطل مذهب أبى حنيفة والكوفيين القائلين بأن الخمر لا تكون إلا من العنب وما كان من غيره لا يسمى خمرا ولا يتناوله اسم الخمر وإنما يسمى نبيذا (١) .

وساق ابن رحب حديث « كل شراب مسكر فهو حرام » عن عائشة رضى الله عنها ، ثم قال : «نقل ابن عبد البر اجماع أهل العلم بالحديث على صحته وأنه أثبت شيء يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريم المسكر ثم قال : وأما ما نقله بعض فقهاء الحنفية عن ابن معين من طعنه فيه فلا يثبت ذلك عنه ، وخرج مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل مسكر حرام » وإلى هذا القول ذهب جمهور من علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار وهو مذهب مالك والشافعى والليث والأوزاعى وأحمد واسحق ومحمد بن الحسن وغيرهم ، وهو ما أجمع على القول به أهل المدينة كلهم وخالف فيه طوائف من علماء أهل الكوفة وقالوا : ان الخمر انما هو خمر العنب خاصة ، وما عداها فانما محرم منه القدر الذى يسكر ولا يحرم ما دونه ، وما زال علماء الأمصار ينكرون ذلك عليهم » (٢) .

ونعود فنقرر ـ ما قرره جمهور الفقهاء وهو الصحيح ـ أن كل ما من شأنه أن يسكر يعتبر خمرا ولا عبرة بالمادة التى أخذت منه ، فما كان مسكرا من أى نوع من الأنواع فهو خمر شرعا ويأخذ حكمه ، يستوى في ذلك ما كان من العنب أو التمر أو الحنطة أوالشعير أو العسل ، أو ما كان من غير هذه الأشياء (٣) .

يقول الإمام ابن تيمية « إن الله حرم الخمر لأنها توقع بيننا العداوة والبغضاء وتصدنا عن ذكر الله وعن الصلاة ، كما دل القرآن على هذا المعنى ، وهذا المعنى موجود في جميع الأشربة المسكرة لا فرق في ذلك بين شراب وشراب ، فالفرق بين الأنواع المشتركة من هذا الجنس تفريق بين المتماثلين ، وخروج عن موجب القياس الصحيح كما هو خروج عن موجب النصوص » (٤) .

---

(١) انظر تفسير القرطبى ٦ / ٢٩٤

(٢) جامع بيان العلم وفضله / ٣٩٥

(٣) المحلى لابن حزم ٧ / ٥٦٢ المغنى لابن قدامة ٩ / ١٥٨ ـ نيل الأوطار للشوكانى ٧ / ٣١٥ ط دار الجيل . فلسفة العقوبة لأبى زهرة القسم الأول ١٧٩

(٤) الفتاوى ج ١٩ / ٢٨٩

ما أسكر كثيره فقليله حـــرام :

واذا كانت الشريعة قد اعتبرت كل مسكر حراماً دون اعتبار للمادة التى أخذت منه فقد اعتبرت أيضا أن القليل منه كالكثير ..

قال صلى الله عليه وسلم : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » (١) .

وقال : « ما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام » (٢) وفي رواية « الحسوة منه حرام » .

أى ما أسكر الكثير منه فالجرعة منه حرام ، والفرق ــ بفتح الفاء وسكون الراء أو فتحها إناء ــ يسع ستة عشر رطلاً (٣) إن قليل الخمر يدعو إلى كثيرها ، والكأس منه تنادى على أختها ، وتغرى بغيرها وهكذا حتى الإدمان .

وروى ابن عجلان عن عمرو بن شعيب حدثنى أبو وهيب الجيشانى عن وفد أهل اليمن أنهم قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه عن أشربة تكون باليمن فسموا له البتع من العسل والمزر من الشعير قال النبى صلى الله عليه وسلم : هل تسكرون منها ؟ قالوا : إن أكثرنا منها سكرنا . قال : فحرام قليله ما أسكر كثيره » (٤) .

ثانيـــا : المخــــدرات :

الخدر ــ بالكسر ــ ستر يمد للجارية في ناحية البيت ، وخدر الجارية أهلها اذا ستروها وخدر العضو إذا استرخى فلا يطيق الحركة ، والخدر الكسل والفتور (٥) .

ويجمع هذه المعانى اللغوية كلها أن المخدر يطلق على كل ما يورث الكسل والضعف أو الفتور والاسترخاء ومن معانيه أيضا الستر والتغطية . وبذلك يلتقى المعنى اللغوى مع المعنى الشرعى للمخدرات .. إذ أن الفقهاء يذهبون إلى أن المخدر هو تلك المادة التى يترتب على تناولها كسل وفتور ، أو تغطية العقل من غير شدة مطربة ، ذلك أن من شأن الإسكار بنحو الخمر أنه يتولد عنه النشاط والطرب والعربدة والحمية ، ومن شأن السكر بنحو

---

(١) أحمد وأبو داود والترمذى .

(٢) أحمد وأبو داود والترمذى .

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب / ٣٩٧

(٤) ترتيب القاموس المحيط ـ حرف الفاء .

(٥) انظر في ذلك المعاجم اللغوية مثل القاموس المحيط ولسان العرب

الحشيشة أن يتولد عنه أضداد ذلك من تخدير البدن وفتوره ومن طول السكوت والنوم وعدم الحمية (١) ٠

أنواع المخــدرات :

تنقسم المخدرات إلى قسمين :

أ ــ مخدرات طبيعية ٠
ب ــ مخدرات صناعية أو كيماوية ٠

فالمخدرات الطبيعية هى المواد الخام التى تستخلص من النباتات المخدرة مثل :

١ ــ الأفيون ومشتقاته ، ويستخرج من ثمار نبات يسمى « أبو النوم » ٠
٢ ــ الكوكايين ، الذى يستخرج من شجرة الكوكا ٠
٣ ــ الماريجوانا ، الذى يستخرج من نبات الخشخاش والقنب الهندى ٠
٤ ــ البنج ، نبات يسمى في العربية شيكران ، أو سيكران ٠
٥ ــ الحشيشة ، من ورق القنب الهندى ٠
٦ ــ القات ، وتنتشر زراعته في اليمن ، والبنقو وينتشر في السودان ٠

وهناك أنواع أخرى ذكرها العلماء مثل جوزة الطيب والجنزفورى والداتورة وغيرها (٢) ٠

والمخدرات الصناعية هى التى تصنع في المعامل وتقدم في شكل حبوب أو كبسولات أو حقن ٠٠ وأخطرها عقاقير الهلوسة المسماة بعقار إل : سى : دى الذى يؤثر تأثيراً كبيرا على الذاكرة والسلوك ، ويؤدى إلى اختلال الشخصية وعدم توازنها ٠٠ ويلجأ المتعاطون إلى المخدرات الصناعية كبديل للمواد المخدرة الممنوعة اشباعا لرغباتهم في هذه المواد ، وتهربا من عقوبة احراز المخدرات ، أو عجزا عن الحصول على المخدرات الطبيعية كالأفيون والحشيش لارتفاع سعره ، أو ندرة وجوده أو صعوبة الحصول عليه ٠

وهكذا لم يعد تعاطى المخدرات مقصورا على المخدرات التقليدية ، وانما تجاوزتها لتشمل العقاقير المصنعة منها للاعتبارات السابقة أو غيرها ٠

---

(١) الزواجر لابن حجر الهيتمى ج ١ / ٢١٤ ط الحلبى ٠

(٢) انظر المخدرات ـ أنواعها ، أضرارها أحمد محمود حافظ ص ٧ وما بعدها ومحاضر جلسات المؤتمر الإقليمى السادس للمخدرات الذى انعقد في المملكة العربية السعودية في شوال سنة ١٣٩٤ هـ والندوة الدولية العربية حول ظاهرة تعاطى المخدرات ـ القاهرة سنة ١٩٧١

حكم المخـــدرات :

يعرف السكر بأنه « غيبة العقل من تناول خمر أو ما يشبه ذلك (١) ولما كانت المخدرات تحدث نفس الأثر الذى تحدثه المسكرات فإنها تدخل تحت هذا التعريف وتأخذ حكمها ، وما جاء في الوعيد على الخمر يأتى في المخدرات كذلك لاشتراكهما في إزالة العقل المقصود للشرع حفظه وسلامته . ولذلك يدخل تحت التعريف السابق للمسكرات كل أنواع المخدرات إلا ما استعمل منه في التطبيب والعلاج كما سيأتى بيانه ونسوق الآن الأدلة على حرمة المسكرات من جوانب ثلاث .

الأول : من السنة النبوية الشريفة :

روى أبو داود في سننه من حديث شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر » (٢) .

والمفتر : هو المخدر الذى يورث الفتور والخدر في أعضاء الجسم ، وإن لم ينته إلى حد الإسكار (٣) .

والفتور هو الأثر البارز لتناول المخدرات .

وعليه فان كل مادة يثبت إسكارها أو تخديرها أو تفتر الجسم أو العقل ينطبق عليها الحكم بالتحريم أيا كانت مادتها أو اسمها ، طالما أن جوهرها مسكر أو مفتر بناء على ما ثبت عن نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر .

فالنهى عن تناول شيء يدل على تحريمه ، وقد نهى عن المسكر ثم عطف عليه المفتر وصيغة العطف تقتضى اشتراك المعطوف على المعطوف عليه في الحكم لأن القاعدة عند المحدثين والأصوليين أن النهى اذا ورد عن شيئين مقترنين ثم جاء النص على النهى عن أحدهما حرمة أو غيرها أعطى الآخر ذلك الحكم ، وقد ذكر المفتر مقرونا بالمسكر في الحديث ، وبما أنه قد تقرر حرمة المسكر استنادا الى ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين فيجب أن يعطى المفتر حكمه .

قال العلقمى في شرح الجامع حكى أن رجلا من العجم قدم القاهرة وطلب دليلا على تحريم الحشيشة وعقد لذلك مجلساً حضره علماء العصر ، فاستدل الحافظ زين الدين العراقى بحديث أم سلمة « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر » فأعجب

---

(١) التشريع الجنائى ـ للأستاذ عبد القادر عودة ج ١ / ٥٨٣ . وانظر الفتاوى لا بن تيمية ج ٣٤ / ٢٠٤

(٢) جامع العلوم والحكم ٣٩٧

(٣) المرجع السابق .

الحاضرين قال : ونبه السيوطى على صحته ، واحتج به ابن حجر على حرمة المفتر ولو لم يكن شرابا ولا مسكرا (١) ٠

قال ابن رجب « واعلم أن المسكر المزيل للعقل نوعان ، أحدهما ما كان فيه لذة وطرب فهذا هو الخمر المحرم شربه ، ... ثم قال : وأدخلوا في ذلك الحشيشة التى تعمل من ورق العنب وغيرها مما يؤكل لأجل لذته وسكره ، ثم ساق حديث أم سلمة السابق ٠

الثانى ، ما يزيل العقل ويسكره لا للذة فيه ولا طرب كالبنج ونحوه ، فقال أصحابنا إن تناوله لحاجة التداوى به وكان الغالب منه السلامة جاز ... وإن تناول ذلك لغير حاجة التداوى فقال أكثر أصحابنا كالقاضى وابن عقيل وصاحب المغنى إنه محرم لأنه سبب إلى ازالة العقل لغير حاجة فحرم شرب المسكر ، وروى حبيش الرحبى - وفيه ضعف عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا « من شرب شرابا يذهب بعقله فقد أتى بابا من أبواب الكبائر » (٢) ٠

وقال ابن تيمية في فتاويه : « من العلماء من حرم كل مسكر بطريق القياس إما في الاسم وإما في الحكم ، وهذه الطريقة التى سلكها طائفة من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى وأحمد ، يظنون أن تحريم كل مسكر إنما كان بالقياس في الأسماء أو القياس في الحكم ، والصواب الذى عليه الأئمة الكبار أن الخمر المذكورة في القرآن تناولت كل مسكر ، فصار تحريم كل مسكر بالنص العام والكلمة الجامعة لا بالقياس وحده ، وإن كان القياس دليلا آخر يوافق النص ، وثبتت أيضا نصوص صحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم بتحريم كل مسكر ،وبعد أن ساق ابن تيمية بعضا من الأحاديث التى سبق أن ذكرناها قال : وعلى هذا فتحريم ما يسكر من الأشربة والأطعمة كالحشيشة المسكرة ثابت بالنص وكان هذا النص متناولاً لشرب الأنواع المسكرة من أى مادة كانت من الحبوب أو الثمار ، أو من لبن الخيل أو من غير ذلك » (٣) ٠

ويقول في مكان آخر : « كل ما يغيب العقل فانه حرام وإن لم تحصل نشوة ولا طرب فإن تغييب العقل حرام باجماع المسلمين (٤) ٠

الثانى : من القواعد العامة في الشريعة :

من القواعد المقررة في الإسلام أن كل ما أضر الجسم أو العقل فهو حرام ٠
وقد ثبت أن المخدرات تحمل من الأخطار والمفاسد الدينية والدنيوية الكثير ...

---

(١) تهذيب الفروق والقواعد السنية للشيخ محمد على حسين مطبوع على هامش الفروق ج ٨ ٢١٦
(٢) جامع العلوم والحكم ٣٩٧
(٣) الفتاوى ج ١٩ / ٢٨٢
(٤) المرجع السابق ٣٤ / ٢١١

يتحدث الإمام ابن تيمية عن بعضها فيقول : « كفى بالرجل شرا أنها تصده عن ذكر الله وعن الصلاة اذا سكر منها ، وقليلها وإن لم يسكر فهو بمنزلة قليل الخمر ، ثم انها تورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وانفتاح شهوته ما لا يورثه الخمر ... فهى بالتحريم أولى من الخمر لأن ضرر آكل الحشيشة على نفسه أشد من ضرر الخمر ، وضرر شارب الخمر على الناس أشد » كما ذكر أنها تورث قلة الغيرة وزوال الحمية حتى يصير آكلها إما ديوثا ، وإما مأبونا ، واما كلاهما ، وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقا كثيراً مجانين ، ومن لم يجن منها فقد أعطته نقص العقل ، ولو صحا منها فإنه لا بد أن يكون في عقله خبل » (١) .

كما يسوق ابن حجر الهيثمى بعض هذه الأضرار التى ذكر أنها تبلغ مائة وعشرين مفسدة دينية ودنيوية منها « تعرض البدن لحدوث الأمراض ، تصدع الرأس تورث النسيان تورث اختلال العقل وفساده وتذهب الحياء والغيرة واتلاف الأموال والوقوع في المحرمات تورث الرعشة ، ولها آثار ضارة على الكبد ... الخ ما ذكره » (٢) .

كما يذكر فريد وجدى في دائرة معارفه أن الحشيش الذى يستعمله الناس للتخدير هو عصارة القنب الهندى وهو مخدر مفقد للاحساس مضر بالمجموع العصبى ضررا بليغا جدا ونتيجته الطبيعية الجنون بأشد حالاته وتدخينه عادة مرن عليها بعضهم واستناموا لها استنامة لا فواق منها ، وهم في الحقيقة جانون على أنفسهم وعائلاتهم جناية ليس وراءها » ((٣) .

واذا كان هذا ما ذكره بعض علماء المسلمين منذ سنوات طويلة ، فان التقارير العلمية الحديثة والأبحاث الطبية تؤكد هذه الأضرار للمخدرات وتزيد عليها . يذكر تقرير صادر عن لجنة المخدرات بالولايات المتحدة الأمريكية أن الآثار المباشرة للتخدير تتلخص في الآتى :

ارتعاشات عضلية - زيادة في ضربات القلب - سرعة في النبض - شعور بسخونة في الرأس - دوار - برودة في الأطراف - شعور بضغط وانقباض في الصدر - اتساع في العيون - تقلص عضلى - قئ في بعض الحالات - .

ويضيف التقرير بأن هذه الاستجابات قد تزيد في شدتها تبعا للحالة التى تنتهى بالنوم (٤) ويزيد بعض الباحثين الأمريكيين آثارا أخرى مثل : جفاف بالفم مع التهاب

(١) الفتاوى ٣٤ / ٢٢٣ ، ٢٢٤

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ج ١ / ٢١٥

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ٣ / ٤٤٧

(٤) الندوة الدولية العربية حول ظاهرة تعاطى المخدرات ١١٧ / ١١٨

بالحلق ـ عدم توازن حركى في الجلوس والمشى ـ دوار ودوى بالأذن ـ انخفاض ضغط الدم ـ احساسات جسمية خاطئة أو وهمية كشعور بطول الأطراف (١) ٠

كما ذكر الدكتور عبد العزيز شرف تحليلا علميا لما تحدثه المخدرات في الجهاز العصبى للانسان فكان مما قال : « إن المخ يحوى سلسلة من المراكز العصبية الهامة التى تتحكم في الشخص وحركاته وسكناته وتفكيراته ، وتتلخص هذه في :

١ ـ مراكز عليا ويتميز بها الإنسان عن الحيوان ، وهى مراكز تتعلق بالخجل والإحراج التى لولاها لفعل الإنسان ما يفعله الحيوان ، وكذا هناك مراكزللخوف والهموم والتقدير السليم للوقت والمسافات والأشكال وغيره ٠

٢ ـ مراكز الوعى والإنتباه وهذه تحكم في اليقظة والنوم ولها علاقة قوية بالحواس الخمس التى باخمادها وضعفها يتم النوم أما تنبيهها فيحدث اليقظة والوعى ٠

٣ ـ مراكز الحركة ومنها الكلام ، وهذه إن اختلت اختل معها المشى والكلام ٠

٤ ـ مراكز الحواس الخمس ، وهى مراكز السمع والبصر والحس والذوق والشم ،ولها علاقة متينة بمراكز الوعى والانتباه التى تعتمد عليها تماماً ٠

هذا ويعتمد المخ كذلك في وظائفه على مراكز الوعى والانتباه والحواس الخمس فاذا اختلت هذه اختل المخيخ وجاء الجسم بحركات غير متزنة ٠

فاذا ما أخذ الإنسان مخدرا أو مسكرا تتأثر به هذه المراكز وتلك الوظائف المخية بترتيب رقمها كما هو مذكور بدرجة تتوقف على كمية المسكر أو المخدر ، وأول المراكز تأثيرا هى المراكز العليا للخجل والإحراج والتقدير وخلافها ، وهذه إذا ما خمدت بالمخدرات مثلا فلا خجل ولا خوف ولا إحراج ولا تقدير للأشياء ، وبهذا قد تنمى الفوارق الإنسانية وتظهر الجرأة في الحركات والغلظة في الأقوال ، ويسود اعتقاد القوة والبطش ... فتنقلب إنسانية المتعاطين إلى حيوانية باطشة لا تقدير للعواقب ولا للوقت والمسافات والأشياء ، فيظن الثوانى ساعات ، والأمتار أميالاً ، والنمل أفيالا وضعفه قوة ، وغباءه ذكاءً ، ومهاتراته نكات فينساق وراء تلك المظاهر الخداعة الكاذبة بدون مخ يسيطر عليها ولا حكمة توقفه عنها حيث المراكز العليا المتحكمة في ذلك قد خمد سلطانها عليه ٠

أما الدور الثانى في تأثير المخدرات والمسكرات فيظهر أثره بعد تعاطى كميات منها أكبر مما يؤثر على المراكز المخية الثابتة ، وهى ما تتحكم في وعى الإنسان وحواسه وانتباهه ، وهذه إذا ما تأثرت وخمدت بالمخدرات صارت خاملة غير قادرة على استيعاب التنبيه

---

(١) المرجع السابق ٠

الخارجى ، ومن هنا يبتدىء النظر والسمع وغيرهما من الحواس في الاضطراب مما يسبب خمولا وكسلا في وعى الإنسان وانتباهه ويميل الى الوحدة والخمول غير قادر على الحركة والاتزان والكلام فيثقل لسانه غير مبال بما حوله (مسطول) وهذه تدفعه الى نوم عميق قد يفيق منه بعد مدد تتوقف على الكمية المأخوذة .

وإذا ما زادت الكمية زادت الأعراض السابقة وتأثرت الدورة الدموية ، وكذا التنفسية ، واضطرب القلب ، مما قد يؤثر على المدمن ويقضى عليه اذا لم يسعف في الوقت المناسب ، وهذا هو أخطر أدوار السكر والتخدير ، وكثير من المدمنين يصلون الى هذه الدرجة ، وذلك لأن التعود على المخدر قد يجعل المدمن يتناول كميات أكثر ثم أكثر الى أن يصل الى الحد الذى يتأثر به الجسم تأثيرا قد يقتله » (١) .

هذه بعض الأضرار المترتبة على تعاطى المخدرات ، ولما كانت قواعد التشريع في الإسلام تؤكد على حرمة كل ذى ضرر كما جاء في الحديث « لا ضرر ولا ضرار » فقد حرم الإسلام المسكرات لما فيها من ضرر مؤكد .. ولما حرمت الشريعة الخمر لم تحرمها لذاتها ، بحيث لا يقاس عليها غيرها ، ولم تحرمها لأنها عصير لنوع معين من المشروبات أو المأكولات ،وانما للأضرار الكثيرة المترتبة على تناولها وخاصة فيما يتعلق بضررها على العقل - آلة التمييز الإنسانى - ولذلك حرمت كل ما في حكمها فحرمت المخدرات لضررها الذريع بجسم الإنسان وعقله وماله وبيئته كلها وبهذا أجمع فقهاء الإسلام الذين ظهرت في عهدهم كما سيتضح في النقطة التالية .

ثالثا : اجماع المتأخرين من الفقهاء :

قرر فقهاء الإسلام الذين ظهرت في عهدهم المواد المخدرة على حرمتها وحرمة الاتجار بها وعقوبة من تناولها ، وذلك بعد أن تبين لهم أضرارها السيئة على الانسان وظهر ذلك في كلامهم ..

يقول صاحب الدر المختار : « ويحرم أكل البنج والحشيشة والأفيون لأنه مفسد للعقل ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وزاد في رد المحتار نقلا عن ابن البيطار وان من أكثر منه أخرجه الى حد الرعونة ، وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم » (٢) .

وقال الصنعانى : « انه يحرم ما أسكر من أى شىء وان لم يكن مشروبا كالحشيشة » (٣) . كما أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية في الجزء الرابع والثلاثين من فتاويه في

---

(١) المكيفات ـ للدكتور عبد العزيز أحمد شرف / ١٤٢ . ١٤٣ ط دار المعارف .

(٢) انظر الدر المختار وحاشية ابن عابدين ج ٦ / ٤٥٨ ط ١٣٨٦

(٣) سبل السلام ج / ٤/ ٥٠ ط الاستقامة / مصر سنة ١٣٥٧

بيان حكم الحشيشة فكان مما قال : هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها أو لم يسكر ، والسكر منها حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فانه يستتاب ، ثم قال : ومن كان يستحل ذلك جاهلا فانه ما يعرف الله ورسوله وأنها محرمة ، والسكر منها حرام بالاجماع .... وكل ما يغيب العقل فإنه حرام وان لم تحصل به نشوة ولا طرب فان تغييب العقل حرام باجماع المسلمين ... وأما المحققون من الفقهاء فعلموا أنها مسكرة ، وانما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب ، فهى تجامع الشراب المسكر في ذلك ، والخمر توجب الحركة والخصومة ، وهذه توجب الفتور والذلة ، وفيها مع ذلك فساد المزاج والعقل ، وفتح باب الشهوة ، وما توجبه من الدياثة مما هى من شر الشراب المسكر (١) .

ويقول العلامة الحطاب : « وأما ما يغطى العقل فلا خلاف في تحريم القدر المغطى من كل شيء وما لا يغطى من المسكر (٢) وقال في مكان آخر ... إذا تقرر ذلك فللمتأخرين في الحشيشة قولان : هل هى من المسكرات أوهى من المفسدات مع اتفاقهم على المنع من أكلها ، فاختار القرافي أنها من المخدرات ، قال : لأنى لم أرهم يميلون الى القتال والى النصرة ، بل عليهم الذلة والمسكنة ، وكان شيخنا الشهير بعبد الله المنوفي يختار أنها من المسكرات لأنا رأينا أن من يتعاطاها يبيع أمواله لأجلها ولولا أن لهم طربا لما فعلوا ذلك » (٣) .

ثم وهذا ابن حجر الهيثمى - وهو فقيه شافعى - من علماء القرن العاشر الهجرى يؤكد حرمة الحشيش بقوله « عد ما ذكر - يقصد الحشيشة والأفيون وجوزة الطيب - ونحوها من الكبائر ظاهرة ، وبه صرح أبوزرعة وغيره كالخمر بل بالغ الذهبى فجعلها كالخمر في النجاسة والحد ومال في ذلك الى ما قدمته عن الحنابلة وغيرهم قال : وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج والخمر أخبث من جهة أنها تفضى الى المخاصمة والمقاتلة ، وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة الى أن قال وبكل حال فهى داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر لفظا ومعنى » (٤) .

وهكذا نجد اتفاق الفقهاء واجماعهم على تحريم كل مخدر ومغيب للعقل ، ويحكى هذا الاجماع ابن حجر بقوله : « وحكى القرافي وابن تيمية الاجماع على تحريم الحشيشة ، قال ومن استحلها فقد كفر (٥) » وانما لم يتكلم فيها الأئمة الأربعة لأنها لم تكن

---

(١) الفتاوى ٣٤ / ٢١٠ ، ٢١١

(٢) مواهب الجليل ج ٢ / ٢٣٢ ط ليبيا .

(٣) مواهب الجليل ج ١ / ٩٠ ط ليبيا .

(٤) الزواجر ج ١ / ٢١٦ ط الحلبى .

(٥) المرجع السابق .

في زمانهم كما قال ابن حجر وانما ظهرت في آخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهور دولة التتار (١) ·

ولا يعترض بأن هذا اجماع المتأخرين من الفقهاء ، لأن هذه المخدرات لم يظهر تناولها في زمن الصدر الأول من فقهاء الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة الأربعة ، ولو ظهرت في عهدهم لما ترددوا في القول بحرمتها استنادا الى ما في الشرع من أدلة ونصوص تحرم المسكرات والمضرات ، وشمول تلك النصوص الواردة في تحريم الخمر والمسكرات للمخدرات أيضا على أساس أنها مخدرة أو مسكرة ، أو بالقياس على الخمر بعلة الاسكار ، واستنادا الى ما هو ثابت بقاعدة مقررة في الشريعة الاسلامية وهى تحريم كل ما يسبب ضررا للانسان في جسمه أو عقله أو خلقه ، وقد ثبت مما قرره الفقهاء وأيدته الدراسات الطبية والعلمية الحديثة ضرر المخدرات وخطرها الذريع على الأفراد والجماعات فيكون تعاطيها محرماً لما يترتب عليها من أضرار ·

التداوى بالمسكرات والمخدرات :

أفاد الفقهاء بأنه لا يجوز التداوى بالمسكرات استنادا الى ما ورد في السنة من نصوص صحيحة تحرم التداوى بالخمر والمسكرات وتصفها بأنها داء لا دواء كما سيأتى بيانه في طرق الوقاية من أضرار المسكرات والمخدرات ·

وأما التداوى بالمخدرات فهذا ما نعرض لآراء الفقهاء فيه ، ثم نسوق نتيجتها في النهاية ··

قال المالكية والأحناف والشافعية بجواز التداوى بالمخدرات وهذه مواطن أقوالهم :

في الشرح الصغير « يجوز التداوى بالحشيش والأفيون والسيكرن في ظاهر الجسد » (٢) وفي حاشية الدسوقى « قال ابن فرحون : والظاهر جواز أكل المرقد لأجل قطع عضو أو نحوه ،لأن ضرر المرقد مأمون ، وضرر العضو غير مأمون » (٣) وفي المبسوط للسرخسي « البنج لا بأس بأن يتداوى به الإنسان » (٤) · وفي حاشية ابن عابدين « أكل قليل السقمونيا والبنج مباح للتداوى (٥) وفي المجموع « استعمال النبات الذى يسكر وليس فيه شدة مطربة يحرم أكله ويجوز استعماله في الدواء وان أفضى الى السكر ما لم يكن منه بد (٦) ·

(١) المرجع السابق ·
(٢) الشرح الصغير بهامش بلغة السالك ج ١ / ٩
(٣) حاشية الدسوقى ج ١ / ٥٠
(٤) المبسوط ج ٢٤ / ٩
(٥) حاشية ابن عابدين ج ٥ / ٤٠٢
(٦) المجموع ٩ / ٣٥

كما يرى ابن حزم جواز التداوى بالمخدرات أيضا لأن التداوى بالمحرم بمنزلة الضرورة عنده وقد قال تعالى « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه » (١) .

أما الحنابلة فقد سئل الامام ابن تيمية عن التداوى بالخمر ولحم الخنزير وغير ذلك من المحرمات هل يباح للضرورة أم لا ؟ وهل الآية « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه » في اباحة ما ذكر أم لا ..

فأجاب : لا يجوز التداوى بذلك بل قد ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الخمر يتداوى بها فقال انها داء وليست بدواء ، وفي السنن أنه نهى عن الدواء بالخبيث ، وقال : ان الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها .. ثم قال : وليس ذلك بضرورة فانه لا يتيقن الشفاء بها كما يتيقن الشبع باللحم المحرم ، ولأن الشفاء لا يتعين له طريق من الأدوية وبغير ذلك ، بخلاف المخمصة فانها لا تزول الا بالأكل » (١) ومعروف أن ابن تيمية يذهب الى أن « هذه الحشيشة الملعونة من أعظم المنكرات ، وهى شر من الشراب المسكر من بعض الوجوه ، والمسكر شر منها من وجه آخر » (٢) .

والنتيجة التى يمكن التوصل اليها انه لا يجوز التداوى بالمحرم وكل خبيث إلا أن التخدير الآن بات أمرا أساسيا في اجراء العمليات الجراحية ، وعليه فلا مانع من القول بإباحة استعمال البنج المخدر المعروف الآن في المستشفيات والمستخدم في شئون العلاج والتطبيب ، ولا يسوغ أن نقول بمنعه الآن لأن في استعماله واستخدامه مصلحة محققة وغرضا شرعيا صحيحا ، ثم إن كثيرا من الفقهاء كما رأيت من أقوالهم لا يمنعون من التداوى بالمخدرات عموما .

أما تعاطى المخدرات وتناولها أكلا أو شربا فنحن مع ابن تيمية في القول بمنعه ، وهناك بدائل كثيرة يمكن استخدامها في مجال العلاج ، وقد قيل من استشفى بالأدوية الخبيثة كان دليلا على مرض قلبه (٣) .

الحكمة في تحريم المسكرات والمخدرات :

لم يضيق الله على عباده واسعاً ، ولم يحرمهم طيباً .. وإنما أباح لهم من طيبات الحياة وخيراتها ما يزيد عن حاجتهم ورغائبهم .. وكم في الأرض من خيرات وكنوز وزروع . « يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » (البقرة آية ١٦٨)

---

(١) الفتاوى ج ٢٤ / ٢٧١

(٢) المرجع السابق ٣٤ / ٢٠٥ ، ٢٠٦

(٣) المرجع السابق ج ٢٤ / ٢٧٥

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون » (البقرة آية ١٧٢)
« فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم إياه تعبدون » (النحل آية ١١٤)

ومن رحمة الله بعبده أنه يصونه مما يضره ويحميه مما يتلفه ولذا حرم عليه ما يعود بالضرر على بدنه أو نفسه أو عقله أو ماله . كالخمر وسائر المسكرات والمخدرات ..

ولقد كشف البحث الإنسانى أضرارا بالغة من وراء تعاطى شيئا من هذه الأشياء المحرمة جعلت محمد فريد وجدى يقول « لو عمل إحصاء عام عمن في مستشفيات العالم من المصابين بالجنون والأمراض العضالة بسبب الخمر ، وعمن انتحر أو قتل غيره بسبب الخمر ، وعمن يشكو في العالم من آلام عصبية ومعدية ومعوية بسبب الخمر ، وعمن أورد نفسه موارد الافلاس بسبب الخمر ، وعمن تجرد من أملاكه بيعا أو غشا بسبب الخمر .. لو عمل إحصاء بذلك أو ببعضه لبلغ حدا هائلا تجد كل نصح بازائه صغيرا » (١) .

وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول :« اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر » (٢) .

و« لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر » (٣) و « الخمر أم الخبائث » (٤) .

وتأمل كلمة الرسول صلى الله عليه وسلم الجامعة « مفتاح كل شر » وقوله « أم الخبائث » لتدرك أن شرب الخمر مفتاح لمصائب فادحة وكرب جسام .

وكذلك كل مادة يثبت اسكارها أو تخديرها للعقل ينطبق عليها نفس الحكم الذى تقرر للخمر ..

ومن حق الله تعالى وهو المنعم المتفضل بالخلق والرزق أن يتعبد عباده بما يشاء من التكاليف دون أن يسأل عما يفعل ، فذلك حق ربوبيته جل وعلا ، لكن من رحمة الله بخلقه ولطفه بهم أنه جعل التحريم يتبع الخبث والضرر فما يعود علينا بالمصلحة والفائدة أحله ، وما يعود بالخبث أو الضرر حرمه « والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعْنَتَكم إن الله عزيز حكيم » (البقرة آية ٢٢٠) .

« يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات » (المائدة آية ٤) .

فالله لم يحل الا الطيب النافع ولم يحرم إلا الخبيث الضار . ولهذا كان من أوصاف

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٣ / ٧٩١

(٢) الحاكم (٣) ابن ماجه والبيهقى عن شهر بن حوشب

(٤) الطبرانى الأوسط ــ انظر الجامع الصغير .

الرسول صلى الله عليه وسلم عند أهل الكتاب أنه « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » (الأعراف آية ١٥٧) ٠

ثم إنه من لطف الله ورحمته أيضا بخلقه أنه ما حرم عليهم شيئا إلا أعطاهم البديل الواسع والعوض الطيب الذى يسد مسد الحرام ويغنى عنه ٠

قال الامام ابن القيم « ما حرم الله على عباده شيئا إلا عوضهم خيرا منه ، كما حرم عليهم الاستقسام بالأزلام وعوضهم منه دعاء الاستخارة ، وحرم عليهم الربا وعوضهم منه التجارة الرابحة ، وحرم عليهم القمار وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيل والابل والسهام ، وحرم عليهم الحرير وأعاضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن ، وحرم عليهم الزنا واللواط وأعاضهم منها النكاح الحلال بصنوف النساء الحسان ، وحرم عليهم شرب المسكر وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن ، وحرم عليهم سماع آلات اللهو ومن المعازف والمثانى ، وأعاضهم عنها بسماع القرآن والسبع المثانى ، وحرم عليهم الخبائث من المطعومات وأعاضهم عنها بالمطعومات الطيبات .... ومن تلمح هذا وتأمله هان عليه ترك ما حرمه الله ونهى عنه ، وعرف حكمة الله ورحمته وتمام نعمته على عباده فيما أمرهم به ونهاهم عنه ، وفيما أباحه لهم ، وأنه لم يأمرهم به حاجة منه اليهم ، ولا نهاهم عنه بخلا منه تعالى عليهم ، بل أمرهم بما أمرهم احسانا منه ورحمة ، ونهاهم عما نهاهم عنه صيانة لهم وحمية » (١) فلك الحمد ربنا على ما أنعمت وأوليت « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (المائدة آية ٦) ٠

كيف قضى الإسلام على الخمر وسائر المسكرات :

نلقى نظرة سريعة على المنهج الذى سلكته الدعوة في البداية للقضاء على الخمر في المجتمع الإسلامى ، وكل مسكر من شأنه أن يضر بالمسلمين ٠

نظرا لأن السكر والادمان كانا من العادات المتأصلة في المجتمع الجاهلى فإن الإسلام لم يفاجىء المسلمين بتحريم الخمر ، وإنما أخذ بأيديهم خطوة خطوة في الطريق الذى أراده الله لهم ، وصار يحرمها عليهم بالتدريج ، فبدأ أولا بتحريك الوجدان الدينى في نفوس المسلمين نحو هجر الخمر والابتعاد عنها ، وذلك حين أشار إشارة خفيفة مضمونها أن الخمر والميسر « فيهما إثم كبير ومنافع للناس » وفي ذلك إيماء للعاقل بترك هذا المشروب الذى اثمه أكبر من نفعه .. لذلك تركها قوم لما فيها من الاثم الكبير وشربها آخرون حيث لم تمنع الآية ٠

(١) بتصرف يسير من روضة المحبين / ١٧ ط حلب ٠

وقال عليه الصلاة والسلام عقبها « إن ربكم يُقَدِم في تحريم الخمر » .

ثم حدث أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما ودعا اليه عددا من الصحابة فأكلوا وشربوا وسكروا ، فلما حضرت الصلاة صلى بهم عبد الرحمن بن عوف - وفي رواية أخرى على بن أبى طالب - فقرأ قل يا أيها الكافرون ، فخلط فيها فنزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (١) .

ومعلوم أن أوقات الصلاة متقاربة ، لا تكفى الأوقات التى بين كثير منها للسكر والافاقة ، ولاشك أن في ذلك تضييقاً لفرص التعاطى وكسراً لعادة الادمان التى مرنوا عليها .

ومدمن الشراب إذا اجتاز الوقت الذى اعتاد الشراب فيه وتكرر ذلك منه فترت حدة العادة عنده وسهل عليه التغافل عن الشراب وتركه ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام بعدها ان ربكم يقرب في تحريم الخمر (٢) .

ولما وصل المسلمون الى هذه الدرجة كانت نفوسهم قد تهيأت لقبول النهى الجازم عن شربها حتى قال عمر رضى الله عنه « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » فنزل قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (المائدة آية ٩٠ ، ٩١) ، فقال الصحابة : انتهينا يارب .. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهتف : ألا إن الخمر قد حرمت فلا تبيعوها ولا تبتاعوها فمن كان عنده منه شيء فليهرقه ، فلبث المسلمون زمانا يجدون ريحها في طرق المدينة من كثرة ما أهرقوا منها .

وقد جاء النهى بصيغة « فاجتنبوه » وهو لفظ أبلغ في التحريم من غيره ، إذ أنه ينهى حتى عن مجرد الاقتراب من الشراب ومجالسه .. ولذلك جاء في الحديث « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » (٣) .

أما الوسائل التى يمكن اتخاذها الآن لوقاية المجتمع الإسلامى من خطر المسكرات والمخدرات فيمكن إيجازها في الآتى :

أولا : تعميق الاحترام لأمر الله ونهيه :

ذلك أن الإنسان اذا اعتقد بكمال رحمة الله ، وحكمته فيما خلق وقدر ، وفيما أمر

---

(١) انظر تفسير الدر المنثور للسيوطى ٢ / ٣١٨

(٢) تفسير الدر المنثور للسيوطى ٢ / ٣١٨

(٣) أبو داود واللفظ له ، وابن ماجه وزاد وآكل ثمنها .

ونهى رضى بكل تعاليم هذا الاله وأحكامه ، وتقبلها بقبول حسن ، وسارع الى تنفيذها دون ضجر أو حرج ودون تحايل على القانون أو هربٍ منه ، لأنه يدرك تماما أن الله « حكيم خبير » « رحمن رحيم » وأنه أرحم بعبده من الوالدة بولدها ، وأن رحمته سبقت غضبه ، وأن دينه « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » وأن أحكامه « صنع الله الذى أتقن كل شىء » وفيها « شفاء ورحمة للمؤمنين » إذا اعتقد الإنسان بكل ذلك سارع الى مرضاة الله بكل قناعة ورضا وأقبل على ربه بكل وجدانه وجوارحه ، تماما كما جاء في وصف المؤمنين « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

وبذلك يكتمل إيمانه ويسلم دينه « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

إن اشاعة هذا الاحترام لله ولكتابه وسنة نبيه وتعميقه له الأثر الكبير في المسارعة إلى تنفيذ ما أمر الله ، واجتناب ما نهى ، ظاهرا وباطنا سرا وعلنا .. ولو مع القدرة على المخالفة ، واليك الأمثلة :

سبق أن رأيت أن شرب الخمر كان عادة متأصلة في المجتمع الجاهلى إلى حد الادمان ، ولما جاء الإسلام أخذ يتدرج معهم في تحريمها ، فلما كانت الخطوة النهائية ونزلت آية التحريم وفيها « هل أنتم منتهون » سارع المسلمون دون تلكؤ أو تكاسل إلى كسر دنان الخمر ، واراقة زقاقها ، وكانت ما أكثرها في بيوتهم حتى ذُكِر انهم استمروا أياما يشمون رائحتها في الشوارع من كثرة ما أريق ..

لكن بكلمة واحدة من ربهم الواحد .. قالوا انتهينا يارب .. وذلك لاحترامهم الزائد للوحى الإلهى ، وتقديسهم لأحكامه .

قارن بين هذا الموقف وبين ما أرادته الولايات المتحدة من تخليص مواطنيها من شرب الخمر ، فأصدرت قانون تحريم الخمر سنة ١٩٣٠ م وأنفقت في سبيل الدعاية له من الأموال والجهود ما يفوق الوصف ، واستعانت بكل وسائل الاعلام حتى قدر ما أنفق على الدعاية لهذا القانون خمسة وستون مليونا من الدولارات .. وكتبت آلاف الصفحات في مضار الخمر وعواقبه ..

ومع ذلك لم ينجح المشروع وقام المواطنون بمخالفته مما اضطر الحكومة أخيرا إلى الغائه لأنه لم يكن للقانون سلطان على النفوس يحملها على احترامه وطاعته ..

أما الشعور بأن هذا الشىء من عند الله الذى يعلم السر وأخفى ، سواء كان أمراً أو نهيا ، فان ذلك يكسبه الهيبة والاحترام ، ويجعل الإنسان يستجيب له طواعية واختيارا مهما كان مركزه ومهما كان وضعه في المجتمع .. ولو كان ذلك بعيدا عن أعين الرقباء لأن الطاعة

تنبعث من داخل النفس وتقوم على الإيمان بالله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ·

ومثال آخر ·· لما نزل قول الله عز وجل « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ··· الخ الآية (النور آية ٣١) · سارعت النساء المؤمنات بالاستجابة لأمر الله عز وجل في الحشمة والستر كما أشادت بذلك السيدة عائشة رضى الله عنها : يذكر ابن كثير عن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة قالت فذكرنا نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة : إن لنساء قريش لفضلا وإنى والله ما رأيت أفضل من نساءالأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل ·· لقد أنزلت سورة النور « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم فيها ، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته فما منهن امرأة الا قامت إلى مرطها (١) المرحل فاعتجرت (٢) به تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرات (٣) كأن على رؤوسهن الغربان (٤) ·

فانظر كيف تكون المسارعة والاستجابة لطاعة الله وأمره من قبل نساء المهاجرين والأنصار دون انتظار لشراء أو خياطة أو تفصيل ··

لا ·· انهن تغطين بأى غطاء موجود ، دون نظر الى حسنه أو جماله ، ولو ظهرن في شكل غير مقبول ·· كالغربان ـ كما تقول الرواية ·· المهم أن يرضى الله ·

وذلك في ذات الاله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شكل مشـوه

إن تعميق هذه المعانى في النفوس وسيلة هامة من أهم الوسائل لوقاية المجتمع الإسلامى من الوقوع في آفات المخدرات والمسكرات ، إذ انه يجعل الناس ينصرفون تلقائيا عنها ، وانظر لما حرمت الخمر بالأمر الإلهى فطم المسلمون نفوسهم عنها حتى غدوا وكأنهم لا يعرفونها ولا تعرفهم ·

والآن ما أكثر ما تنتج المصانع من دنان الخمر والمسكرات وأنواع البيرة والمخدرات فلو احترم الناس شرع الله لهربوا منها فاذا عرضها أعوان الشيطان لم يجدوا من يقبل عليها أو يأخذها منهم ، فتبور تجارتها ، وتختفى عن الأنظار ·

---

(١) المرط ·· بالكسر كساء من صوف أو خز ·

(٢) الاعتجار لف العمامة ·· ولبسة للمرأة ·

(٣) متلفحات مستترات ·

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ / ٢٨٥

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذى تسمونه الفضيخ ، إنى لقائم أسقى أبا طلحة وأبا أيوب ورجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم في بيتنا اذ جاءه رجل ، فقال : هل بلغكم الخبر ؟ فقلنا : لا فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقال : يا أنس أرق هذه القلال قال : فما سألوا عنها ، ولا راجعوها بعد خبر الرجل .

وهكذا يفعل الإيمان بأهله .

ثانيا : غرس الشعور بقبحها وأضرارها حتى تعافها النفوس :

كل عاقل يحب حياة الصحة والعافية ، ويبتعد عن كل ما يتعب بدنه أو يشقى نفسه .

وقد أثبت المختصون من أضرار المسكرات والمخدرات ما ينفر من مجرد رؤية شىء منها إذ من الذى يحب أن يجلب على نفسه أسباب الهلاك والأمراض إنه لا يفعل ذلك إلا مخبول العقل مأفون .

لقد جمع عليه الصلاة والسلام ما تجلبه المسكرات على الإنسان من آفات في هذه العبارة الجامعة .. « الخمر أم الخبائث » .

وعن عبد الله بن عمرو قال : الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته وعمته .

وروى الطبرانى في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو وابن عباس بلفظ « من شربها وقع على أمه » .

وقال الزهرى حدثنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن أباه قال سمعت عثمان بن عفان يقول : اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية فأرسلت اليه جاريتها أن تدعوه لشهادة فدخل معها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : إنى والله ما دعوتك لشهادة ، ولكن دعوتك لتقع على أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر وإلا صحت وفضحتك فلما رأى أنه لا بد من ذلك قال : اسقنى خمرا فسقته كأسا فقال : زيدونى فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس ، فاجتبنوا الخمر فإنها لا تجتمع هى والإيمان أبدا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه ذكره ابن كثير في تفسيره ونسبه الى البيهقى وقال اسناده صحيح .

وذكره السيوطى في الدر المنثور

كما ذكر السيوطى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يزنى أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وأنه لما شربه لم يمتنع من شىء أرادوه منه ·

وهكذا تكون الخمر أم البلاء ورأس كل مصيبة ·· فإذا أضيف إلى ذلك ما أكده البحث الطبى والتجريبى الحديث من مضار المسكرات والمخدرات على القلب والبدن لنفر منها العقلاء ·· وفروا منها فرارهم من كل وباء أو هلاك ·

وماذا تقول في مواد تتلف الكبد والبنكرياس ، وتضعف القلب وتخل حركته ، وتؤثر على خلايا المخ والأعصاب ، وتسبب فقر الدم وإضعاف العضلات وتجلب السل ومرض السكر واضطراب الأمعاء ·

ما ظنك بمواد تذهب بالعفة والشرف ، وتقتل النخوة والمروءة وتشيع الفوضى واللامبالاة ، وتضيع الثروة والمال ··

إن هذه المساوىء جميعا هى بعض ما تجلبه المسكرات والمخدرات في بيئة بنى الإنسان ··

ولذا فانه لو عمقت هذه الآثار ووعى البشر خبث المواد المسكرة والمخدرة بأسلوب علمى يعتمد على الحقائق العلمية والتجارب المعملية بعيدا عن المبالغات والزيادات لأدرك الناس قبحها ، ووقفوا على خطرها وضررها فيبتعدوا عنها ·· وينفروا منها ··

لقد كره الإسلام أتباعه في الخمر وسائر المسكرات حتى ولو كانت للتطبيب والعلاج ··

فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بالمحرم (١) ·

وفي السنن عن أبى هريرة قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الداء الخبيث(٢) ·

وذكر البخارى في صحيحه عن ابن مسعود إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم (٣) ·

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعو على من يتداوى بحرام كخمر فيقول « من تداوى بحرام كخمر لم يجعل الله فيه شفاء »(٤) ·

---

(١) ابو داود في الطب ·

(٢) أبو داود والترمذى ·

(٣) البخارى في الطب ·

(٤) انظر الجامع الصغير للسيوطى ونسبه الى أبى نعيم في الطب ·

إنه في الوقت الذى يعل فيه الجسم ويتمنى الإنسان الخروج من علته بأى سبب أو طريق ينهى الإسلام عن التطلع الى الشفاء بحرام ، سدا لذريعة تناول المحرم بكل وجه ، وقفلا لهذا الباب أمام النفس لا سيما وأن النفوس قد تميل إلى الشىء الحرام رغبة في الشفاء مما يجعلها تتناوله بشهوة أو لذة ، وهذا ضد مقصود الشرع ثم إنه داء كما نصت عليه الأحاديث فلا يجوز أن يتخذها دواء ·

في صحيح مسلم عن طارق بن سويد الجعفى أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها ، فقال : إنما أصنعها للدواء ، فقال : إنه ليس بدواء ، ولكنه داء(١) ·

وعن طارق بن سويد الحضرمى قال : قلت يارسول الله إن بأرضنا أعنابا نعتصرها فنشرب منها ، قال : لا ، قال : فراجعته قلت : إنا نستشفى للمريض ، قال : إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء(٢) ·

بل لقد ذهبت الشريعة أبعد من هذا ·· حين نهت عن مجرد الاستعانة بالمسكر في بعض الأدوية ·

ففى السنن أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يجعل في الدواء فقال : انها داء وليست بالدواء ·· (٣) ·

أرأيت : إنه في الوقت الذى قد يظن فيه أن النفس قد تميل الى الاستشفاء بمحرم يقطع الإسلام عليها هذا الطريق ، ويبغضها فيه ولو في أوقات الشدة والمرض فكيف بأوقات الصحة والعافية ، إن احتقاره والنفرة منه أشد وأولى ·

ولقد أشار ابن القيم إلى معنى دقيق هنا في كون المحرمات لا يستشفى بها ، قال : « إن شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول وإعتقاد منفعته وما جعل الله فيه من بركة الشفاء ، فان النافع هو المبارك ، وأنفع الأشياء أبركها ·

ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين مما يحول بينه وبين اعتقاد بركتها ومنفعتها ، وبين حسن ظنه بها ، وتلقى طبعه لها بالقبول ، بل كلما كان العبد أعظم ايمانا كان أكره لها ، وأسوأ اعتقادا فيها ، وطبعه أكره شيء لها ، فاذا تناولها في هذه الحال كانت داء له لا دواء ، إلا أن يزول اعتقاد الخبث فيها ، وسوء الظن والكراهية لها بالمحبة ، وهذا ينافي الايمان فلا يتناولها المؤمن قط إلا على وجه داء (٤) ·

---

(١) مسلم في الأشربة ·

(٢) أحمد وابن ماجه ·

(٣) أبو داود والترمذى ·

(٤) زاد المعاد ج ٤ / ١٥٨ ط سنة ١٣٩٩ هـ

وهكذا يريد الاسلام أن يغرس احتقار المحرمات من مسكرات ومخدرات وغيرهما في النفوس وأن يشاع بغضها وكراهيتها في الشعور الدينى لجميع المسلمين حتى تعافها النفوس ولا يقبل عليها أحد وبذلك تبقى واجهة الجماعة المؤمنة نقية طاهرة لا يلوثها السوء ولا يشوه صورتها عبث المفسدين ·

ثالثا : رقابة المجتمع على أفراده :

يحمل الإسلام المجتمع قسطاً وفيراً من تبعة التوجيه إلى الخير، والتنفير من الشر، وتبعة حماية الخير واشاعته، ومحاربة الشر وحصره، ولذلك كانت القاعدة الأساسية التى نيط بها خيرية هذه الأمة هى قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال سبحانه « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ثم ذكر سبحانه مناط هذه الخيرية بقوله « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ·

ولو أن أى انحراف يظهر، أو محرم ينتهك وجد من يقف أمامه منذراً محذراً لانطوت الشرور وماتت في مهدها، ولم تجد لها أعواناً أو أنصاراً، ولاستقامت الفضيلة على عودها، وانطلقت في المجتمع تنشر العفاف وتشيع الطهر ·

إن المجتمع الإسلامى مجتمع تكافلى بين أفراده بحكم تعاليم كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم · مجتمع يتناصر بالحق والعدل، ويتعاون لنبذ الشر ونقاء المجتمع من الانحرافات والسوءات ·

ولقد كان المنحرف في الصدر الأول يشعر كأنه مريض بين اخوانه لا يطيب له مقام بينهم حتى يبرأ من علته، نظراً ليقظة الضمير ويقظة العيون الحارسة لشرع الله ونهجه، ولذا كان لنظام الحسبة في الإسلام دور واسع في نقاء المجتمع ونظافته من الشرور، وعن طريقها أقلع كثير من الناس عن سوءاتهم ·

ولو أن شاربى الخمر أحسوا بأنهم منبوذون مطاردون في مجتمع المسلمين لراجعوا أنفسهم، ورجعوا الى صوابهم ·

ولو أن أصحاب محلات الخمور وجدوا من يقف لهم ويعترض عليهم لأغلقوا محلاتهم، أو لحولوها إلى نوع آخر من التجارة حلال شريف ·

لو أن هؤلاء وهؤلاء شعروا بقطيعة صارمة من مجتمعاتهم ، وانكار المسلمين عليهم لما وقفوا موقف الاعلان والظهور يحادون الله ورسوله ·

عن أبى سعيد الخـدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحقر أحدكم نفسه ، قالوا يارسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ، قال : يرى أمراً لله فيه مقال ثم لا يقول شيئا » ··

وعن السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخبث ·

رابعاً : الاصلاح والتأديب عن طريق العقوبات بالحدود :

وهذا جانب رعته الشريعة وقررته كسبيل من سبل الاصلاح والتقويم للنفوس المعوجة والفطر المنحرفة ·

« وينبغى أن يعلم أن الاسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء الحياة النظيفة بين الناس ، ولا يتخذها الوسيلة الوحيدة لذلك ، وإنما يعمل على الوقاية من الجريمة ومحاربتها بالضمير الوازع ، والنفس المهذبة ، والسلوك القويم ، وتوفير أسباب الحياة النظيفة لكل الناس ، فمن ارتضى هذه الأسباب واتخذها منهج حياته ارتقى وعز بالإسلام وسعد بالمجتمع وسعد به مجتمعه ، ومن هجر هذه الأسباب ونفر منها وسعى في الأرض فساداً دون رادع من خلق أو وازع من ضمير فحق للإسلام أن ينزل به عقابه ليحمى الناس من شروره ، ويوفر للمجتمع أمنه واستقراره » (١) ·

ولقد سلكت الدعوة في سبيل المحافظة على مقاصدها أمرين :

الأول : رعايتها من جانب الوجود ، فأداء العبادات والقربات يحفظ على الدين بقاءه ونماءه ····

الثانى : رعايتها من جانب العدم وذلك بدفع ما يؤدى إلى اختلالها أو الاستهتار بها والعقوبات تحفظ الشعائر من جانب العدم كالحدود والتعاذير وغير ذلك من صور التأديب ، وهناك ناس لا يبالون بحل ولا حرمة ، ويكرعون من الخمر كيف شاءوا ويعبون من المسكرات كما أرادوا دون رادع من خلق أو وازع من ضمير وهؤلاء لا بد أن يلقوا جزاءهم وأن يؤدبوا على سفههم ·

وقد أجمعت الأمة على عقوبة شارب الخمر سواء شرب كثيراً أو قليلًا لقول الرسول

(١) من بحث للكاتب بعنوان « الحدود في الإسلام » ·

صلى الله عليه وسلم « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

والعقوبة الواردة هنا هى الحد وإن لم يسكر .

لكن ما مقدار الحد .. هل أربعون أو أكثر ..

يبدو أن شارب الخمر كان يعاقب في البداية بأربعين جلدة ونحوها كذا كان الحال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه لكن لما تغيرت أحوال الناس ولان دينهم زيد الحد إلى ثمانين ..

روى البخارى وأحمد عن السائب بن زيد قال : كنا نؤتى بالشارب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي إمرة أبى بكر الصديق وصدراً من إمارة عمر فنتقدم اليه فنضربه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتى إذا عتوا فيها وفسقوا جلد عمر ثمانين ..

وروى مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين ، وفعله أبوبكر ، فلما كان عمر استشار الناس فقيل : أخف الحدود ثمانون ، فأمر به عمر فجلد ثمانين .

وجاء في المغنى لابن قدامة أن عمر استشار الصحابة في حد الشرب فقال له على كرم الله وجهه : أنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى فاجلدوه ثمانين ـ أى كحد المفترى ـ فجلده عمر ثمانين (١) .

وكأنه يشير إلى قوله تعالى « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » .

ولقد وصل الأمر بالبعض أن يحد من جلس في مجلس الشراب وان لم يشرب لأنه كالراضى بفعلهم الموافق على إثمهم .. يقول ابن تيمية « رفع إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قوم شربوا الخمر فأمر بجلدهم ، فقيل له إن فيهم فلاناً وقد كان صائماً ، فقال إبدءوا به أما سمعتم الله يقول « وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذاً مثلهم » وزاد في مكان آخر ، فجعل القاعد المستمع من غير إنكار بمنزلة الفاعل (٢) .

كما قال رحمه الله « أما شارب الخمر فيجب باتفاق الأئمة أن يجلد الحد إذا ثبت عليه ، وحده أربعون جلدة ، أو ثمانون جلدة ، فان جلده ثمانين جاز باتفاق الأئمة وإن اقتصر على الأربعين ففى الاجزاء نزاع مشهور .

فمذهب أبى حنيفة ومالك وأحمد في احدى الروايتين أنه يجب الثمانون ومذهب الشافعى وأحمد في الرواية الأخرى عنه أن الأربعين الثانية تعزير يرجع فيها إلى اجتهاد

---

(١) المغنى ١٠ / ٣٢٦

(٢) الفتاوى ٣٢ / ٢٥٤ ، ٣٠ / ٢١٣

الامام ، فان احتاج إلى ذلك لكثرة الشرب أو اصرار الشارب ونحو ذلك فعل ، وقد كان عمر ابن الخطاب يعزر بأكثر من ذلك ، كما روى عنه أنه كان ينفى الشارب عن بلده ويمثل بحلق رأسه ثم قال : « وقد روى من وجوه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من شرب الخمر فاجلدوه ثم إن شربها فاجلدوه ، ثم إن شربها فاجلدوه ثم إن شربها الثالثة أو الرابعة فاقتلوه فأمر بقتل الشارب في الثالثة أو الرابعة ، وأكثر العلماء لا يوجبون القتل ، بل يجعلون هذا الحديث منسوخاً ، وهو المشهور من مذاهب الأئمة ، وطائفة يقولون ، إذا لم ينتهوا عن الشرب إلا بالقتل جاز ذلك ، كما في حديث آخر في السنن أنه نهاهم عن أنواع من الأشربة قال : فان لم يدعوا ذلك فاقتلوهم « والحق ما تقدم ، وقد ثبت في الصحيح أن رجلا كان يدعى حماراً ، وكان يشرب الخمر فكان كلما شرب جلده النبى صلى الله عليه وسلم فلعنه رجل فقال لعنه الله ، ما أكثر ما يؤتى به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ، وهذا يقتضى أنه جلد مع كثرة شربه (١) .

أما المخدرات فقد ذهب فريق من الفقهاء إلى أنه لم يرد في تناولها حد مقرر ، وكل ما كان كذلك وجب فيه التعزير فقط ولعل حجتهم في ذلك أن الحد في المائع المطرب ، أما المأكول الذى لا تتحقق فيه خاصية الطرب فلا (٢) .

وذهب آخرون ومنهم ابن تيمية وابن حجر الهيثمى وابن حزم إلى أن العقوبة في المخدرات هى حد السكر وقياسها على المسكرات لوجود تغطية العقل في كل منهما قال ابن تيمية : « وأما قليل الحشيشة المسكرة فحرام عند جماهير العلماء كسائر القليل من المسكرات ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر وكل خمر حرام يتناول ما يسكر ولا فرق بين أن يكون المسكر مأكولاً أو مشروباً أو جامداً أو مائعاً فلو اصطبغ كالخمر كان حراماً ، ولو أماع الحشيشة وشربها كان حراماً ونبينا صلى الله عليه وسلم بعث بجوامع الكلم فإذا قال كلمة جامعة كانت عامة في كل ما يدخل في لفظها ومعناها سواء كانت الأعيان موجودة في زمانه أو مكانه أو لم تكن (٣) .

---

(١) الفتاوى ج ٣٤ / ٢١٦ : ٢١٧

(٢) هكذا يرى متقدموا الحنفية حاشية ابن عابدين ٣ / ٢٢٨ ط بولاق ١٣٢٦ وان كان المتأخرون أفتوا بوجوب الحد لفشو هذا الفعل وانتشاره بين الناس . انظر تنوير الأبصار مع حاشية ابن عابدين ج ٦/ ٤٥٨ ط سنة ١٩٦٦ ثانية .

والشافعية لا يرون الحد أيضا إلا إذا أذيبت بحيث تقذف بالزبد وصارت تطرب كالخمر ففيها الحد انظر نهاية المحتاج ٨ / ١٢ ط الحلبى ومغنى المحتاج ٤ / ١٨٧ .

كما يرى المالكية أن الحد مختص بالمائعات المغيبة للعقل . انظر « بلغة السالك » ١٩/٨ ، ٣٢٣

وحكى القرافي الخلاف بين فقهاء عصره في حكم تعاطى الحشيشة هل هى الحد أو التعزير . انظر الفروق ١/ ٢١٦ أما القرافي فقال لا أوجب فيها الحد بل التعزير الزاجر عن ملابستها ٨/ ٢١٨

(٣) انظر في ذلك الفتاوى ج ٣٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

وقال : وكل ما يغيب العقل فإنه حرام وإن لم تحصل به نشوة ولا طرب ، فان تغييب العقل حرام بإجماع المسلمين ، وأما تعاطى البنج الذى لم يسكر ولم يغيب العقل ففيه التعزير .. ثم قال : ومن الناس من يقول : إنها أى الحشيشة تغير العقل فلا تسكر كالبنج وليس كذلك ، بل تورث نشوة ولذة وطرباً كالخمر ، وهذا هو الداعى الى تناولها ، وقليلها يدعو الى كثيرها كالشراب المسكر والمعتاد لها يصعب عليه فطامه عنها أكثر من الخمر ، فضررها من بعض الوجوه أعظم من الخمر ، ولهذا قال الفقهاء إنه يجب فيها الحد كما يجب في الخمر (١) .

وقد سبق أن رأيت أن ابن حجر الهيثمى يؤكد حرمتها وينقل ذلك عن الذهبى وغيره (٢) .

وبعـــــد : فهذه خلاصة عن عقوبة متعاطى المسكرات والمخدرات ، والعقوبات في الإسلام مع أنها جوابر وكفارات لأهلها من آثامهم هى زواجر أيضا ، تزجر الآخرين ، وتمنعهم من التردى في حمأة الرذيلة ، أو العبث بحدود الله ومحارمه ، ولذلك كانت بركتها على المجتمع الذى يقيمها كثيرة وفيرة ، وفي الحديث « حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً (٣) .. وفي رواية أربعين ليلة ..

والله الهـادى الى سـواء السـبيل

من خصـال الإيمان ترك الخمر

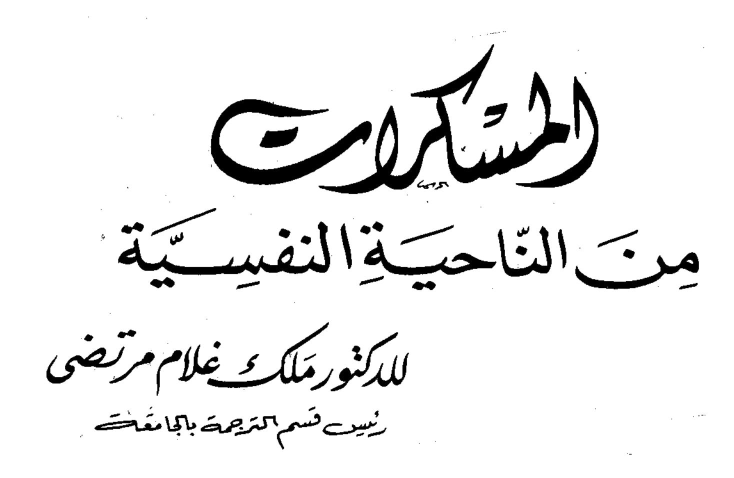
أوصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو على فراش الموت ابنه عبد الله فقال له : عليك بخصال الإيمان . قال : وما هن يا أبت ؟ قال : الصوم في شدة أيام الصيف ، وقتال الأعداء بالسيف ، والصبر على المصيبة ، واسباغ الوضوء في اليوم الشاتى ، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم ، وترك رَدْغة الخَبَال ، قال عبد الله وما ردغة الخبال ؟ قال : شرب الخمر ..

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الزواجر ج ٨ ٢١٦

(٣) ابن ماجه ـ باب الحدود .



حقيقة السكر

قال الله سبحانه : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس)

قال الفخر الرازي في تفسيره : (التفسير الكبير ٦ / ٤٦)

« الإثم الكبير فيه أمور :

أحدها : أن عقل الإنسان أشرف صفاته ، والخمر عدو العقل ، وكل ما كان عدو الشرف فهو أخس ، فيلزم أن يكون شرب الخمر أخسَّ الأمور ·

وتقريره : أن العقل إنما سمي عقلاً لأنه يجري مجرى عقال الناقة ، فإن الإنسان إذا دعاه طبعه إلى فعل قبيح ، كان عقله مانعاً له من الإقدام عليه ، فإذا شرب الخمر بقى الطبع الداعى إلى فعل القبائح خالياً من العقل المانع لها ، والتقريب بعد ذلك معلوم ·

ذكر ابن أبى الدنيا : أنه مر على سكران وهو يبول في كفيه ويمسح به وجهه كهيئة المتوضىء ، ويقول : الحمد لله الذى جعل الإسلام نوراً والماء طهوراً ·

ثانيها : ما ذكره الله تعالى من إيقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ·

ثالثها : ان هذه المعصية من خواصها : أن الإنسان كلما كان اشتغاله بها أكثر ومواظبته عليها أتم : كان الميل إليها أكثر ، وقوة النفس عليها أقوى بخلاف سائر المعاصى ، مثل الزانى إذا فعل مرة واحدة فترت رغبته في ذلك العمل ، وكلما كان فعله لذلك العمل أكثر كان فتوره أكثر ونفوره أتم ، بخلاف الشرب ، فإنه كلما كان إقدامه عليه أكثر كان نشاطه أكثر ورغبته فيه أتم ، فإذا واظب الإنسان عليه صار غرقاً في اللذات البدنية ··· حتى يصير من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ·

وبالجملة : فالخمر يزيل العقل ، وإذا ذهب العقل ، انتشرت المفاسد وسادت الرذائل – قال عليه الصلاة والسلام : « **الخمر أم الخبائث** » ·

وهذا يعني أن جريمة السكر تغري بجميع الجرائم التى تعرض للسكران ، وتجرئ عليها ولا سيما الزنا والقتل – ولهذا اعتبرها النبى صلى الله عليه وسلم أنها « مفتاح لكل شر » ·

وقد قيل أن امرأة فاسقة راودت رجلا صالحاً عن نفسه ، فاستعصم ، فسقتهُ الخمر فزنى بها ، وأمرته بالقتل فقتل ·

قال عليه الصلاة والسلام : « الخمر أم الفواحش ، وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على أمه وخالته وعمته » ·

هذا لأنه توجد في جبلة الإنسان خاصيتان وهما :

١ - المَلَكية يعني صفات الملائكة - وهى امتثال أوامر الله ومقتضيات العقل - ٠

٢ - البهيمية يعني صفات البهائم - وهى امتثال أوامر النفس الأمارة بالسوء ولو كانت مخالفة للعقل ٠

فتأثير الخمر على شخصية الإنسان أن تخامر العقل ، وتضعف ملكيته ، وتثير بهيميته وتقويها ٠ فالنتيجة أن الإنسان يمسي تابعاً مطلقاً للبهيمية ويسقط من درجة الإنسانية إلى درجة البهيمية ويعتبر خاضعاً لسلطان الهوى والشيطان ٠

كما قال تعالى : **(أولئك كالأنعام بل هم أضل)** ٠

السكر ضد الفطرة السليمة :

العقل السليم يشهد بتحريم الخمر والمسكرات ، ويدل على ما قلناه : أن بعض عقلاء الجاهلية حرموها على أنفسهم لما لمسُوا من أضرارها ، وأعظمها وهن عقل الشارب ، منهم عبد الله بن جدعان من قريش ، والعباس بن مرداس السلمي ، حيث قيل له وهو إذ ذاك في غياهب الجاهلية ، لم لا تشرب الخمر ؟ فقال : ما كنت لآخذ جهلي بيدي ، وأدخله في جوفي ما كنت لأصبح رئيس قوم ، وأمسي سفيههم » ٠

ومنهم جعفر بن أبي طالب ، وعدى بن حاتم الطائى ، قيل له مالك لا تشرب الخمر ؟ قال : « لا أشرب ما يشرب عقلى » ٠

ومنهم قيس بن عاصم المنقرى وأبو بكر الصديق وعثمان بن عفان رضى الله عنهم جميعاً ، حرموها على أنفسهم قبل تحريمها من الله سبحانه ٠

وقال عثمان رضى الله عنه : « إني رأيتها تذهب العقل جملة ، وما رأيت شيئاً يذهب جملة ويعود جملة » ٠

والواقع أن شارب الخمر وما شاكله من المسكرات يتنازل عن منزلته وشرفه من حيث هو إنسان كرمه الله وجعله أشرف المخلوقات ، ويمسى حيواناً لا عقل له ولا فهم ٠

لهذا كان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يتوقعون تحريم الخمر ويدعون الله لتحريمها ومنهم أمير المؤمنين عمر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما ونفر من الصحابة الذين قالوا يا رسول الله : « أفتنا في الخمر ، فإنها مذهبة للعقل ، مسلبة للمال » ٠

ما هو الإدمان الكحولى ؟

« الإدمان هو اعتماد الجسم والتعود المتزايد لأنسجته على الكحول ، وظهور أعراض انقطاعه المفاجئ عن أنسجة الجسم ، والاشتهاء المرضى لتعاطيه » ٠

أما المدة اللازمة لحدوث هذا التعود فتتفاوت من أيام إلى شهر ، ويتوقف ذلك جزئياً على الاختلافات الفردية ، وعلى كميات الكحول المستهلكة ٠

وهناك أربع مراحل في تطور هذا التعود وهى :

١ - مرحلة أعراض ما قبل الإدمان : يشرب الناس مجاملة ويشعرون في البدء براحة ونشوة ٠

٢ - مرحلة الإرهاصات : يصبح السكير أكثر انتظاماً في تعاطى الكحول ويستهلكه كالماء ويشعر بالخجل والذنب وبسبب هذه المشاعر يزداد شرباً ليمحو هذه الأحاسيس المزعجة

له ويصبح الأمر حلقة مفرغة · فترتفع نسبة الكحول في دمه لدرجة التسمم ·

٣ – المرحلة الحادة : لا يستطيع المدمن استعادة إرادته المفقودة مهما حاول جاهداً ·

٤ – مرحلة الإدمان : يعيش المدمن في عالم خاص لا علاقة له بواقعه ، ويفقد كثيراً من ملكاته العقلية ، ويتدهور أخلاقياً فيسرق ، أو يعتدى ويغتصب النساء ، ويهاجم القاصرين والقاصرات مع أنه ينهار سريعاً مع عواطفه وفكره وصحته بسبب الإشباع الكامل لأنسجته بمادة الكحول ·

وهناك مثل : « في البدء يأخذ الإنسان كأساً من الخمر ··· ثم يأخذ بعد الكأس الأولى كأساً ثانية ··· ثم تأخذ كأس الخمر الإنسان » ·

الأضرار :

١ – **سلب الإيمان :** عن أبى هريرة رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زنى أو شرب الخمر ، نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » رواه الحاكم · وكما ذكرنا آنفاً فإن ضعف الإيمان هو السبب الأساسى لشرب الخمر · وشرب الخمر بدوره يسلب الإيمان كلما ازداد المرء شرباً للخمر ، كلما ضعف إيمانه ·

٢ – **سلب العقل :** الأمر المسلم عند الناس أن السكر يضعف القوة العاقلة وكثيراً ما ينتهى بالجنون · وتنتج عنه أضرار كثيرة لا حصر لها ومنها :

(أ) الجرائم كلها بسبب غلبة بهيمية الإنسان على ملكيته وعقله ·

(ب) الحوادث بسبب فقد الوعى ·

(ج) إفشاء السر ٠

(د) العداوة والبغضاء بين الناس ٠

(هـ) سوء الخلق والقتال ٠

(و) الخسة والمهانة في أعين الناس ٠

(ز) « ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » ٠

(ح) التخنث والدياثة وغير ذلك من المفاسد ٠

٣ - ضعف القوى الجسدية والأمراض :

السكر يحطم القوى البشرية إلى أقصى حد فيضعف مقاومة الجسد للأمراض المعدية ويسبب شتى الأمراض فمنها :

١ - يضعف أعضاء رئيسية لا سيما القلب والكبد ٠

٢ - يغير اللون بالصفرة ويذهب بماء الوجه ٠
٣ - يجلب البلغم والسعال والقيء ٠

٤ - يضعف من قوة الباه ٠

٥ - يورث السل الرئوى والسرطان الرئوى ٠

٦- تخريب كريات الدم والتأثير على القلب والإخلال بانتظام ضرباته والموت بالسكتة القلبية ٠

٤ - التأثير النفسى :

الإدمان على المخدرات له تأثير نفسى على المدمن يؤدى في الغالب إلى اضطراب الادراك الحسى واضطراب الشعور واضطراب التفكير ، واضطراب الوجدان ، والإحساس بالتعب ، والجنون ·

ومن الخواص العامة الموجودة في شخصية المدمن كما يلى :

أ - عدم القدرة على احتمال أية مشكلة تعترضه ·

ب - نفاذ الصبر والوقوع في اليأس والقنوط والقلق والصراع النفسي ·

ج - الشعور بالعزلة وفقدان احترام الذات ·

د - فتور العاطفة ، وعدم القدرة على قبول أو تقديم الحنان والحب ·

هـ - الاتكالية والاعتماد على الآخرين وعدم القدرة على الاستقلال في حياته ·

و - الأنانية إلى أقصى حد ·

أسباب الإدمـان :

١ - المشاركة : يشرب بعضهم لأول مرة مجاملة للزمالة والمرافقة والصحبة مع رفاقهم في حفل اجتماعى ·

٢ - يبدأ بعضهم في تناول الكحول للإحساس بالدفء والتمدد والإسترخاء بعد يوم من العمل المرهق ·

٣ - ويشرب آخرون الكحول لينسوا - مؤقتاً -همومهم ·

٤ – ويشرب بعضهم ليتهرب من مواجهة واقع الحياة وهمومها بمحاولة تخفيف ضغوطه النفسية وتخفيف مدة الرقابة الصارمة من ضميره وعقله ودماغه عليه ·

٥ – ويشرب بعضهم ليسكر ··· أى ليتخدر وليتمتع بالنشوة الوقتية ·

٦ – والسبب الأساسي في كل هذا هو ضعف الإيمان بالله والآخرة أو انعدامه أساساً ·

٧ – إن عدم الشعور بالمسئولية أمام الله سبحانه يترك الإنسان كالحيوان لا يتحرج من اقتراف أبشع الجرائم وأنكرها – لا يوجد لديه شيء من حصانة الإيمان والعلم الديني، يقيه من التردي في حمأة الرذيلة ·

٨ – غزو الأفكار المنحرفة التي يصدرها الغرب إلى الشرق، وفيها توهين الدين الحنيف والتشكيك فيه، ونشر الإباحية والتحلل الخلقى ·

٩ – إختلاط المسلمين بأهل الغرب في هذا العصر وتأثرهم بالثقافة الغربية ·

١٠ – قلة القائمين من علماء الإسلام بنشر الدين الصحيح بين المسلمين وأمام العالم وفقدان التربية الصحيحة التي من شأنها قيام جيل صالح على أساس من الإيمان والعلم النافع ·

١١ – عدم الشعور بالواجب عند أكثر حكومات الدول الإسلامية في هذا الصدد إلا ما شاء الله ·

١٢ – وقد رأيت بعض المدمنين يدّعون الإيمان بالله والآخرة بيد أنهم مصابون بسوء الفهم بالنسبة لبعض صفات الله فسمعت أكثرهم يقولون إن الله غفور رحيم فإنه سيغفر لهم كل ذنوبهم ·

ولا شك أن هذه أغلوطة كبيرة فهي تجعل الإنسان يتجاسر على اقتراف الرذائل دون وجل أو خوف من الله تعالى وبلا أدنى شعور بالمسئولية ·

إزالة هذه المغالطة :

يجترئ بعض الناس على المعاصى قائلين : « إن الله غفور رحيم » · هذا سوء فهم في شأن صفات الله سبحانه · فهم يطبقون صفات الله دون وعى أو فهم ويحلونها محلا غير لائق بها ·

إن الله خلق القوانين الطبيعية والقوانين الخلقية وأودع في هذه القوانين تأثيرات قوية والذى يلتزم بهذه القوانين ينال الجزاء الأوفى والذى يخالف هذه القوانين ينزل به العذاب الشديد إن عاجلًا أو آجلًا ·

على سبيل المثال هناك قانون الجاذبية الأرضية ، فعلينا أن نحترم هذا القانون ، الذى يقتضى ويتطلب منا أن لا نسقط أنفسنا من مكان مرتفع وإلا كانت النتيجة الحتمية الموت والهلاك لأن في هذا مخالفة صريحة لقانون الجاذبية الذى هو من صنع الله عز وجل ·

كذلك فهناك قانون طبيعى آخر وهو أن السم يقتل – لذا فعلينا أن نحترم هذا القانون ولا نشرب السم · وفي حالة مخالفة هذا القانون فلا بد أن تكون النتيجة الطبيعية الفناء ·

هذا فيما يختص بالقوانين الطبيعية وكذلك الحال بالنسبة للقوانين الأخلاقية · فمثلا من هذه القوانين أن لا نشرك بالله : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » هذا في الواقع أشد وأبشع من أن يسقط من فوق السقف ·

وثمة قانون أخلاقى آخر يحرم علينا شرب الخمر لأنه رجس من عمل الشيطان · الخمر سم فاقد لحياتنا الروحية · بل أبشع وأخطر من السم المادى لأنه أم الخبائث ·

علينا أن نحترم القوانين الخلقية كما علينا أن نحترم القوانين الطبيعية · إن الله سبحانه خلق كل شيء وأبدع كل القوانين وليس من سنة الله أن يعاقب على مخالفة بعض قوانينه وأوامره ويتركنا بدون مؤاخذة على مخالفة البعض الآخر · ومن الممكن أن يعجل بالعذاب على مخالفة بعض القوانين ويؤخر عذابه بالنسبة لمخالفة البعض الآخر في صورة إملاء كما قال تعالى : « وأملى لهم إن كيدى متين » ·

فمن المستحيل إذن أن يكون الله سبحانه قاهراً فوق عباده بالنسبة لمخالفة بعض القوانين ويكون غفورا رحيما بالنسبة للبعض الآخر ·

فالآن أوجه خطابى إلى الذين يتعاطون الخمر ويقولون إن الله غفور رحيم · فأقول لهم تفضلوا واصعدوا فوق الجبل يا إخوانى وألقوا بأنفسكم مع يقينكم بأن الله غفور رحيم وهو يغفر مخالفة قوانينه · إذن توكلوا على الله لتروا ماذا تكون النتيجة · فهل تعتقدون أن الله سيغفر لكم مخالفة قانون الجاذبية الأرضية فلا يعاقبكم على هذه المخالفة ولن يحكم عليكم بالإعدام ··· الجواب قطعاً بالنفى ·

وهلم يا صاحبى هلم لتتجرع شيئاً من السم وأنت على يقين من نفسك بأن الله غفور رحيم · جرب مغفرته ورحمته على مخالفة هذا القانون الطبيعى · إن كان الله غفورا رحيماً بمفهومك أنت فسيغفر لك هذه المخالفة ولن يعاقبك ولن يضرك السم بشيء · وطبعاً هذا ضد طبيعة الأشياء ومنطقها أى ضد قوانين الله ·

إنك لا تجترئ على اقتراف هذه المخالفات ، إنك لا تلقى بنفسك من فوق الجبل ولا تشرب السم – لمـــاذا ؟

ألست على يقين من نفسك أن الله سيعاقبك على هذه المخالفة وستنال عقابه في صورة الألم أو الموت · إذن فعلى أى أساس بنيت تصورك بأنه لن يعاقبك عندما تخالف قوانينه الخلقية ؟

على أى أساس تعتقد أن الله قاهر فوق عباده بالنسبة لمخالفة القوانين الطبيعية بينما هو يكون غفوراً رحيماً في حالة مخالفة القوانين الخلقية ؟ أية قاعدة ، أية حكمة تدل على ذلك وتجرك إلى هذه الجرأة على مخالفة أوامر الله سبحانه وقوانينه ·

إذن لتفهم أيها المجترئ ، أيها المخمور ! ما معنى « غفور رحيم » على وجهها الصحيح وما هو محل تطبيق هذه الصفات · فقد قال سبحانه :

« وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » ·

« فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم » ·

« وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً » ٠

« إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً » ٠

حقاً وصدقاً إن الله غفور رحيم ولكن لمن ؟ هل للذين يتمادون في اقتراف المعاصى ويصرون على تعاطى الخمر ولا يندمون ولا يتوبون توبة نصوحا ؟ كلا !

كلا « بل سولت لكم أنفسكم أمراً » ٠

العــلاج :

أنا لا أنكر أهمية طرق العلاج الرائجة والمتداولة بصفة عامة ومنها إنشاء المستشفيات المتخصصة والقرى العلاجية للرعاية اللاحقة والعلاج الإجبارى مقابل العلاج الإختيارى ومما لاشك فيه أن الطبيب يلعب دوراً هاماً جداً في مساعدة المدمن على التخلص من إدمانه إذا كان المدمن راغباً في الإقلاع عن عادته ، ولكننى أريد أن ألفت الأنظار إلى شيء أهم من هذه الطرق كلها وهو إزالة السبب الأساسى لهذا المرض . ألا وهو ضعف الإيمان بالله والآخرة أو انعدامه من قلوب المسلمين ٠

إن السكر علامة من علامات انهيار المجتمع الإسلامي بأسره ولا يمكن علاجه بدون معالجة المجتمع بأسره على أساس بعث قوة الإيمان والتربية الإسلامية وإزكاء الشعور الديني ٠

إن أى عمل في هذا الصدد دون الارتكاز على خلفية دينية لن يعود بأية فائدة علينا ويتبين هذا من تجربة عظيمة أجريت في أرقى وأقوى دولة في العالم – أمريكا في عام ١٩٢٠ وفيما يلى ألخص ما كتبه الشيخ المودودى بصدد هذه التجربة التأريخية العظيمة :

حرمت الحكومة الأمريكية الخمر في عام ١٩٢٠ م – كانت هذه أكبر تجربة جربها الإنسان لإصلاح الأخلاق والسلوك الاجتماعى بقوة القانون وسلطة الحكم لا يوجد لها نظير في التاريخ ٠

فأقيمت في البلاد ، قبل إعلان تحريم الخمر ، دعاية واسعة النطاق ضد الخمر وبقيت الرابطة المحاربة لوجود حانات بيع الخمر تسعى وتجتهد في ترغيب الأمريكيين عن الخمر وتثبيت مضارها في أذهانهم ، بإلقاء الخطب وتأليف الرسائل والكتب وعرض المسرحيات وأفلام السينما .

وأفنت في سبيل هذا التبليغ عشرات السنين وبذلت الأموال الطائلة ، حتى قدر أن النشرات المطبوعة والمسموعة بلغت تكاليفها مبلغ خمسة وستين مليون دولار ، وأنه بلغ عدد الصفحات التي سود بياضها لبيان مساوئ الخمر والزجر عنها تسعة آلاف مليون صفحة .

ذلك قبل بدء التجربة . وأما ما تحملته الأمة الأمريكية في الأربعة عشر عاماً من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٣ م ، عام إلغاء قانون التحريم ، من النفقات الباهظة لأجل تنفيذ قانون التحريم فقدر مجموعها بأربعة ملايين ونصف مليون جنيه .

وتدل الإحصاءات التى أذاعها ديوان القضاء الأمريكي لهذه الفترة ، أنه قتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نسمة وسجن نصف مليون وغرم الجناة ما يربو على مليون ونصف مليون جنيه ، وصودر من الأملاك ما يساوى أربعمائة مليون جنيه .

كل هذا النقص الهائل في الأنفس والأموال كابدته أمريكا لغرض واحد ، هو تلقين الأمة الأمريكية « المتحضرة » مفاسد الخمر الجمة وتنبيهها إلى مضارها الروحية والصحية والأخلاقية والاقتصادية ولكن عاد القوم من هذا الجهاد الإصلاحى العظيم بصفقة خاسرة .

فلم تكد تغلق الحانات القانونية العلنية في البلاد بجانب حتى انفتحت فيها بجانب آخر آلاف مؤلفة من الحانات السرية ، ثم كثر تردد الصغار من أبناء الأمة وبناتها إلى هذه الحانات وغلت أثمان الخمر غلاء فاحشا - والذى قدر على أقل التقدير أنه بلغ عدد شاربى الخمر بعد التحريم عشرة أضعاف ما بلغه قبله - وصارت الخمر المستعملة سراً في كيفيتها أردأ نوعاً وأشد فتكاً بالصحة مما جعل الأطباء يقولون فيها : « إن هذا المشروب أحرى بأن يدعى السم من أن يسمى خمراً » من أمثلة ذلك ما تدل عليه الإحصاءات لمدينة نيويورك من أنه كان عدد المرضى فيها من استعمال الكحول في سنة ١٩١٨ قبل التحريم : ٣٧٤١ وعدد الهالكين من استعماله : ٢٥٢ نفساً - ثم بلغ عدد المرضى فيها لسنة ١٩٢٧ بعد التحريم أحد عشر ألفاً وعدد الهالكين سبعة آلاف ونصف الألف .

وحاصل القول أن النتائج التي ظهرت في أمريكا عقب تحريم الخمر تتلخص في أنه :

– زالت عن القلوب حرمة القانون ونشأت نزعة للبغى والتمرد عليه في كل طبقة من طبقات المجتمع ·

– لم تتحقق الغاية المقصودة من تحريم الخمر ، بل زاد استعمالها بعد التحريم على ما كان عليه قبله ·

– تجشمت الحكومة خسائر لا تحصى في تنفيذ قانون التحريم ، ومثلها أيضاً أصاب الشعب الأمريكي لشرائه الخمر خفية ، فتأثرت بذلك اقتصاديات البلاد ·

– كثرت الأمراض واختلت الصحة وازدادت نسبة الوفيات ، وفسدت الأخلاق وشاعت الرذائل وتفشت الجرائم في جميع طبقات المجتمع وعلى الأخص في الجيل الناشىء ·

وكانت هذه كلها من ثمرات هذا القانون في ناحية التمدن والأخلاق إلى أن ألغى قانون تحريم الخمر في عام ١٩٣٣ م ·

ظهرت هذه النتائج كلها في دولة تعد من أرقى دول الأرض حضارة . ان أبناءها أوفر حظاً من التهذب والحضارة ، فهم أحرى أن يعرفوا ما يضرهم وما ينفعهم ·

والآن هيا بنا نرسل الطرف في قطر كان يعد أجهل أقطار الأرض في أظلم عصور التاريخ قبل أربعة عشر قرناً ، أهاليه أميون ، والعلم والحكمة فيه شيء معدوم ، والتمدن والحضارة أمر لا يعرفه أحد ، وعدد المتعلمين فيه ربما لا يزيد على واحد في عشرة آلاف · وأما أهاليه فعشاق للخمر متهالكون عليها متفانون فيها ، في لغتهم نحو مائتين ونصف مائة علم (اسم) لهذا الشراب وحده مما لا نظير له في أية لغة أخرى · يبدو كأنهم رضعوها مع لبان أمهاتهم وكانوا يعتبرونها لازمة لزوم الماء لحياتهم ·

فإذا هذه كانت الحالة السائدة في شبه الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام · وما إن يبزغ نور الرسالة حتى تبدأ الشريعة الإسلامية بتحريم الخمر تدريجيا · حتى حرمت الخمر البتة في مدة قليلة فقال الصحابة « انتهينا يا رب ! » وقال أنس رضى الله عنه : حرمت ، ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها ، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر ·

قال : فأخرجنا الحباب إلى الطريق فصببنا ما فيها · فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين · ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً ، كلما أمطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها ·

والذي تدل عليه هذه المقارنة بين تحريم الخمر في أمريكا وتحريمها عند العرب ، هو أن نجاح أى مشروع إصلاحي إنما يتوقف على مدى قوة الإيمان ، فالإيمان بالله والآخرة ينبت منه العمل الصالح والتقوى والإحسان والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ·

ولا يمكن للإنسان أن يتخلص من العادات السيئة إلا بالتربية الإسلامية والأخذ بمنهاج السنة على صاحبها الصلاة والسلام ·

أما الطرق الحديثة لمعالجة شرب الخمر فهى أمور إضافية كما رأيناها آنفاً ·

خطـة العـلاج :

وعلاجاً لهذه العادة الخبيثة المدمرة ، ومقاومة لتعاطى المسكرات والمخدرات ، أقترح أربع خطوات ، اثنتين منها لحكومات الدول الإسلامية واثنتين للأفراد المدمنين : -

١ - فواجب على حكومات الدول الإسلامية أن تضع حداً لنظام التعليم غير الإسلامى الرائج في أكثر الدول · فحكوماتنا مسئولة أمام الله والناس عن تنشئة جيل جديد في ضوء القرآن والسنة وتوجيهه وتربيته تربية إسلامية ، مع الوقوف على أفكاره بين الحين والآخر تيقنا من النهج القويم ·

٢ - وواجب على حكومات الدول الإسلامية أن تمنع بتاتاً إستيراد المسكرات أو إنتاجها وأن تحرم عصرها في داخل البلاد أيضاً · وليس هذا غير ممكن ·

٣ - التوبة المتكررة ·

٤ - ذكر الله ·

والآن أوضح ما أعنى بالتوبة المتكررة وذكر الله ·

التوبة المتكررة :

وأعنى بالتوبة المتكررة ما يقوم به من يريد التوبة في ضوء السنة على صاحبها الصلاة والسلام · فالذين تعودوا على تعاطى المسكرات ، عليهم أن يصلوا ركعتين تائبين إلى الله من هذا الذنب العظيم ، فالتوبة ندم وعزم واستغفار – فلا قدر الله حتى وإن سيطر على المدمن إدمانه وهو يشرب الخمر لما بعد توبته فلا موجب ليأسه وعليه أن يتوب مرة أخرى ويندم ويستغفر ويعزم على التخلص من هذا البلاء وأن لا يقنط من رحمة الله · وعليه أن يستمر في تكرار التوبة مباشرة بعد ارتكابه الذنب ولو كان هذا لعدة مرات في اليوم الواحد ·

هذا لأنه بعد هذا العمل المستمر للتوبة المتكررة سيصبح المدمن من التوابين لا من المصرين على الذنب وقد ورد في الحديث :

« عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أصر من استغفر ولو عاد سبعين مرة في يوم واحد » · [مشكاة المصابيح]

وعلىّ أن أخبركم بتجربتى في هذا الصدد – جاءنى شيخ مدمن وكان يريد التخلص من شرب الخمر – فنصحت له عمل التوبة المتكررة · فتاب إلى الله ثم رجع إلى ذنبه ، ثم تاب ثم شرب الخمر وعمل هكذا عدة مرات حتى جاءني بعد بضعة أيام فقال لى : قد سئمت من هذه اللعبة يا أخى ، التى لا طائل من ورائها ·

فقلت : منذ متى وأنت تشرب الخمر ؟

فقال : منذ عشرين عاماً ·

فقلت : عليك أن تجرب هذه اللعبة لعشرين أسبوعاً على الأقل وإن لم تستشعر أية فائدة من هذه التجربة فاتركها ·

فقال : لن أطمئن حتى تخبرنى عن فائدة عمل « توبة فاشلة » ·

فقلت : يا أخى ! عندما تصلى ركعتين وتستغفر وتندم وتتوب إلى الله بكامل إخلاصك فإن من سنة الله أن يغفر لعبده جميع ما كان قد ارتكب من ذنوب لا سيما تلك التى هى من قبيل غصب حقوق الله كما ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام ·

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ·

فكل مرة عندما تشرب الخمر ثم تصلى ركعتين تائباً إلى الله فإن الله سبحانه يغفر لك ذلك الذنب – فصلاة ركعتين للتوبة هى ربح لك · فإذا انت استمررت على عمل التوبة فإن الشيطان لن يرضى لك هذا الربح بسهولة بل سيحاول إغراءك مرة تلو المرة بترك صلاة التوبة وإن لم يمكنه ذلك بسبب استمرارك في عمل التوبة في صورة صلاة الركعتين فليس أمامه إلا أن يكون عوناً لك على ترك الخمر · إنه على الأقل سيخلى طريقك ولن يطاردك بوساوسه في هذا الصدد ·

وأحمد الله سبحانه على أن هذه التجربة قد نجحت نجاحاً تاماً وتمكن الشيخ من الإقلاع عن الخمر بهذه الطريقة ·

ويذكرنا هذا بقصة سيدنا معاوية رضى الله عنه المشهورة مع الشيطان إذ يحكى أن سيدنا معاوية لم يستيقظ في إحدى الليالى للتهجد كعادته ، فأسف أسفاً شديداً وبكى أمام الله سبحانه بكاء شديداً · فرأى في الليلة التالية أن الشيطان يوقظه للتهجد فسأله قائلاً : لماذا توقظنى للتهجد وأنت عدوى · فقال الشيطان : هذا لإنك اكتسبت البارحة ببكائك أكثر مما تكسب بالتهجد فأبيت عليك ذلك ، وجدير بى أن أوقظك للتهجد كى لا تبكى على فواته منك فتكسب أكثر مما تكسب بالتهجد ·

فالحقيقة إذا ما جاء المدمن ونوى أن يتوب بالإقلاع عن شرب الخمر فصلى ركعتين بنية التوبة فإن الشيطان الذى يأبى عليه ذلك يعود فيغريه مرة أخرى ، فيشرب ثم يتوب مرة أخرى ويصلى ركعتين وهكذا ؛ وفي كل مرة يمحو الله ذنبه بمجرد توبته وإقلاعه عن شرب الخمر ، بل وتكتب له حسنة عن أداء ركعتى الصلاة وتوبته في كل مرة · وعندما يرى الشيطان هذا الفضل ، يعز عليه أن يكون سبباً في زيادة الخير لهذا الشارب · فلا يسع

الشيطان في النهاية إلا أن يقرر أن يترك شارب الخمر لحاله . فلا يعود يغريه بشربها مرة أخرى حتى لا يكون سبباً في كسب المزيد من الحسنات رغم أنفه ·

ذكـر الله :

وقد ورد في عدد من الأحاديث النبوية أن ذكر الله سبب نزول رحمة الله على العبد ورحمة الله تمنع الإنسان من ارتكاب المعاصى كما أن لعنة الله سبب لكثرة المعاصى · فمن اللازم للمدمن أن يكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار وتلاوة القرآن والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى رأس كل الصلاة المكتوبة · ولكل هذه الأذكار أثر بالغ أنها تمنع الإنسان عن ارتكاب المعاصى كما ورد في القرآن :

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ·

وقد ورد نص صريح في الصلاة على النبى فقال عليه الصلاة والسلام :

« من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات » ·

وعلينا أن نفهم جيداً ما هو تأثير صلاة الله على العبد فقال سبحانه : -

« هو الذى يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور » ·

وهذا يعني أن الصلاة على النبى تستلزم إخراجه من الظلمات إلى النور ·

فهذه النصوص تدل دلالة قاطعة على أن كثرة ذكر الله لا سيما الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام ذات ثمرة حلوة ألا وهى صلاة الله ورحمته على العبد وهكذا فهى تخرجه من الظلمات إلى النور ومن ثم فهو يستطيع أن يتخلص من العادات السيئة ومنها شرب الخمر ·

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ·

المراجع :

١ – أحمد محمود حافظ ، النقيب ، المخدرات ، وزارة الداخلية المملكة العربية السعودية – الرياض ١٩٧٦ ·

٢ – بيجيرو ، نل ، الدكتور – الإدمان مترجماً باللغة العربية – دار الثقافة للجميع ، دمشق ١٩٧٨ ·

٣ – المودودى ، أبو الأعلى ، الإمام ، تنقيحات · اسلامك ببليكشنز لاهور ١٩٨٠ ·

٤ – نبيل صبحى الطويل ، الدكتور ، الخمر ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠ ·

٥ – مشكاة المصابيح · بتخريج الألبانى ·

الخمر ليس دواءً ولكنه يجلب الداء

"إنما حرم الله على هذه الأمة ما حرم لخبثه ، وتحريمه له حمية لهم وصيانة عن تناوله ، فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل ، فإنه وإن أثر فى إزالتها لكنه يعقب سقمًا أعظم منه فى القلب بقوة الخبث الذى فيه ، فيكون المداوى به قد سعى فى إزالة سقم البدن بسقم القلب ، وتحريمه يقتضى تجنبه والبعد عنه بكل طريق ، وفى اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه وملابسته . وهذا ضد مقصود الشارع ".

(ابن القيم)

المُسكِرُ والمُخدِّرُ
جنايةٌ على العقلِ

للشيخ سعد ندا
المدرس بكلية الحديث الشريف بالجامعة

العقل جوهرة يتميز بها الإنسان عن الحيوان ، وهو مناط الإدراك فيه ، فبه يفرق بين الخير والشر ، ويميز به الخبيث من الطيب ، ومن ثم حرص الإسلام أعظم الحرص على المحافظة عَليه ، وجعله محل التكاليف الشرعية ، إذ قد أسقطها عمن فقده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم) (رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن على وعمر) .

وحين نستقرىء آيات القرآن الكريم نجد أن الإشارة إلى العقل قد تكررت في صيغ مختلفة - تسعاً وأربعين مرة (١) - ورد فيها الاستفهام التقريعىّ التوبيخىّ بصيغة « أفلا تعقلون ؟ » خمس عشرة مرة (٢) في قوله تعالى : « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟** » (البقرة آية ٤٤) .

وكذلك في الآيات رقم ٧٦ البقرة ، ٦٥ آل عمران ، ٣٢ الأنعام ،١٦٩ الأعراف ، ١٦ يونس ، ٥١ هود ، ١٠٩ يوسف ، ١٠ الأنبياء ، ٦٧ الأنبياء ، ٨٠ المؤمنون ، ٦٠ القصص ، ٦٢ ، ٦٨ يس ، ١٣٨ الصافات (٣) .

والاستفهام بقوله جل وعلا « أفلا تعقلون ؟ » يوبخ أولئك المخاطبين ، لأن الله منحهم عقولا تدرك ، ومع ذلك أبوا إلا أن يطمسوها طمساً تُعطّل به ولا تستعمل فيما أعدَّها الله

---

(١) ، (٢) ، (٣) المعجم المفهرس .

تعالى له . فبدّلوا هذه النعمة الجليلة التى أنعم الله بها عليهم كفراً . فلم ينتفعوا بها شيئا .

وسوف يدركون هذه الحقيقة في الدار الآخرة فيقولون وهم يتلظون بالنار . كما أشار إليهم الله تعالى في قوله : « **وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** » (الملك آية ١٠) فهؤلاء أعطاهم الله أسماعاً ، وأعطاهم عقولاً . ولكنهم لم يستعملوا أسماعهم ولا عقولهم في إدراك الحق الذى أنزله الله تعالى . فكانوا بمثابة الذين انعدمت أسماعهم وعقولهم ولم تُغْنِ عنهم شيئاً .

* وجاءت الإشارة إلى العقل بصيغة « لعلكم تعقلون » ثمانى مرات (١) وذلك في قوله تعالى : « **كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون** » (البقرة آية ٧٣) ، وقوله تعالى : « **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** » (البقرة آية ٢٤٢) . وكذلك في الآيات رقم ١٥١ الأنعام ، ٢ يوسف ، ٦١ النور ، ٦٧ غافر ، ٣ الزخرف ، ١٧ الحديد (٢) .

وفي هذه الصيغة يتبين أن ماسبقها علة لكى يعقل الإنسان ويتدبر ، ليفهم عن الله عز وجل ما يلفته اليه .

* وجاءت الإشارة كذلك إلى العقل بصيغة (لا يعقلون) إحدى عشرة مرة (٣) في قوله تعالى : « **أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** » (البقرة آية ١٧٠) ، وفي قوله : « **صم بكم عمى فهم لا يعقلون** » (البقرة آية ١٧١) ، وفي الآيات رقم ٥٨ المائدة ، ١٠٣ المائدة ، ٢٢ الأنفال ، ٤٢ يونس ، ١٠٠ يونس ، ٦٣ العنكبوت ، ٤٣ الزمر ، ٤ الحجرات ، ١٤ الحشر (٤) .

وقد نعى الله تعالى على من عناهم في هذه الآيات أنهم لا يستعملون عقولهم بل عطلوها تماماً فلم يستفيدوا بوجودها لديهم ، فكأنها منعدمة لا قيام لها فيهم ، ومن ثم لم يفهموا ولم يدركوا عن الله شيئاً .

* وجاءت الإشارة كذلك إلى العقل بصيغة (يعقلون) ثمانى مرات (٥) ، وذلك في قوله تعالى : « إن في خلقِ السماوات والأرض واختلافِ الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناسَ ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرضَ بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريفِ الرياح والسحابِ المسخرِ بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون » (البقرة آية ١٦٤) .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) المعجم المفهرس .

ونرى في هذه الصيغة أن الله تعالى ساق قبلها آيات كونية بثها في أرجاء الكون ، أو عبرا من صور الناس ، ثم يجعل هذه الآيات محلا لتسليط العقل عليها للتدبر والاعتبار لمن استخدم عقله للاستفادة مما لفت إليه تبارك وتعالى .

وقد كررت هذه الصيغة في الآيات رقم ٤ الرعد ، ١٢ ، ٦٧ النحل ، ٤٤ الفرقان ، ٣٥ العنكبوت ، ٢٤ الروم ، ٢٨ الروم ، ٥ الجاثية (١) .

* وجاءت الإشارة إلى العقل بصيغة (إن كنتم تعقلون) مرتين (٢) **الآية الأولى** هى قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قد بدت البغضاءُ من أفواههم وما تُخفى صدورُهم أكبرُ ، قد بينا لكم الآياتِ إن كنتم تعقلون** » (آل عمران آية ١١٨) ـ ومعنى (إن كنتم تعقلون) هنا أى إن كنتم عقلاء ، وهذا على سبيل الهزّ والتحريك للنفوس كقولك : إن كنت مؤمنا فلا تؤذ الناس . وقال ابن جرير : المعنى : إن كنتم تعقلون عن الله أمره ونهيه (٣) .

والآية الثانية : هى قوله تعالى : « **قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون** » (الشعراء الآية ٢٨) ومعنى (إن كنتم تعقلون) هنا : أى إن كان عندكم عقول لأدركتم أن شروق الشمس من المشرق وغروبها في المغرب – وهو أمر يبصره العاقل والجاهل – أمر لا يقدر عليه إلا الله رب العالمين (٤) .

* وجاءت الإشارة إلى العقل بصيغة (عقلوه) مرة واحدة (٥) في قوله تعالى : « **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلامَ الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** » (البقرة آية ٧٥) والمراد أن اليهود غيّروا آيات التوراة بالتبديل والتأويل بعد أن عقلوها أى بعد أن أدركوها بعقولهم أى فهموها وعرفوها (٦) .

* وجاءت الإشارة إلى العقل بصيغة (يعقلها) مرة واحدة(٧) في قوله تعالى : « **وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العَالِمُون** » (العنكبوت آية ٤٣) . والمراد أن الأمثال التى يبينها الله للناس في القرآن الكريم لتقريبها إلى أذهانهم لا يدركها ولا يفهمها إلا العَالِمُون الراسخون الذين يعقلون عن الله عز وجل مراده (٨) .

---

(١) ، (٢) ، المعجم المفهرس .
(٣) صفوة التفاسير المجلد الأول ص ٢٢٥ .
(٤) المرجع السابق المجلد الثانى ص ٣٧٧ .
(٥) المعجم المفهرس .
(٦) صفوة التفاسير المجلد الأول ص ٧١ .
(٧) المعجم المفهرس .
(٨) صفوة التفاسير .

* **أقــول :** هذه لمحة موجزة عن الآيات التى وردت فيها الإشارةإلى العقل في القرآن الكريم · وإذا كانت الإشارة إلى العقل قد تكررت بهذا العدد الوفير ، فإن ذلك إن دل على شىء فإنما يدل على الأهمية العظمى للعقل لأنه مناط الإدراك في الإنسان ، ومحل التكاليف الشرعية التى كلفه الله تعالى بها ·

وإذا كان العقل بهذه المثابة ، وله هذه المكانة ، وهذه الأهمية ، فقد أمر الشارع بالمحافظة عليه ضمن الكليات الخمس (**الدين ـ والنفس ـ والعقل ـ والمال ـ والنسل**) التى بحفظها يُجمَع الخير لحياة الإنسان ·

ومن ثم فإن اعتداء الإنسان عليه لتعطيله ووقف عمله ، يُعَدُّ جريمة يرتكبها الإنسان على بعض نفسه ، وعلى إحدى كلياته وهو العقل ، دون أن يُجْرم هذا العقل في حق صاحبه شيئا ، وعلى ذلك يستحق هذا المعتدى أن يعاقب تأديباً له على إجرامه · وحين ننظر إلى المسكرات والمخدرات التى يتعاطاها الإنسان نجد أنها من صور الاعتداء البشعة على عقله ، لأنها تخامره وتخالطه ، فتذهب وعيه ، وتبدد إدراكه ، ويصبح صاحبه المعتدى على نفسه ، كالحيوان أو أضل ، لا يفرق بين الخير والشر ، لأن أداة التفريق قد أُفسدت وعُطلت ، وانعدمت فيها قدرة التمييز ·

والسُكر بالخمر يخامر العقل ، ويتخلل جوانبه ، فيفسده ، والتخدير بالمخدر يشل العقل ، ويوقف عمله ·

فهل لعاقل أن يُقدم – باختياره – على تعطيل آلة غاية في الدقة وهى عقله تسجل له الماضى تسجيلًا دقيقا ، وتساير له الحاضر مسايرة منتظمة ، وتتصور له المستقبل تصوراً معقولا ؟ هل لعاقل أن يفسد مثل هذه الآلة في روعة دقتها ؟ وقد فطرها على هذا الإبداع الفريد الخلّاق العظيم ؟

إن الذى يقدم على إفساد عقله يدل بفعله هذا على أنه مستغن عن عقله ، وليس في حاجة اليه ، وأنه يريد أن يكون هكذا بدون عقل كالحيوان الذى لا يميز ، أو كالجماد الذى لا يدرك مما حوله شيئا ·

وبين يدى هذه الصورة البشعة تتضح وقفة الشرع الحاسمة في منع هذا الاعتداء على العقل بالأمر الجازم بعدم قِرْبان حِمَى المسكر ولا الاقتراب منه ، فقال الله عز وجل : « **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطانُ أن يوقع بينكم العداوةَ والبغضاءَ في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ؟**

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ واحذروا ، فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » (المائدة آية ٩٠ ـ ٩٢) ، وقد ذكر المفسرون أن هذه الآيات هى جزم قاطع بتحريم الخمر ـ وكلُّ مسكر خمر ـ واستدلوا على التحريم القاطع بما يأتى :

١ ـ تصدير الآيات بلفظ (إنما) وهى تدل على التخصيص والحصر .
٢ ـ قرن الخمر والميسر بعبادة الأصنام وهى (الأنصاب) .
٣ ـ جعل الخمر والميسر رجسا أى نجسا ـ مثل قوله تعالى (**فاجتنبوا الرجسَ من الأوثان**) .
٤ ـ جعل الخمر والميسر من عمل الشيطان ، والشيطان لا يأتى منه إلا الشر البحت .

٥ ـ الأمر بالاجتناب ـ أقول : والاجتناب معناه أن يكون المؤمن في جانب ، والمأمور باجتنابه في جانب آخر ، ومفهوم هذا أنه لا يأتى قريبا من حماه .
٦ ـ جعل الاجتناب من الفلاح . ومفهوم المخالفة أن عدم الاجتناب خيبة وخسارة .
٧ ـ ناتج الوقوع في الخمر والميسر التعادى والتباغض بين الواقعين فيهما ، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة .
٨ ـ قوله تعالى « **فهل أنتم منتهون ؟** » وهو استفهام تقريع وتوبيخ ، فيه زجر بليغ يؤكد التحريم . لهذا لما سمع عمر وغيره من الصحابة رضى الله عنهم هذا قالوا : (انتهينا) .
٩ ـ قوله تعالى بعد هذا الاستفهام (**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ واحذروا**) .

وهذا الأمر وإن كان أمراً مطلقاً ، فإن المجىء به في هذا الموضع يفيد تأكيد التحريم ، وقوله تعالى (احذروا) أى احذروا مخالفة الله ورسوله فيما جاء عنهما .

١٠ ـ قوله تعالى « فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » معناه : إن أعرضتم عن الامتثال ، فقد فعل الرسول صلى الله عليه وسلم الواجب عليه من البلاغ الذى فيه رشادكم وصلاحكم ، ولم تضروا بالمخالفة إلا أنفسكم ، وفي هذا من الزجر مالا يُقَادَرُ قدره ولا يُبْلَغ مداه(١) .

والخمر يأخذ حكمه كل مسكر بأى اسم كان ، فقد روى البخارى ـ بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كل شراب أسكر فهو حرام) .

---

(١) فتح القدير الجزء الثانى ص ٧٣ ، ٧٤ ـ ببعض تصرف .

* **شبهة أولى وردها :**

أقـول : وقد يعترض بعضهم بأنه يشرب زجاجة من الخمر أو النبيذ أو البيرة ولا يسكر ، ويبنى على ذلك أنه يصير - بعدم إسكاره - غير محرم · والجواب عن ذلك : أن هذه النظرة قاصرة جاهلة ، لأن هذا الذى يشرب زجاجة واحدة فلا يسكر ، لو أنه شرب زجاجتين أو ثلاثا أو أربعا أو خمسا فإنه يسكر قطعاً ، وما دام أنه قد سكر من كمية كثيرة ، فإن أقل كمية منه تكون محرمة · فقد أخرج الترمذى وأبو داود عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما أسكر كثيره فقليله حرام) (١) ·

ومن ثم فإن أى شراب يسكر الكثير منه ، يكون القليل منه حراما ، وحكم القليل حكم الكثير ·

* **شبهة ثانية وردها :**

أقــــول : وقد يعترض البعض بأن المخدرات لم يرد في القرآن النهى عنها ، وكذلك الدخان لم يرد النهى عنه كذلك ·

وهذا الاعتراض مردود على صاحبه لما يأتى :

أ ـ المخـدرات : تتخلل العقل وتخدره ، بل إنها تشله وتذهبه تماما إذا كثرت الكمية المتناولة ، وما دام أنها خامرت العقل وأذهبته ، فإن حكمها حكم الخمر ، وتكون حراما ·

فقد أخرج الترمذى والنسائى عن عبد الله بن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كل مسكر حرام) ·

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها ، لم يشربها في الآخرة) ·

رواه البخارى ومسلم (في باب الأشربة) ، وغيرهما ·

ومن ثم فإن الحشيش والأفيون والهروين والقات وغير ذلك مما يذهب العقل كليا أو جزئيا حرام قطعاً ، حكمه حكم الخمر ·

---

(١) رواه الترمذى في الأشربة باب : ما أسكر كثيره فقليله حرام ؛ ورواه أبو داود في الأشربة باب (النهى عن المسكر) ورجال إسناده ثقات . وحسنه الترمذى ·

ب ـ أما الدخـــان : فهو وإن كان غير مسكر إلا إنه مفتر للجسم ، والمفتر هو ما يرخى الجسم ، ويضعف الجفون ، ويكسر الطرف · وهو منهى عنه شرعاً ·

فعن أم سلمة ـ زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ رضى الله تعالى عنها قالت : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومُفْتِر) ·[1]

وبعض الناس يفتون بكراهية الدخان ، ولكنه ـ فيما يبدو لى ـ أنه حرام للأدلة الآتية :

أن الله تعالى قال في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الذين يتبعون النبى الأمىّ الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروفِ ، وينهاهُم عن المنكرَ ، ويُحِلُّ لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرَهم ، والأغلال التى كانت عليهم ···· الآية** » (الأعراف آية ١٥٧) ·

أقـــول : والمأكولات والمشروبات في نظر الإسلام إما طيبة وإما خبيثة ، والطيبات حلال ، والخبيثة حرام ·

ونحن إذا سألنا شارب الدخان : هل هو خبيث أو طيب ؟ ما وجد جوابا إلا أن يقول : إنه خبيث · ما يختلف في هذا الجواب عاقلان ·

حقـاً إن الدخان خبيث :

١ ـ **خبيث لأنه يفسد الأسنان فيحطم أساسها وشكلها ·**
٢ ـ خبيث لأنه **يضر الفم وينشر فيه الالتهابات الخبيثة ·**
٣ ـ خبيث لأنه **يضر بالحلق فينشر فيه النقرحات المتنوعة ·**
٤ ـ خبيث لأنه **يفسد الجهاز التنفسى ·**
٥ ـ خبيث لأنه **يفسد الجهاز الهضمى ·**
٦ ـ خبيث لأنه **يفسد الجهاز الدموى ·**
٧ ـ خبيث لأنه **يفسد الجهاز العصبى ·**
٨ ـ خبيث لأنه **يؤثر في محتويات الرأس فيفسد التفكير ويضعف الإدراك ·**
٩ ـ خبيث لأنه **يؤدى إلى أمراض خطيرة أعظمها السرطان والعياذ بالله ·**
١٠ ـ وفوق ذلك فهو خبيث لأنه **يؤدى إلى قتل النفس وإهلاكها** وقد أمرنا الله

---

(١) أخرجه أبو داود في الأشربة باب (النهى عن المسكر) وفي سنده ضعف · وقد حسنه الحافظ في الفتح ـ انظر جامع الأصول ج ٥ ص ٩٣ ـ

تعالى بأن لا نقتل أنفسنا ، فقال سبحانه : « **ولا تقتلوا أنفسكم** » (النساء آية ٢٩) ، كما أمرنا بأن لا نهلك أنفسنا فقال سبحانه : « **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** » (البقرة

آية ١٩٥) . وسواء قتل الإنسان نفسه حالا أو على مراحل ، كمن يمسك السكين ويطعن نفسه طعنة واحدة قاتلة ، أو من يطعن نفسه عدة طعنات في مواضع مختلفة من جسمه ثم في النهاية تكون الطعنة القاتلة ، فان النتيجة أنه قاتل لنفسه . وشارب الدخان مثله في قتل نفسه كمن يطعن نفسه عدة طعنات مرة في ساقه ومرة في ذراعه ، ومرة في يده ومرة في قدمه ، والطعنة الأخيرة في صميم قلبه . فهو على أى الأحوال قاتل لنفسه ، وملقٍ بها إلى التهلكة .

١١ ـ فضلا عن ذلك فإن الدخان خبيث **لإتلافه المال** ، فهذا الذى يشترى علبة الدخان بريال مثلا ويحرقها كأنه أشعل في الريال وأحرقه ـ وقد نهينا عن إضاعة المال وإتلافه

١٢ ـ زيادة على ما ذكرت فإن الدخان **خبيث في رائحته** ، فنتن رائحته التى تنبعث من فم المدخن خبيثة للغاية . وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد منع آكل البصل والثوم والكراث ـ وهذه شجرات غير محرمة ـ من قِرْبان المسجد واعتزاله لخبث رائحتها ، فما بالنا بمدخن الدخان ورائحته أشد نتنا وأكثر خبثاً ، مما ينبغى معه أن يعتزل المسجد ويمنع من دخوله ؟

وبناء على ما ذكرت فإنه يبدو لى أن الدخان حرام قطعاً لأنه من الخبائث ، والخبائث كلها (محرمة) وليست مكروهة كما يزعم بعض الذين لا يعلمون .

خطورة المسكرات والمخدرات على الفرد والأمة :

بعد هذه العجالة ، أحب أن أتساءل ، لأ برز مدى خطورة المسكرات والمخدرات على الفرد والأمة .

هب أن حريقا شب في منزل مجاور لك ، وأحسست بلهبه ، فعَجِلتَ إلى جيرانك لتنبهم إلى شبوب الحريق واندلاعه في منزلهم ، فوجدت أفراد المنزل سُكارى ، ففتح أحدهم لك بابه ثم أغلقه في وجهك ، والنار تشتعل في داخل المنزل ـ فماذا تكون النتيجة ؟

النتيجة أن النار تلتهم المنزل بما فيه من السُكارى ، فلا تبق على أحد منهم ولا تذر .

وبالمثل لو أن حريقا هائلا شب في منازل الأمة ، وحاولت أن تنبه إليهم أفرادها ، فإذا هم جميعا سُكارى ؟ فماذا تكون النتيجة ؟

النتيجة أيضا أن الحريق يقضى على الأمة بأسرها لا يبقى منها على شىء .

وهكذا إذا سكرت العقول وتخدرت ، تعطلت ، وشُلّت ، فزحفت عليها زواحف الشر والطغيان ، فأهلكتها وقضت عليها ، وأفرادها لا يدرون ولا يحسون ، بل يتحركون كالأنعام حركات آلية ، عديمة الإدراك ، يلقون حتفهم بأظلافهم .

إن الأمر جدُّ خطير ، وينبغى أن يوضع لتلك المبيدات حد من أولى الأمر في كل دولة ، فالله يزع بالسلطان مالا يَزَعُ بالقرآن .

اللهم أرشدنا إلى الحق ، وخذ بنواصينا وقلوبنا إليه ، إنك جواد كريم ، وأنت ولينا وأنت نعم النصير . وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

زيادة نسبة الأمراض بسبب التدخين

أهم الأمراض التى تزيد نسبتها فى التدخين هى سرطان الرئة ، أمراض الشرايين الإكليلية ، أمراض تضيق الشرايين ، سرطان الشفة واللسان والفم والحنجرة واللهاة والمرىء والمثانة والقرحة والإثنى عشرية .

جائزة الملك فيصل لخدمة الاسلام .. التى منحت لسماحة العلامة المجاهد بقلمه ولسانه الشيخ عبد العزيز بن باز - كانت تحية طيبة لسماحته من لجنة الجائزة ، واشعارا للمجتمع الاسلامى بادراك اللجنة الموقرة لمقام سماحته الكبير ، مقام العلم النافع ، والعمل الرائع ، مقام الجهاد بالقلم واللسان والمال ، مقام الناصح الأمين ، الذى يعلن كلمة الحق ، بين أيدى الرعاة والرعية ، وبين الخاصة والعامة .

● أجل .. ان الشيخ عبد العزيز فريد في ميدانه علما وعملا ، ونادر في مقامه جهادا بالقلم واللسان والمال ..

كل أيامه في بيته ، وفي مقر عمله ـ مشغولة بالزوار من طلاب الحاجات ، وحملة المشكلات ، وطارحى المسائل ، وهو بينهم يقضى لهذا حاجته ، ويحل لذلك مشكلته ، ويجيب الآخر على مسألته ، ويبذل للرابع شفاعته ليقبل في معهد أو كلية ، أو ليعطى عونا ماليا لبناء مسجد ، أو انشاء مدرسة ، أو اقامة مركز للدعوة الإسلامية .

وزوار سماحته متعددو الجنسيات ، مختلفو الألوان والأوطان .. من البلاد العربية ، ومن افريقيا وآسيا ، ومن أمريكا وأوروبا ـ لم يجدوا بابا غير بابه مفتوحا ، ولا صدرا غير صدره متسعا لاستقبالهم ، والترحيب بهم ، ثم امدادهم بما يريدون من عون مادى ، أو فتوى دينية ، أو شفاعة لدى مسؤول كبير لقضاء حاجة من حاجات الدنيا الكثيرة .

● ثم هو لايسمع بمنكر يحدث في جماعة أو مجتمع ، أو حتى من فرد صغير أو كبير ـ إلا سارع فكتب لولاة الأمر ينبه إلى مخاطر هذا المنكر ، ويوجه إلى ضرورة القضاء عليه لئلا يفشو فيزداد وباؤه في المجتمع ، فتسوء العاقبة والمصير .

وإلى جانب ذلك : المؤلفات والأحاديث والمقالات عبر الصحف والمجلات والإذاعة : تعليما وتذكيرا ، وأمرا بالمعروف ، ونهيا عن المنكر ، وتوجيها إلى الخير ، ودحضا للباطل ، وانتصارا للحق .

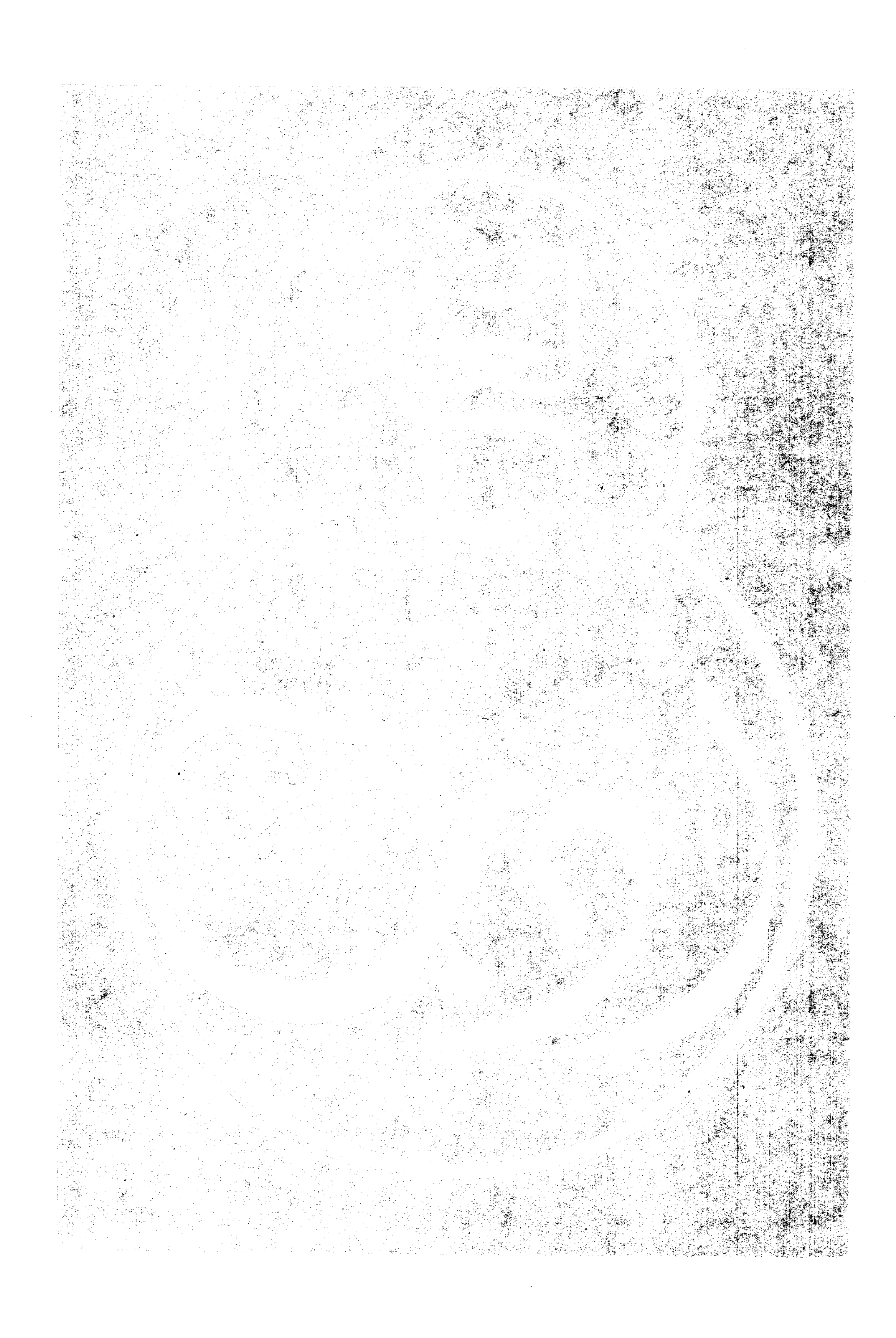
والمؤتمرات والندوات العلمية والدينية لا تخلو من محاضراته وأحاديثه القيمة .. مذكرا بماضى الإسلام ، مطالبا بالعودة إلى سيرة السلف الصالح ، وقبل ذلك العودة إلى كتاب الله الكريم ، وسنة رسوله الرؤوف الرحيم ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

● إن جائزة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ التى منحت لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ليست إلا مجرد تذكير بجهاده العلمى والاجتماعى والدينى رمزاً لتقديره ، والتعريف بمقامه الجليل .

وسماحته ـ أمده الله بعونه وتوفيقه ـ يمثل علماء السلف الصالح .. الذين كانوا يجمعون إلى العلم العمل ، وإلى الجاه التقوى ، وإلى السلطة الشفاعة الحسنة لأصحاب الحاجات ، وحملة المشكلات ، وذوى المظالم .

ولو كان علماؤنا ـ في كل منطقة من مناطق المملكة الخمس ـ على مثل علم الشيخ عبد العزيز بن باز وعمله .. لكان المجتمع السعودى اليوم ـ طولا وعرضا ـ غير ما نرى .. في مجالات الثقافة والتعليم والتربية ، والسلوك الاجتماعى ، والعلاقات العامة بين السادة والعامة .

وبعد .. فهذه تحية سريعة لسماحة العالم العامل ، الناصح الأمين : الشيخ عبد العزيز ، وأهم منها أننى أسأل الله مخلصا أن يمده بعونه وتوفيقه وتيسيره ، ويجزيه على ما يبذل من علم وعمل ونصيحة أعظم الجزاء وأكرمه .



دور الأدب
في مكافحة الخمر بين الجاهلية والإسلام

للشيخ محمود محمد سالم
المحاضر بكلية اللغة العربية بالجامعة

ابتليت الأمم قديمها وحديثها في الشرق والغرب بآفة الخمر يحرك بها الشيطان في نفوس البشر نوازع الشر ، ودوافع الفساد ، ليضلهم عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، ويوقع بينهم بسببها العداوة والبغضاء ، ذلك أنها تغتال العقل الإنساني الذي فَضَّل الله به الإنسان على سائر مخلوقاته ، فتسلبه الحكمة والرشاد ، وتحرمه القدرة على التدبر والتفكير ، ثم ما تلبث بعد اغتيال العقل والفضل أن تفتك بقوة الجسم والنفس ، فتترك شاربها مسلوب الإرادة ، مشلول القدرة ، سَقَطًا لا نفع فيه . ويصبح مذموماً مدحوراً ، تكرهه الأرض كما تلعنه السماء .

- وقد شاع شرب الخمر في جاهلية العرب ، واقترن بها في حياتهم كثير من الرذائل مثل استباحة النساء ، ولعب الميسر أو القمار ، مما فرض على مُقَارِفِي هذه الرذائل حرصهم على جمع المال . لا يبالون من أين أتاهم من حرام أو حلال ، فانتشر بينهم الربا والبغاء واستحلال الدماء والأموال من نهب الغارات ، وما يجرى فيها من انتهاك الأعراض والحرمات ، واقتات وأثْرَى على ذيوع هذه الرذائل بعض الطبقات الطفيلية في ذلك المجتمع الجاهلى ، فانتشرت الحانات ، وصاحبات الرايات الحمر اللواتى يوفرن اللذائذ الرخيصة ، والمتع التافهة لأولئك المخمورين التافهين الذين لا وزن لهم ولا قيمة في مجال القوة والفضائل .

أدب الإسلام في حرب هذه الرذائل :

وحين أراد الله بهذه الأمة خيراً بنزول الإسلام فيها حارب هذه الآفات والرذائل في حياة الفرد والجماعة ، فشدد عليها النكير ، ووضع لها العقاب الصارم الرادع ليجعل من هذه الأمة قوة بناءة قادرة على حمل رسالة الله إلى الناس كافة ، فقد وصف الله الخمر في القرآن بأنها رجس ومن عمل الشيطان ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، ولعن عاصرها ومعتصرها وشاربها ، وجعل لشاربها حداً أربعين جلدة ، وكذلك فعل أبو بكر رضى الله عنه ، وحين رأى عمر رضى الله عنه بعض العرب ما يزال يتورط في شربها جعل حَدَّها ثمانين جلدة بعد أن استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : أخف الحدود ثمانون جلدة (١) .

الأدب العربي وآفة الخمر :

ويجد الباحثون في تاريخ الأدب العربي دوراً بارزاً للأدب وبخاصة الشعر في انتشار آفة الخمر ، والولع بها ، وذلك بما صوروه في شعرهم من النشوة واللذة التى تصاحب شربها ومن جمال المجالس التى تضم الندمان ، وقد أحاطت بهم صور من الترف في لذيذ المطاعم والمشارب ، ونعيم الملك وأبهة السلطان .

ذلك أن كثيراً من شعراء العرب الجاهليين الذين اشتهروا بشعر الخمر ، كانوا ينتجعون ملوك الحيرة والغساسنة ، فيلقون عندهم صنوفاً من التكريم والعطاء ما يطلق ألسنتهم بالمدح والثناء ، وتصوير ما يحيط بهم من ألوان المتعة وصُنوف البهاء .

ومع وفرة النصوص الأدبية التى تشيد بالخمر في وصف محاسنها والإعجاب بنشوتها قديما وحديثا ، فإن الباحث لا يعدم أن يجد النصوص الكثيرة التى تذمها وتزري بشاربيها ، وتصور مضارها ومفاسدها وتبرز خطرها على العقل والدين .

الشعر الجاهلى وحرب الخمر :

ففي الشعر الجاهلي نجد نصوصاً كثيرة . وإن كانت متناثرة - تصور ما أحدثته الخمر بشاربيها ، وما نالت من كرامتهم ، وما تعرضوا له بسببها من مهانة واحتقار ، فطرفة بن العبد - وهو من أشهر واصفيها والمولعين بها والمدمنين عليها - يصور في معلقته ما ناله بسببها

(١) كتاب عمدة الأحكام للإمام تقى الدين المقدسي في باب حد الخمر .

من تحامي عشيرته له ، وإبعاده عنها حتى اجتنب منهم ، وعزل عنهم عزل البعير الأجرب الذى يعزل عن الإبل الصحاح حتى لا يصيبها بعدواه ، وذلك حيث يقول :

وما زال تَشْرابى الخمور ولذتى   وبيعى وإتلافي طريفي ومتلدى
إلى أن تحامتني العشيرة كلها   وَأُفْرِدتُ إفراد البعير المُعَبَّدِ

ومع شيوعها في الجاهلية وفقدان الوازع الديني الذى يحرمها لم يكن معاقروها مثلا أعلى يحتذى به بين الرجال ، ولا كانوا قدوة صالحة بين الناس ، لأنهم ساقطو الهمة لا يرجيهم الناس لدفع ضرر أو جلب منفعة ، وذلك ما يصوره قول أحد شعراء الجاهلية :

وليس فتى الفتيان مَنْ جُلُّ هَمه   صبوح وإن أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راحَ أو غدا   لِضر عَدوٍّ أو لنفع صديق

وواضح من هذا النص أن المثل الأعلى للفتوة والرجولة هو الشجاع القادر على منازلة الأعداء ، الكريم القادر على نفع الأصدقاء ، وليس المثل الأعلى للرجال ذلك المدمن على الشراب في صباحه ومسائه ، فهو منعدم المروءة ، ساقط الهمة ، لا يرجى في حرب ولا سلم لأنه جعل همه هواه .

وفي سِيَر شعراء الجاهلية ما يقدم لنا دليلًا على أن الذين أولعوا بها واشتهروا بها بين قومهم وذويهم كانوا يدمنونها في مرحلة من مراحل طيش الشباب ، وعرامة الفتوة ، ألهاهم الغنى والترف عن التعلق بمعالى الأمور ، وعن الانشغال بجلائل الأعمال ، ففى حياة امرئ القيس لمحات دالة على أن انغماسه في اللذات وانهماكه في اللهو والشراب كان في الفترة الأولى من حياته وقد طرده أبوه حجر الكندى الذى كان ملكاً على بني أسد ، وبلغه مقتل أبيه وهو في مجلس شرابه ، وقال قولته المشهورة التي صارت مثلًا : ضَيَّعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ، اليوم خمرٌ ، وغدًا أمرٌ ، لا صحوَ اليوم ، ولا سكر غدًا » ، وكان ذلك الحادث فاصلًا بين عهدين وَحَدًّا بين مرحلتين في حياته .

وقد مدح زهير بن أبي سلمى حِصْنَ بن حذيفة الفزارى ، فكان مما امتدح من فضائله أنه لا يشرب الخمر ، ولا يهلك فيها ماله وإنما يذهب بماله كثرة عطاياه للمحتاجين ، وذلك حيث يقول :

أخى ثقـة لا تهلك الخمْرُ مالـهُ ولكنه قـد يهلك المـالَ نائـله (١)

- من حرموا الخمر في الجاهلية :

وحرصت أمهات كتب الأدب العربى (٢) على أن تفرد أبوا باً وفصولاً تذكر فيها من حرَّموا الخمر في الجاهلية تكرماً وصيانة لأنفسهم ، وتورد قصصهم وأشعارهم التى تصور ذها بها للعقل والمال ، وزرا يتها بمروءة ذوي المروءة ، وذها بها بالنخوة والنجدة ·

وممن إشتهروا بتحريم الخمر في الجاهلية عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان ، ومن شعره في ذم الخمر وبيان ضررها على العقل والمال ، وتحريمها على نفسه ما دام حيًّا قوله :

سـآلة للفتى ما ليس في يده ذهابة بـعـقول الـقـوم والمـال
أقسمت بالله أسـقـيها وأشربهـا حتى يُفَرِّق ترْبُ القبر أوصـالى
مورثة القـوم أضغانا بلا إحَـنٍ مُزْرِيَةٌ بالفتى ذى النجدة الحالى (٣)

وممن اشتهروا بتحريم الخمر على أنفسهم في جاهليتهم قبل إسلامهم قيس بن عاصم المنقري الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بنى تميم فأسلم وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا سيد أهل الوبر (٤) ، ومما روى في سبب تحريمه الخمر في جاهليته أن تاجر خمر في الجاهلية كان يأتيه فيبتاع منه ، ولا يزال الخمار في جواره حتى ينفد ما عنده ، فشرب قيس ذات يوم فسكر سكراً قبيحاً ، فجذب ا بنته أو أخته ، وتناول قَرْنَها ، فلما أصبح سأل عنها فقيل له : أو ما علمت ما صنعت البارحة فأخبر بالقصة فحرَّم الخمر على نفسه ، كما روى أنه شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ، ويقول والله لا أبرح حتى أُنْزِلَه · ثم يثب الوثبة ويقع على وجهه ، فلما أصبح وأفاق قال : مالى هكذا فأخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبداً (٥) ·

---

(١) شرح ديوان زهير صنعة أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب · ط الهيئة العامة للكتاب بمصر ص ١٤١

(٢) مثل كتاب العقد الفريد الجزء السادس وأمالى القالى الجزء الأول والمستطرف للأبشيهى وكتاب الأشربة لابن قتيبة . والإصابة لابن حجر في تراجم كثير من الصحابة ·

(٣) أمالى القالى ج١ ص ٢٠٧

(٤) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٢٥٣ رقم ٧١٩٤

(٥) المستطرف للأبشيهى ج ٢ ص ١٦١

ومن المشهور قول قيس بن عاصم في تحريمه الخمر في جاهليته وتصوير أخطارها :

لعمرك إن الخمر ما دمت شارباً لسالبةٍ مالي ومذهبةٍ عقلي
وتاركتى من الضِّعافِ قُوَاهُم ومورثتي حرب الصديق بلا نَبْل (١)

وروى له ما يصور قصته مع التاجر وهو قوله :

من تاجرٍ فاجرٍ جاء الإله به كأنّ لحيته أذناب أجمال
جاء الخبيث ببيسانية تركت صحبي وأهلي بلا عقل ولا مالِ (٢)

وقالوا : حَرَّم صفوان بن أمية بن محرث الكناني الخمر على نفسه في الجاهلية وروى عنه قوله :

رأيت الخمر مَنْقَصَةً وفيها مناقبُ تفسد الرجل الكريما
فلا - والله - أشربها في حياتي ولا أشفى بها أبداً سَقيما (٣)

وهى - حتى عند الجاهليين - أم الخبائث - ترتبط بكثير من الرذائل والفواحش فهي دافعة إلى الزنا ، وداعية إلى لعب الميسر ، ومن صَوَّر هذا الارتباط الوثيق بين هذه الرذائل التى أصلها الخمر الشاعر الجاهلى المشهور : عفيف بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس ، ومما روى عنه في ذلك قوله :

وقائلةٍ : هَلُمَّ إلى التصابي فقلت : عففت عما تعلمينا
وَوَدَّعْتُ القِداحَ وقد أراني بها في الدَّهر مشغوفاً رهينا
وَحرَّمت الخمور عَليَّ حَتَّى أكون بقعر ملحود دفينا

---

(١) أمالى القالى ج ١ ص ٢٠٨

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٣١

(٣) العقد الفريد ج ٦ ص ٣٤٦ - ويروى في بعض المصادر : « رأيت الخمر صالحة » « ولا أسقى بها أبدا نديما » .

وقـــوله :

فلا والله لا أُلْـــــــــــفَى وشِرباً   أُنَازعُهـــــم شرا باً مـــــا حييتُ
أَبَى لى ذَاكَ آبـــاءٌ كـــرام   وأخوالٌ بِـعِزِّهـــــمُ رُبـيـتُ (١)

وممن حرمها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان سيداً جواداً من سادات قريش من بنى تميم · وروى في سبب تحريمه الخمر أنه شرب يوماً مع أمية بن أبي الصلت الثقفى الشاعر الجاهلى المشهور ، فضربه على عينه ، فأصبحت عين أمية مُخْضَرَّةً يُخَاف عليها الذهاب ، فقال له عبد الله : ما بال عينك ؟ فسكت ، فألحَّ عليه ، فقال : أَوَلَسْتَ ضاربها بالأمس ؟ فقال : أَوْ بلغَ منى الشرابُ ما أبلغ معه إلى هذا الحد ، ثم دفع إلى أمية عشرة آلاف درهم · وقال : الخمر علىَّ حَرَام لا أذوقها بعد اليوم أبداً ، وهو القائل :

شربت الخمر حتى قال صحبي   ألـسـتَ عـن الـسِّـــفاهِ بِـمُـسْـتَـفِـيـق
وَحَـــتَّى ما أُوَسَّدُ في مــبـيــتٍ   أنام به سِوَى التُّرْب السـحيق
وَحَـــتَّى أغْـلـــقَ الـحانُوتَ صـحـبـي   وَآنَسْتُ الهَوَانَ من الصــديق (٢)

قال أبو الفرج وهو يورد قصة عبد الله بن جدعان وتحريمه الخمر على نفسه في الجاهلية « إنه ما مات أحد من كبراء قريش في الجاهلية إلا ترك الخمر استحياءً مما فيها من الدنس »

شاربوها يأنفون من وصفهم بالسكر :

ومما يلفت النظر في استنكار الأوائل للخمر واستهجانهم لشاربيها أن واضعى اللغة العربية قد سموا مشارب الرجل على الخمر نديماً وما ذاك إلا لما رأوا في شربها من الندم ، لأن شاربها إذا سكر تكلم بما يندم عليه ، وفعل ما يندم عليه ، فقيل لمن شاربه : نادمه ، لأنه فعل مثل ما فعله فهو نديم له أى مشارك له في الندامة التى تدركه بعد صحوه ، وسمي المعاقر لها مدمناً لأنه لزم عقر الشيء أى فناءه ، وسمى عصير العنب إذا ترك حتى يخمر نبيذاً لأنه ينبذ أى يترك حتى يدركه التعفن ، وسميت الخمر بهذا الاسم لأنها تصيب العقل بالخمار وهو الغطاء الذى يستره (٣) ، فلا عجب أن يقترن الموصوف بها بكل النقائص

(١) خزانة الأدب للبغدادى تحقيق هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ج٥ ص ٣٣٠

(٢) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ط دار الكتب ج ٨ ص ٣٣٢ ومجموعة المعانى ط الجوائب ص ١٩٧
(٣) كتاب الأشربة لابن قتيبة ص ٣٥ ـ ٣٦ والعقد الفريد ج ٦ ص ٣٣٧

والعيوب لأنها جماع الرذائل ، وأم الكبائر ، وليس غريباً بعد ذلك أن يأنف معاقروها من وصفهم بالسكر والإدمان ، ومن أدلة ذلك أن شاعراً يدعى السُّرَادِق الدّهلى ، وكان مدمنا للشراب يعجز عن الإقلاع عنها قد مَرَّ بمجلس من مجالس الأزد ، وقد شرب فاختلفت رجلاه فقال شاب منهم : إنها لمشية سكران فأقبل عليه السرادق يقول :

مُعَاذَ إلهى ، لستُ سكرانَ يا فتًى وما اختلفت رِجْلَاىَ إلا من الكِبَرْ
ومن يك رَهْناً للـيالى وَمَرِّهـا تَدَعْهُ كليل القلب والسمع والبصر (١)

معاقرتها صدت بعض أشراف العرب عن قبول الإسلام :

وقدْ صَدَّ الإدمانَ على الخمر في أول ظهور الإسلام بعض السادة الأشراف من عرب الجاهلية عن قبول الحق والاهتداء بنور الإسلام فماتوا على جاهليتهم ، ومن هؤلاء الأعشى « الشاعر » ميمون بن قيس الذى كان يسمى « صَنَّاجة العرب » قال ابن قتيبة : « أدرك الإسلام في آخر عمره ورحل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليسلم ، فقيل له : إنه يحرم الخمر والزنا ، فقال : أتمتع منهما سنةً ثم أُسْلِمُ ؛ فمات قبل ذلك بقرية في اليمامة » (٢) .

الإسلام يحرم الخمر ويشتد في عقاب شاربها :

وحين أشرق نور الإسلام على العالمين ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وقد رفق الله بالناس فتدرج في تحريمها ، فأنزل الله في الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر ، قل : فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما (سورة البقرة (من الآية ٢١٩) ، فكان من المسلمين من شربها ، ومنهم من تركها إلى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فَهَجَّر (٣) فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (سورة النساء من الآية ٤٣) ، فكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى : أن لا يَقربنَّ الصلاة سكران « وكان عمر رضى الله عنه كلما قرئت عليه الآيتان السابقتان كان يقول : اللّهم بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً حتى نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٦٤٤
(٢) الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٦٣
(٣) هجَّر : أى أتى بالهُجْر : بضم الهاء وسكون الجيم وهو القبيح من الكلام .

فاجتنبوه لعلكم تفلحون · إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر · ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (سورة المائدة - الآيتان ٩٠ - ٩١) فلما نزلت هذه الآية ودعي عمر فقرئت عليه قال : انتهينا انتهينا (١) ·

ومن الأخبار المتفق عليها في تحريمها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة مُدْمِنُ خمرٍ » وقوله صلى الله عليه وسلم « أول ما نهانى ربي بعد عبادة الأوثان : عن شرب الخمر وملاحاة الرجال » ·

فكفَّ عنها من كفَّ ممن صَدَق الله في إيمانه ، وصدَّق بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ·

لقد تكوَّن من صادقي المؤمنين ذلك المجتمع الإسلامي الفذ النادر المثال في تاريخ البشرية · واشتغل ذلك المجتمع القوي بعبادة الله ، والدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيل الله ، فاشتغل بمعالي الأمور وجلائل الأعمال عن صغائر الحياة وتوافهها ، ونسى المؤمنون - في غمرة لذاتهم بانتصار الحق وخذلان الباطل - ما كانت تألفه الأجسام من لذائذ الطعام والشراب · وما كانت قد تعودته بعض النفوس من شهوة البطش والانتقام · وفارق المسلمون ما ألفوه في جاهليتهم من المتع الرخيصة ، واللذات الحسية الفانية ·

ولكن بقي بينهم - وهذا شيء طبيعي - من ضعفت نفسه عن مقاومة شهواته ، ومغالبة عاداته ، وهؤلاء - وأيًا كانوا كثرة أو قلة في هذا المجتمع الطاهر النظيف ، وجدوا من سلطان الدولة ، ومن سطوة العقاب الصارم لمرتكبي الموبقات المهلكات لقوة الفرد والجماعة ما زجرهم عن الإعلان بمعاصيهم ، والمجاهرة بآثامهم ، فاستتروا عن أعين الناس خوفاً من عقاب الدنيا ، وإن لم يفلتوا من عذاب الله في الآخرة ·

الأدب وقضايا الإسلام :

وتمثل في الأدب المأثور عن الصدر الأول في الإسلام ما عاشته الأمة الإسلامية من

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٥٥ في تفسير سورة البقرة ·

قضايا الجهاد في سبيل الله ، ومن تصوير الفتوح الإسلامية الرائعة · وما لمع فيها من صور البطولات الفذة ، والتضحيات النادرة الخالدة ·

الأدب والخمر في الإسلام :

ومن الدلالة على صدق الأدب العربى وقدرة تصويره على أحوال الأمة الإسلامية أنه لم يخل من الأمثلة الأدبية التي تصور دوره في كل ما مَرَّ بالمسلمين من أحداث ومشكلات ، وما خامر عقول الأدباء والشعراء من خواطر وآراء ، فلم يَخْلُ جملة واحدة من النماذج الأدبية التي تصور حنين الذين ظلوا يعاقرونها ويعجزون عن الإقلاع عنها ، كما تصور ما نالهم بسببها من حدود وما تعرضوا له من أجلها من طرد وإبعاد ، وأصدق هذه النماذج ما صدر عن ذوي التجارب الشعرية الحقيقية في هذا المجال وعلى رأس هؤلاء أبو محجن الثقفى ، وقد كان صاحب خمر مولعاً بالشراب يتغنى بها ، وقيل إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أقام عليه حد شرب الخمر عدة مرات ثم نفاه وحبسه فهرب من محبسه ، ولحق بسعد بن أبى وقاص وهو في معارك القادسية بالعراق في جهاد المسلمين ضد الفرس ، فبلغ عمر خبره ولحاقه بسعد فأرسل إليه يأمره بحبسه فحبسه سعد ، فلما كان يوم « أغوات » من أيام القادسية في السنة الرابعة عشرة من الهجرة ، جال المسلمون في الحرب جولة حتى كاد المسلمون ينهزمون ، وتروي له كتب الأدب والتراجم والتاريخ (١) أبياتاً شعرية يقولها متحسراً على حرمانه من الجهاد · وفي آخرها يعاهد الله على التوبة من شراب الخمر ، وألا يغشى الحانات إن فَرَّج الله كربه ، وفك أسره ، وأمكنه أن يشارك في الجهاد ، ومن أبياته تلك قوله :

كفى حَزَناً أَنْ تُطْرَدَ الخيلُ بالقَنا ... وأُتْرَكَ مَشْدوداً علىَّ وثاقيا
إذا قُمت عَنَّانى الحديدُ وأُغْلِقَتْ ... مصاريعُ من دوني تُصِمُّ المناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثير وإخوةٍ ... فقد تركونى واحداً لا أخاليَا
ولله عهد لا أخيس بعهده ... لئن فُرِجَتْ أن لا أزور الحوانيا

وتتفق أكثر الروايات في خبره على أنه أبلى في يوم أغوات من أيام القادسية بلاء حسناً · وأنه كان يمتطي فرس سعد بن أبى وقاص المسماة بالبلقاء ، وتختلف الروايات في

---

(١) وردت قصة أبى محجن والأبيات التى قالها يوم القادسية مع خلاف في روايتها وعددها في كثير من أمهات الكتب فهى في تاريخ الطبرى ج ٤ ص١٣٣ في حوادث سنة ١٤ هـ وفي البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٤٤ ، ٤٥ . وفي طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجممى ج ١ ص ٢٦٨ وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٤٣٠ وفي الإصابة ج ٤ في باب الكنى رقم ١٠١٧ ص ١٧٤

اسم المرأة التى هيأت له سبيل الخروج من السجن ليشترك في القتال : أهى زبراء أمٌ ولد سعد كما يرى ابن سلام الجُمحى وابن حجر في الإصابة أم هي سلمى بنت خصفة زوج سعد كما يروي ابن جرير في تاريخه ، ويسميها ابن كثير في البداية والنهاية سلمى بنت حفص .

والمتفق عليه أنه عاهد المرأة التى أطلقت سراحه أن يعود إلى محبسه إن كتبت له النجاة من القتل ، وأنه انطلق إلى قتال أعداء الله فجعل لا يحمل في ناحية إلا هزم الله أعداءه . وكان سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه يرقب المعركة ، وكانت به قروح فكان يقول : « الضُّبْر ضَبْر البلقاء ، والظّفْرُ طَفْرُ أبى مِحْجَن (١) ، وأبو مِحْجَن في القيد » .

فلما انجلت المعركة عن هزيمة العدو رجع أبو مِحْجَن ووضع رجله في القيد كما كان ، وأخبرت المرأة سعداً بما كان من أمره ، فخلّى سعد سبيله فقال أبو مِحْجَن : « لقد كنت أشربها إذ كان يقام على الحَدَّ فأما إذ بهرجتنى فوالله لا أشربها أبدا »(٢) .

ويروى ابن حجر قصة عن سبب حبس أبى محجن خلاصتها : أن امرأة سعد سألته فيم حبس ؟ فقال : والله ما حبست على حرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب في الجاهلية ، فَنَدَّ (٣) كثيراً على لسانى وصفها فحبسنى بذلك فأعلمت المرأة سعداً بذلك فقال : اذهب فما أنا بمؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله » وعاد ابن حجر فضعَّف هذه القصة لضعف راويها وهو سيف ، ورجح الروايات التى تنسب إلى أبى محجن شرب الخمر وإقامة الحد عليه مرات لأنها أقوى وأشهر (٤) .

ومهما يكن من أمر أبى محجن في سبب سجنه فإن من الثابت المؤكد أنه تاب عن الخمر توبة نصوحا . وقضى بقية عمره مجاهداً في سبيل الله وقال شعراً يذمها ويهجوها وينهى عنها ومن ذلك قوله :

يقول أناسٌ : اشرب الخمر إنهـا ... إذا القوم نالوها أصابوا الغنائمـا
فقلت لهم : جهلًا كذبتم ألمْ تَرَوْا ... أخاها سـفيها بعد ما كان حَالِمَـا
وأضـحى وأمـسى مُـسْتَـخَـفًّا مُـهَـيَّـماً ... وحسبك عاراً أن ترى المرء هائما (٥)

---

(١) الضَّبر : أى العدو . والطفر : الوثوب .
(٢) الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ١٧٤ باب الكنى رقم ١٠١٧
(٣) نَدَّ على لسانى وصفها : أى خرج مني شارداً نافراً دون قدرة على دفعه .
(٤) الاصابة ج ٤ ص ١٧٤
(٥) ديوان أبى محجن الثقفى صنعة أبى هلال العسكرى تقديم الدكتور صلاح المنجد ص ٣٤

إنه قول مُجرِّب ذاق مرارتها وإن زعم الناس سفاهة أنها تجلب السرور ، وتدفع الهموم ، ولكنه يصور ما يلقاه شاربها من استخفاف الناس به واحتقارهم لما يأتيه من أقوال وأفعال تدل على الطيش والضلال .

وحسبك أن ترى في قصته على اختلاف الرواة فيها أن المجتمع الإسلامي أصبح ينظر إلى معاقريها نظرة ازدراء واحتقار وأنه محروم من أشرف ما يتسابقون إليه المتسابقون في ظل الإسلام ، وهو الجهاد في سبيل الله وأن هذا المجتمع الجاد لا يصح أن يشغل المرء نفسه وغيره بتصوير الشهوات والحنين إلى أيام الضلال والترهات لأن مثل هذا الحنين يضعف النفوس عن قوة العزائم ، وبأس الإرادة ، واستمع إلى أبى محجن يعلن توبته ويعاهد الله ألا يعود إليها ما عاش : حيث يقول :

أتوب إلى الله الرحيم فإنه ... غفور لذنب المرء ما لم يعاود
ولست إلى الصهباء ما عشت عائداً ... ولا تابعاً قول السفيه المعاند
وكيفَ قد أعطيتُ رَبِّىَ مَوْثقاً ... أعود لها والله ذو العرش شاهدى
سأتركها مذمومةً لا أذوقها ... وإنْ رغمت فيها أنوف حواسدى

وقوله :

ألم ترنى وَدَّعْتُ ما كنت أشربُ ... من الخمر إذْ رَأسِىَ لكَ الخيرُ أشْيَبُ
وكنتُ أُرَوِّى هامتى من عُقَارها ... إذ الحَدُّ مأخوذٌ وإذْ أنا أُضْرَبُ
فلما درَوْا (١) عنى الحدود تركتُها ... وأضمرتُ فيها الخيرَ والخيرُ يُطْلَبُ
وقال لى الندمان لمَّا تركتُها ... أ الجد هذا منك أم أنتَ تلعبُ
وقالوا : عجيب تَركُك اليومَ قهوةً ... كأنِّى مجنون وجلدى أجربُ
سأتركها لله ثُمَّ أذُمُّها ... وَأتركها في بيتها حيث تُشْرَبُ (٢)

التأديب العملى هو طريق الإسلام إلى حرب الخمر :

ومن المؤكد أن أقوى الوسائل وأنجع الطرق في حرب الخمر ومقاومة الولع بها هو ما

---

(١) دروا : من درأ أى منع بتخفيف الهمزة وإسناد الفعل إلى واو الجماعة بعد التخفيف .
(٢) ديوان أبى محجن الثقفى ص٣٦

سلكه الإسلام في حربها ، ذلك أن الله عز وجلَّ خاطب بالأمر عن اجتنابها قلوب المؤمنين به ، فكانت عقيدة الإيمان بالله التى امتلأت بها قلوب السلف الصالح من المسلمين هى أقوى الرسائل في اجتنابها ، فما كان لقلب المؤمن أن يهفوا إلى ما حَرَّمه الله · وما كان له أن ينازع أو تكون له الخيرة فيما قضاه الله من أمر بالتحريم أو التحليل لأن التسليم والإذعان هو علامة الإيمان بالله مصداقاً لقوله تعالى :

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يَعْص الله ورسوله فقد ضَلَّ ضلالا مبينا) سورة الأحزاب الآية/٣٦ ، والثابت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يشرب الخمر شاربها وهو مؤمن » ·

فإن قويت العقيدة الإيمانية في نفس المؤمن كانت الزاجر الداخلى الذى لا يحتاج معه المؤمن إلى زاجر من قوة خارجية تصده عما يهواه · فإن ضعفت هذه العقيدة أو غابت ، برزت قوة الشريعة وسلطة القانون الدينى التى تقف للعابثين بالمرصاد بما شرعه الله من عقوبات وحدود تصون سلامة الفرد وتحمى أمن الجماعة · ولهذا قام الخلفاء المسلمون على تنفيذ الشريعة شريعة الله في إقامة الحدود ، ومنها حَدّ الخمر على شاربها أيا كانت منزلته الاجتماعية ، وأيا بلغت مكانته بين الناس ·

ومن ذلك ما رواه ابن جرير الطبرى بسنده في حوادث السنة الثانية عشرة من الهجرة وهو أن أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وهو أمير جيوش المسلمين بالشام في حرب الروم قد كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن نفراً من علية القوم في المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار بن الأزور وأبو جندل بن سهل فسألناهم فقالوا : خيرنا فاخترنا قال : فهل أنتم منتهون ·· ؟ ولم يعزم أبو عبيدة ، فجمع عمر الناس واستشارهم فيما فعل هؤلاء وفيما قالوه ، فاجتمعوا على أن يضربوا فيها بثمانين جلدة ، فكتب عمر إلى أبى عبيدة : أن ادْعهم فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم ، وإن زعموا أنها حرام فاجلدهم ثمانين جلدة ، فبعث إليهم فسألهم على رءوس الناس · فقالوا : حرام فجلدهم ثمانين جلدة ، وحُدَّ القوم وندموا على لجاجتهم ، واستحيوا ولزموا البيوت » وأدركت أبا جندل حال من الوسواس كادت تقتله فكتب أبو عبيدة إلى عمر : إن أبا جندل قد وسوس إلا أن يأتيه الله على يديك بِفَرَج فاكتب إليه وَذَكِّرْه ، فكتب إليه عمر : من عمر إلى أبى جندل : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فتب إليه ، وارفع رأسك ، وابرز ، ولا تقنط فإن الله عز وجل يقول : (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) سورة الزمر / الآية ٥٣ · فلما قرأ أبو عبيدة على أبى جندل كتاب عمر تَطَلَّق

وَأَسْفِرَ عنه ، وكتب عمر إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا ، وكتب إلى الناس : « عليكم أنفسكم · ومن استوجب التغيير ، فَغَيِّروا عليه ، ولا تعيروا أحداً فيفشو فيكم البلاء » (١) ·

وبمثل هذا الأدب العملي في الصدر الأول من تاريخ الإسلام كانت محاربة الخمر ، فحيث لا ترعوى الأنفس بسلطان الدين ، ويقظة الضمير ، ومراقبة الله رب العالمين ، تنزجر النفوس الجامحة ، وتنخذل الأهواء النافرة بسلطان القانون وسلطة الشريعة الإسلامية التى تطبق على الناس سواءً لا فرق بين حاكم ولا محكوم ولا سيد ولا مسود ·

الأدب الإسلامى يصور يقظة ضمير المسلم في كراهية الخمر :

وقد حفلت كتب الأدب والتاريخ والتراجم بالنصوص الأدبية في العصر الإسلامي التى تصور يقظة الضمير المسلم ، وتصور مارُبِّى عليه المجتمع الإسلامي من كراهة الخمر والنفور منها ، وتصور خطرها وتحذر منها ·

ولعلَّ من أوضح النماذج الأدبية التى تصور هذه اليقظة الإيمانية تلك القصة القصيرة في ألفاظها ، القوية في دلالتها ومغزاها والتى تمثل للمسلم سبب تسمية الخمر بأم الخبائث ، وهى قصة مبتدعة لهدف إيماني خلاصتها أنه أتي برجل فقيل له :

إما أن تخرق هذا الكتاب ، وإما أن تقتل هذا الصبى ، وإما أن تسجد لهذا الوثن ، وإما أن تشرب هذه الكأس ، وإما أن تقع على هذه المرأة ، فلم ير شيئاً – كما ظن – أهون عليه من شرب الكأس ، فشرب ، فوقع على المرأة ، وقتل الصبى ، وخرق الكتاب ، وسجد للصليب » (٢) ·

وحرص كتب الأدب على إبراز موقف الشعراء المؤمنين من الخمر كان إحدى الوسائل وأقواها على تربية الضمير الإسلامي وغرس كراهية الخمر والنفور منها ، فقد روى أن الشاعر ابن أبى أوفي حين سمع نهى الله الناس عن الخمر ، فقال ينهى قومه عنها :

ألا يا لقومى ليس في الخمر رفعة ... فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فإنى رأيت الخمر شَيْناً ولم يزل ... أخو الخمر دَخَّالاً لِشَرِّ المنازِل (٣)

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٢٢ – ٢٢٣
(٢) كتاب الأشربة لابن قتيبة ص ٢٤ – ٢٥
(٣) المستطرف للأبشيهى ج ٢ ص ٢٦١

وروى أن عثمان بن مظعون كان قد حَرَّم الخمر في جاهليته ، وقال في ذلك : « لا أشرب شراباً يذهب بعقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني ، وأزوج كريمتي من لا أريد ، فبينما هو بالعوالي إذ أتاه آت ، فقال : « أشعرت أن الخمر حرمت وتلا عليه الآية من سورة المائدة فقال : تَبًّا لها ، لقد كان بصري فيها نافذاً » (١) ·

والقصص الأدبية المروية عن الخمر تبرز شعور المجتمع الإسلامي بالنفور منها لأنها تفقد شاربيها الغيرة والنخوة ، وفقدان الإحساس بنقاء العرض والشرف ، ومن ذلك ما ترويه بعض كتب الأدب أن أعرابية سَقوها مسكراً فلما أفاقت ، سألت : أيشرب هذا نساؤكم ؟ قالوا : نعم ، قالت : لئن كنتم صدقتم لا يدرى أحدكم من أبوه » (٢) ·

وكان العباس بن مرداس السلمى ممن حَرَّم الخمر في جاهليته · قبل إسلامه وسئل : لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك أو جرأتك · ؟ فقال : أكره أن أصبح سيد قومي وأمسى سفيههم ما أنا بآخذ جهلي بيدى فأدخله في جوفي ·

الهجاء بشرب الخمر في الإسلام :

لقد تربَّى الضمير الإسلامي على كراهة الخمر واحتقار شاربيها وذم من اشتهروا بمعاقرتها ، ولذلك كثر في شعر الهجاء ذم المهجوين بأنهم مخمورون فكان ذلك من أوجع الذم لمن يراد النيل من عرضه وثلم شرفه ، كما امتدح من تنزه عنها وسما عن مقارفتها ·

ففي معركة الهجاء التى احتدمت بين شعراء النقائض في العصر الأموى نرى جريراً وقد وجد مغمزه ومطاعنه في كل من الفرزدق والأخطل بما اشتهروا به من معاقرة الخمر ، مع عيوب أخرى فيقول للأخطل :

شَرِبْتَ الخمر بَعْدَ أبى غُوَيثٍ فَلَا نَعِمَتْ لك النشواتُ بالا
تسوف التغلبية وهى سكرى قفا الخنزير تحسبه غزالا
تظل الخمر تخلج أخدعيها وتشكو في قوائمها امذلالا (٣)

---

(١) كتاب الأشربة لابن قتيبة ص ٢٦

(٢) كتاب الأشربة لابن قتيبة ص ٣٠

(٣) ديوان جرير ط دار صادر بيروت ص ٣٣٠ ـ وأبو غويس هو والد الأخطل ، وتسوف : أى تشم ، تخلج أى تحرك والأخدعان عرقان في العنق ، وامذلالا أى نشاطا ·

وندرك فظاعة هذا الهجاء في تصوير التغلبية وهى سكرى إذا عرفت أن العرب في جاهليتهم وإسلامهم كانوا يشتدون على النساء فلا يسمحون لهن بشرب الخمر، حتى وإن تعاطاه بعض رجالهم كما يقول ابن قتيبة: لم يحفظ أن امرأة شربت ولا أن امرأة سكرت » (١).

وكذلك يطعن الفرزدق بما يقارف من الزنا والخمر فيقول:

يقول لك الخليل أبا فراس	لحا الله الفرزدق من خليل
خرجت من العراق وأنت رجس	تَلَبَّس في الظلام ثيابَ غول
وما يخفى عليك شراب حَدٍّ	ولا وَرْهاء غائبة الحليل
إذا دخل المدينة فارجموه	ولا تدنوه من جدث الرسول (٢)

ويقول له:

إذا ما شربتَ البابلية لم تُبَلْ	حياءً ولا يُسْقَى عفيفاً عصيرها
رأيتك لم تعقد حفاظا ولا حِجى	ولكن مواخيراً تُؤدَّى أُجُورها

ولولا أن الخمر كانت محقورة في نفوس المسلمين يومذاك لما كان لهجاء جرير خصومه بشربها أدنى أثر في النيل منهم ».

ولا عجب – والهجاء بها من أقذع الذم أن نسمع مالك بن أسماء الفزارى يهجو قوماً بأنهم أدمنوا الخمر حتى ألفت كلابهم ريحها النتنة، فلا تنبح من يأتيهم وفيه رائحة الخمر وإنما تنبح من تشم فيه رائحة المسك والعنبر، لأنها ألفت من أصحابها نتن ريحها وتأنس إلى من كان مثلهم في القذارة والعفونة، وذلك حيث يقول:

لو كنتُ أحملُ خمراً يومَ زرتكمُ	لم ينكر الكلب أنِّى صاحب الدار
لكن أتيتُ وريح المسك يفغمنى	وعنبر المسك أُذْكيه على النار
فأنكر الكلب ريحى حين أبصرنى	وكان يعرف ريح الزِّق والقار (٣)

---

(١) كتاب الأشربة لابن قتيبة ص ٣٠

(٢) ديوان جرير ص ٣٥١

(٣) ديوان الحماسة شرح التبريزى ج ٢ ص ٢٢٣

ولا يعدم الباحث في فنون الأدب العربى عبر العصور الإسلامية المختلفة · أن يجد تجارب الشعراء والأدباء الذين وعظتهم السنون وشغلهم الحياء عن معاقرتها بعد أن كانوا من المولعين بها ، وممن وعظتهم التجارب فأقلعوا عنها الشاعر المشهور « الأقيشر الأسدى » الذى عمَّر طويلا إذ ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام · وله في الخمر شعر يصور امتناعه عنها حياءً بعد أن وعظه الشيب وتقدمت به السن وذلك حيث يقول :

وصهباءَ جُرْجانية لم يطف بها حنيف ولم تنغر بها ساعة قدر
أتانى بها يحيي وقد نام صحبتي وقد غابت الجوزاء وانغمس النسر
فقلت اغتبقها أوْ لغيرى فاهْدِها فما أنا بعد الشيب ويبك والخمر
تجللت عنها في السنين التى مضت فكيف التصابى بعد ما كلأ العُمْر
إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن له دون ما يأتى حياء ولا ستر
فَدَعْه وَلا تنفس عليه الذى ارتأى وإن جرَّ أسباب الحياة له العمر (١)

وقد احتال بعض المترخصين فابتدعوا النبيذ وادعوا حِلَّه وفرقوا بينه وبين الخمر ، فزينوه وأغروا به العامة والخاصة ، ولكن الفقهاء والصالحين من أئمة المسلمين حاربوا بسلوكهم وأقوالهم هذه البدعة التى ترخص في شرب الأنبذة بضروبها وأشكالها المختلفة ، وما لبثت هذه البدعة ومقاومتها أن وجدت سبيلها على ألسنة الشعراء والأدباء · يقول أبو الأسود الدؤلى :

دَعْ الخمر تشربها الغواة فإننى رأيت أخاها مجزئاً بمكانها

فلما سئل عن نبيذ الزبيب قال :

فإلا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غذته أمه بلبانها (٢)

---

(١) أبيات الأقيشر في الوحشيات لأبى تمام تحقيق عبد العزيز الميمنى ص ١٧٢ وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٦١ ونسب أبو على القالى في أماليه لأيمن بن خريم مع اختلاف يسير في بعض ألفاظها ونقل القالى قول الهيثم بن عدى : كنا نقول بالكوفة من لم يَرْوِ هذه الأبيات فلا مروءة له ·

(٢) العقد الفريد ج ٦ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨

وسَوَّى ابن شبرمة الضبى بين الخمر والنبيذ في السوء والتحريم حيث يقول :

يا أَخِلَّاءُ إنَّما الخَمرُ ذِيْب ... وأبو جَعْدَه الطِّلاءُ المُرِيبُ
فنبيذ الزبيب ما اشتد منه ... فهو للخمر والطلاء نَسِيب (١)

تأثير الخمر على الفضائل والأخلاق :

وكما تناول الفقهاء والعلماءُ تأثير الخمر ومضارها على العقل والدين والمال والخلق كذلك الأدباء فإنهم لم يغفلوا عن تصوير آثارها السيئة في أخلاق شاربيها وفقدانهم للعلاقات الاجتماعية التى تضمن لهم احترام الآخرين · فقد اشتهر المدمنون على الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ على العرض · كما اشتهروا بالغدر والفسوق وكل ذميم من الصفات والأخلاق يقول أحد الشعراء مصوراً ذلك :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جِئْتَهُمْ حَيَّوْكَ ألفاً ورحبوا ... وإن غبت عنهم ساعة فذميم
إخاؤهم ما دارت الكأس بينهم ... وكلُّهم رث الوصال سئوم
فهذا ثنائى لم أقل بجهالة ... ولكننى بالفاسقين عليم (٢)

وقد اتخذت التهمة بشرب الخمر وسيلة للتشهير بالخصوم السياسيين في العصر الأموى والعباسى · بل إن الأحزاب السياسية المناوئة للأمويين والعباسيين قد استخدمت فنون الأدب من شعر وقصة وسيلة للتشهير بالخلفاء والولاة واتهامهم بفساد السيرة ، وقبح الأحدوثة وإدمانهم على الخمر والشراب ، والكثير من هؤلاء الخلفاء والولاة برآء مما اتهموا به من خصومهم السياسيين · ولذا يجب على الباحثين والدارسين في الأدب ألا يتخذوا القصص والأشعار التى تدور حول هذا العصر حجة على سير هؤلاء الخلفاء والولاة ·

وهذا الموقف يدل على ضخامة الجريمة التى يرتكبها مدمن الخمر في المجتمع الإسلامى ·

---

(١) خزانة الأدب للبغداى ج ٥ ص ٣٢٧ ـ ٣٣١

(٢) كتاب الأشربة لابن قتيبة ص ٣٧ ـ ٣٨ العقد الفريد ج ٦ ص ٢٣٨

ولا يذهبَنَّ الظن بأحد أن العصر العباسى الذى اشتهرت فيه حانات الخمر وشاع فيه اللهو والمجون ، لا يظن أحد أن الخمر قد صارت مباحة في هذا العصر بل إنها ظلت محصورة في الضمائر والنفوس مذمومة ملعونة على ألسنة الأدباء والشعراء حتى المعربدون الذين اشتهروا بالمجون لم يجدوا في خصومهم أشد نقيصة من وصفهم بالسُّكر والشراب مما يلهيهم عن الصلاة ، فهاهو أحد شعراء العصر العباسى (١) يهجو حماداً الراوية فيصور ما أحدثته الخمر فيه من فساد العقيدة وهجر الصلاة ، ثم تأثيرها على أعضاء جسمه من شفتيه وأنفه ووجهه وذلك حيث يقول :

نعم الفتى لو كان يَعرِفُ ربَّه ... ويقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
هَدِلَتْ مشافِرَه الدِّنَانُ فَأنفُه ... مثلُ القَدُوم يُسِنُّها الحداذُ
وابْيَضَّ من شُرْب المَدَامة وجهه ... فبياضُه يومَ الحسابِ سوادُ

ومع كثرة الوصافين لها المعجبين بها من شعراء العصر العباسى إلا أننا نجد كذلك من أزرَوا بها وعابُها ونصحوا بتركها لما تحدثه من أضرار وأخطار ، ومنها فضحُ سريرة الإنسان وإشهارُ زلاته المستورة ، ومن هؤلاء « العتبى » وله في ذلك أبيات مشهورة منها قوله :

دَعْ النبيذ تكن عدلا وإن كثرتْ ... فيك العيوبُ وقل ماشئت يحتملُ
هو المشيد بأخبار الرجال فما ... يخفى على الناس ما قالوا وما فعلوا
كم زلة من كريم ظل يسترها ... من دونها سُتُر الأبواب والكِلَل (٢)

واشتهر قول العتبى أيضا :

أخو الشراب ضائع الصلاة ... وضائع الحرمة والحاجات
وحاله من أقبح الحالات ... في نفسه والعرس والبنات
أفٍّ له أفٍّ إلى أُفَّاتِ ... خمسة آلافٍ مؤلفات

ومن أسوأ حالات السكارى ما تحدثه في نفوسهم من الوهم الباطل والتخيل الكاذب ، وإنها لتغتال منه كل فضيلة في الواقع ولكنها توهمه ما ليس له وجود ، فيُسَرُّ وإن كان مغموماً ، ويدفأ دفئاً كاذباً ، ويخيل الجبان لنفسه أنه صار عنترة بن شداد . وهو في الواقع

---

(١) هو حماد الزبرقان كما في الحيوان ج ٤ ص ٤٤٥ أو أبو الغول الطهوى كما في الأغانى ج ٦ ص ١٦٢

(٢) من أبيات عشرة في كتاب الأشربة لابن قتيبة ص ٣٥ والعقد الفريد ج ٦ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨

رعديد جبان ، وقد صورت بعض النصوص ما تحدثه الخمر في عقول شاربيها من الاوهام ، ومما قيل في شجاع السكر جبان الصحو قول أحد الشعراء :

إذا شرب الجبان الخمر يوماً أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا إذا اشتد اللقا يوم الطعان

وقيل فيه أيضاً :

يقول جبان القوم في حال سكره وقد شربت الصهباء هل من مبارز
وأين الخيولُ الأعوجيات في الوغى أناقل فيها كل ليث مناهز
ومن لي بحرب ليس تخمد نارُها لعمرك إني لست فيها بعاجز
ففي السكر قيسٌ وابنُ معدى وعامرٌ وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

السخرية بالسكارى والمخمورين :

وتقل النصوص الأدبية من الشعر والنثر التى تبرز دور الأدب في محاربة الخمر في عصور الانحطاط الأدبى . وترجع قلتها لأسباب كثيرة سياسية واجتماعية . ولكن من المؤكد أن الفكاهة الأدبية المروية والمكتوبة عن أحوال السكارى وسوء حالهم متناثرة في بطون الكتب القديمة والصحف العصرية وتحتاج إلى جمع وبحث وتحليل ، وتؤدى الدور الذى كان يؤديه الأدب في محاربة الخمر في عصور القوة والازدهار الأدبى ، وهذه الفكاهة الساخرة ، وإن لم ترتفع إلى مستوى الأدب الرفيع والذوق العالي لما يند فيها من ألفاظ العبث وصور المجون ، إلا أنها توجع السكارى ، وتبعث بسمة السخرية على شفاه الناس من سوء أحوال هؤلاء الذين منحهم الله العقل فاشتروا بأيديهم ما يسلب عقولهم ، ليصبحوا سخرية الساخرين وهزأة المستهزئين .

ومن الحق المؤكد أن الأدب العملي الذى سلكه الإسلام في مقاومة الخمر هو أنجع الوسائل في القضاء عليها ويتمثل هذا الأدب العملي في أمرين : قوة العقيدة ، وتنفيذ الشريعة ، وإذا طلب من الأدب من الشعر والنثر أن يؤدي دوره في مجال محاربة الخمر والمخدرات

والمكيفات وغيرها من الآفات المنتشرة في عالمنا المعاصر فإنه لا يمكن أن يثمر ثماره ، ويؤتي نتائجه المرجوة إلا إذا كانت الطباع سليمة والنفوسُ مهيئة لقبول الحق ، وتلقي النصح ، أما إذا كانت البيئة فاسدة ، والنفوس جامحة والسلطة فاترة فإنه لا ينفع أدب أديب ، ولا رأى أريب فإنه :

إذا كان الطباغ طباع سوء فلا أدبٌ يفيد ولا أديبُ

فلتأخذ الأمة الإسلامية من تاريخها عبرة ولتعد إلى كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ولتحكم شرع الله في كل أحوالها فإن عادت عادت إلى الحسنى وكان لها الجزاء الأوفى ، والله وحده الهادى إلى سواء السبيل .

الخمر وسوء المصير

روى أن بشار بن برد الشاعر كان عربيدًا سكيرًا يؤذى الناس خاصتهم وعامتهم بقبيح أهاجيه ، وقد هجا الخليفة المهدى العباسى وخرج المهدى إلى البصرة يتفقد أحوالها فسمع أذاناً في الضحى فقال : انظروا ما هذا فإذا بشار وهو سكران فقال له : يازنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ، ثم أمر به فضرب حَدَّ الخمر فأتلفه الضرب . فألقى في سفينة ، وألقيت جثته في الماء فحمله فقذف به الماء إلى شاطىء دجلة فجاء بعض أهله فحملوه . وأخرجت جنازته فما تبعه أحد . وتباشر عامة الناس بموته ، لما كان يلحقهم من أذاه .

قصة العدد

السكران

للشيخ محمد المجذوب
كلية الدعوة

عندما يقع بصرنا على شيء يسترعى الانتباه نلاحظ أنه يترك صورته ماثلة في خيالنا بعض الوقت ، وأكثر ما يكون ذلك حين نغلق أعيننا عقب رؤيته فإذا هو منطبع على خلفية البصر بكل ما يميزه إلا تفصيلات الملامح . على أن بعض هذه المرئيات طويلة الأجل ، فلا تكاد تفارق الذاكرة إلا ريثما تعود .. ومن أبرزها في أعماق نفسى صورة ذلك الكهل الاروادي التى ما زالت مخيلتى تحتفظ بها منذ خمس وستين سنة في وضوح يباين ما يتركه غيرها من الصور العابرة .

ها أنا ذا أنظر اليه من خلال ركام الذكريات ، وأوشك أن أميز كل ظاهرة في هيكله الضئيل الذي ما أحسبه يتجاوز صورة ابن الرومي ، الذى يحدد حجم شخصه بقوله :

أنا من خَفَّ واستدقَّ فما يُثـ ... ـقل أرضاً ولا يَسُدُّ فضاءَ

وقد عُبِىءَ هذا الهيكل في سروال صغير متوسط السعة ، أحاط أعلاه بأسفل قميص متواضع من أرخص الأقمشة ، وبرز فوقه ذلك الوجه الأسمر المنمنم ، الذى استقرت عليه سمة غامضة يضيع تحديدها بين العبوس والابتسام ، وتُطل من خلالها عينان لطيفتان لا أستطيع تحديد رؤيتهما لأنه قلما يوجههما إلى أحد من الناس .. حتى اسمه لا يخلص من ذلك الغموض ، فهو في علمنا نحن الصغار على الأقل يوسف ، أما من أمه وأبوه وأسرته فوراءَ

مدركاتِنا المحدودة · وما أحسب أحداً حتى من الكبار يُلِمُّ من تعريفه بغير هذا الاسم ، ولا من هُويتِه بغير تلك الصفة المشتقة من صناعته اليومية (الكعَّاك) ·

- كان المنزل الذى يسكنه أشبه بغار صغير مستطيل لا يتخلله الضوء إلا من مدخله الذى لا يتسع لأكثر من اثنين بمثل حجمه ، ففيه يبيت ويأكل ويصنع الكعك ، الذى يطوف به أسواقَ طرطوس وأزقتَها عصرَ كل يومٍ وهو ينادى بصوته الأجش الهزيل :

كعــــك ســـخن ···· ســـخن ياكعـــك

ولقد ألفت منظر ذلك الكهل الاروادي إذ لا أكاد أفقد رؤيته في أي يوم ، فاذا غدوت إلى حانوت والدي أو رحت منه إلى البيت ، عبرت به فأقف قليلا مقابل مدخله أتطلع إلى يديه وهما تمارسان عمل الكعك ، وبنفسى رغبة في أن أسرق هذه الصنعة لأعلمها والدتى ، التى كانت قليلة الخبرة بصناعة الطعام ، وبخاصة المشوقات التى لا تعرف منها سوى رصف الحمص على وجه العجين المرسل إلى المخبز ، حيث تُغَير النار من طعمه فتجعله أقرب إلى القضامة ، وكانت تلك هى المكافأة المغرية التي تُحَبِب اليَّ حمل أقراص الخبز إلى الفرن ، لآخذ بحظى منها في كل نوبة ··

وكان لهدوء ذلك الكهل الاروادي أثره في تطلعي إلى عمله ، اذ قلما يضيق صدره بمشهد الصغار أمام مصنعه فلا يُنفِرهم كما يفعل أكثر الرجال الآخرين ، وبخاصة ذلك النجار الأخرس الذى ما أن يكاد يرى إنساناً يحكُّ رأسه حتى يثب نحوه مُعْمِلاً به كفيه ، وهو يرسل مثل مواء الهر المهتاج · وأكثر ما يقع عدوانه على الصغار الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ·

وكان لهدوئه كذلك وبعده عن العنف أثر آخر في نفسي إذ كنت كثيراً ما أستشعر الأسى عليه فأتساءل : أليس لهذا الكعَّاك من أم أو أب ؟ أليس له من زوج تنفض عنه غبار الوحشة ؟ ·· وكيف يستطيع العيش مع هذا الظلام الرهيب الذى يحتشد في جوف هذا الغار ، ولاسيما حين يستحكم الليل ؟ !

- وأعود إلى حانوت والدي كشأنى بعد كل عصر لأقرأ عليه ما تلقيته من دروس اليوم في المدرسة التركية ، وألتقى الكعاكَ الكهل في الطريق ، وهو يحمل فوق رأسه ذلك الطبق المصنوع من قش الحنطة ، وقد نُضِدت عليه أطواق الكعك المحمارّ ، وانتشر من خلاله الأريج المحرك للرغبة ، وجعلتْ حبوب السمسم تلتمع على جوانبه كالعيون الصغيرة تطل عليك ضاحكة من كل مكان ·· وعلى دأب الرجل يعرج على حانوتنا ليضع لى الكعكة التى لا بد

منها ويُردِفُها بالصرة المتعة التي تحتوى مسحوق السُماق الشهيّ ، فيأخذ ثمنها القطعة النحاسية الصغيرة ، ثم يمضى لغايته دون أن ينبس ببنت شفة ، وأمضي أنا في قضم كعكتي في نهم مهذّب ، ومن ثم أفرغ للتدرب على تحسين الخط بمشاكلة القاعدة التى يكتبها لي والدي برسمه الأنيق ، وقلما تتجاوز الأبيات الثلاثة التى تركت طابعها عميقاً في حياتى وجاهدت طويلا للتحرر من ايحائها :

أنســت بوحدتى ولزمــت بيــتــي فطــاب الأنسُ لي ونمــا السرورُ
وأدَّبـــــــنى الزمان فلا أبالى هُـــجـــــرت فلا أُزار ولا أزور
ولستُ بسائلٍ ما دمتُ حيــــاً أســار الجيشُ أم ركب الأمــير

ويتابع الكعاك مسيرته ويستمر صوته في نغمه المتشابهة : (كعـــك ســـخن ... ســـخن ياكعـــك)

وما هى إلا ساعة أو بعضها حتى يخفت ذلك الصوت ، لأن الكعك كله قد أتت عليه أيدى المشترين حتى لم يبق منه شىء .. ومن ثم تبدأ المرحلة الجديدة من يوميات صاحبه في موعدها ، الذى قلّما يعدو مطلع الساعة الأخيرة من النهار ، واذا هو مقبل من أعماق الحى الجنوبيّ المغلق على سكانه من النصارى ، وقد سمّر بصره في الأرض كالكلب الذى استحكم فيه السُعار ففقد خاصة الانتباه ، وأخذ طريقه كالسهم الذى لا يلوي على شىء ولا يسلم من إصابته شىء صادفه ، إلا أنه يختلف عنه في اضطراب مسيرته ، فهو يترنح ذات اليمين وذات الشمال ، ويحرك يديه في استرخاء كأنه يدفع عن نفسه شيئا يخشاه ... وما هى سوى خطوات حتى يحدق به العفاريت الصغار وهم يهتفون :

السكران ... السكران ... الله يلعن السكران .

ولكن الكعاك لا يُغير وجهته ولا يرد على الهتاف بكلمة ، بل يستمر في انطلاقته المترنحة ، على حين يتنامى موكب الهتافين من حوله ، ويأخذ الصياح في التعالى ، ثم يقبل الفارغون من هنا وهناك ليزيدوا في كثافة الموكب ، ولا يكتفون بالهتاف يزفونه به ، بل إن صمته ليغريهم بالمزيد من ايذائه ، فهم يرمونه بالحصى ، وبالأتربة ، وبالأوساخ يجمعونها من قمامة الطريق ، ولا يَضنُّ عليه بعضهم بالنعل يقذفه به ، وبالبصاق يلطخ به رأسه ووجهه ، فلا يملك إلا أن يضاعف من تحركه ابتغاء الخلاص ، ولكن أنّى له الخلاص وقد أحيط به من كل جانب ، وما كان له أن يستمر في صمته فاذا هو يعمد إلى الصياح بصوت متشنج لا يفهم منه سوى زعيق الاستغاثة ولا من مغيث .

وهكذا يتواصل خط السير بالمسكين إلى أن يجد نفسه على شاطىء البحر فلا يتمالك أن يقذف فيه بجسده المنهوك ، ولكن مشّيعيه يأبون أن يكفوا عنه عبثهم ، فاذا هم يرجمونه بالحجارة ، ثم لا يدعونه حتى يبعد عن مرمى أيديهم ، وتحول بينه وبينهم طلائع العتمة فيتفرقون عنه وهم يتصايحون : السكران ... السكران ... الله يلعن السكران .

وبذلك تنتهى المرحلة الثانية من يوميات الكعاك ليستأنف مسيرته الجديدة المزدوجة في يومه التالى .

● وتكر الأيام والسنون ويسجل الزمن عامه التاسع عشر بعد المئة التاسعة والألف ، ويكبر العفاريت الصغار ويتغير واقع الناس بعد زوال شمس الخلافة وانتشار ظلمات الاحتلال الفرنسي لديار الشام ، ويغيب وجه السكران الوحيد الذى كان الملهاة اليومية لأولئك الأشقياء في طرطوس ، فلا يعلم أحد منا مصيره ولا يدري من أمر هويته شيئاً غير الذى عرفناه من قبل .

ومن ذلك العهد دخل الناس مرحلة جديدة من الحياة فقد جاء جنود غورو ، المتحدى لقبر صلاح الدين ، بالسكر والأرز والأمتعة التي ما كان الناس ليحلموا بها أثناء سنى الحرب ، وكان أبرز هداياهم لذلك البلد وإخوته البنطال وربطة الرقبة (الكرافات) وألوان الخمور التى لم تعرفها طرطوس من قبل ، اذ لم ينقض سوى أشهر قليلة على ذلك الاحتلال حتى شرعت حوانيت الخمارين تطل برأسها هنا وهناك ، بعد أن كانت الخمور أيام الكعاك من الأسرار التى لا يعرف مظانّها ، ولا يقدم على تناولها إلا المغامرون بأنفسهم وانسانياتهم .. وتستمر الأحداث في التطور فإذا الحشيش والأفيون والكوكائين وما اليها من ضروب المخدرات تأخذ سبيلها إلى أبناء الأعيان الذين وافتهم الحظوظ بالمزيد من المال ، فراحوا يشترون به أصناف المتع التافهة والمدمرة ، ويَجرّون إلى مزالقهم الآخرين من الشباب الذين فُرّغوا مثلهم من كل وعي اسلامى ، وسلبوا كل شعور بالمسئولية ، فأصبحوا وليس لهم من صفات الأحياء إلا أنهم يأكلون ويدخنون ويسكرون ويحششون ولا يستحيون أن يتسكعوا في الشوارع وهم متعتَعون ومقهقهون .

إلا من رحم الله .... وقليل ما هم .

قَاتِلٌ... وَنَشْتَرِيهِ !!

للشيخ محمد رجب حميدو
المدرسة الفيصلية المتوسطة - أبها

مدخنـــة تمشي عـــلى أرجـــل ... يحذيـــك من دخـــانه القـــاتلِ
من قَطِـران التّبـغ أسـنانُهُ ... صفراءُ ذاتُ منظـرٍ هـــائلِ
ورأسُــهُ مشتعــلٌ شـــيبُهُ ... ناهيكَ عنْ هيكـــله النـــاحـلِ
ســعالُه حشرجـــةٌ مـــرةٌ ... وأنفُـــه كالجـدولِ الســائلِ
لِفَافَةٌ تذيبـــه مثلمـــا ... يذيبهـــا في زمـــنٍ عـــاجـلِ
لا كان من يسعى إلى حتفـــه ... بظلفه ، أو عـــاش للبـــاطلِ
فمِنْ بلايـــاهـــا وأدوائِهـــا ... مـــا لـــم يَعُـــدْ يخفى على عاقلِ
كالسُـــم والسـلِّ وآلامِـــهِ ... وكلِّ داءٍ بـــالفتى نـــازلِ
كـــم تتلفُ الأمـــةُ من مالهـــا ... في نـــزوةِ الأحمـــقِ والشـــاملِ
لو أنْفقَتْ في العلـــمِ ما أحْـــرَقَتْ ... لـــم يبـــق بين الشعبِ من جاهـــلِ
أو كـــان في البـــرّ وأبـــوابِهِ ... ما وقعتْ عـــينٌ عـــلى عائـــلِ
لكنَّـــهُ التقليـــدُ قـــد جرَّنـــا ... إلى اتبـــاعِ سَـــنَنٍ مائـــلِ
ومحنـــةٍ عميـــاءَ من شرِّهـــا ... لمَّـــا نَزَلْ في شُـــغُلٍ شـــاغلِ
قـــد حـــار أهـــل الرشـــد في أمرهـــا ... واختلـــط الحـــابل بالنـــابلِ
لِفَـــافَةٌ لَفَّـــتْ بأكفانِهـــا ... قـــوافلًا من جيلهـــا الهـــازلِ
أنصارُهـــا في الفتـــكِ (نرجيلةٌ) ... و (بيبة) ، و (جوزة الخـــامل)
أربعـــةٌ تغتـــالُ أجسَـــادَنـــا ... تحتَ دخـــانِ ليلِهَـــا اللّائـــلِ
كـــم من أبٍ مدخـــنٍ قـــاتلٍ ... أبنـــاءَهُ ومجـــرمٍ غافـــلِ
وكـــم جنـــينٍ مـــوتُهُ كائـــنٌ ... مِـــنْ عـــادةِ التدخـــينِ للحـــاملِ
والأمُّ تسقي سُـــمَّ ما دخنـــتْ ... رضيعَهـــا مِـــنْ ثديهـــا الحافـــلِ
لِفَافَـــةٌ مِـــنْ بعضِ إجـــرامِهَـــا ... إفســـادُهَا للصـــالح الفاضـــلِ
كأنَّهـــا والنـــارُ في رأســـها ... كنـــايةٌ عن شرِّها المـــــاثلِ
وكل ما يأتيـــك عن ضُرّهـــا ... فرملـــةٌ من معظـــم الســـاحلِ
ولا يـــرى المتعـــةَ في شربِهـــا ... إلا وريثُ الحُمْقِ عـــن باقـــلِ

يا ضحايا الكيف..

للشيخ يوسف الهمذاني الشافعي
المدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة

أمِن الدنيا وغَرَّته رؤاها ... وأبى إلا التردي في هواها
فإذا النور أراه زيفها ... حطم المصباح كبراً وسفاها
ومضى يَخْبِطِ في عشوائها ... ضَيَّع النور فأعماه دجاها
وإذا العقل تولى نوره ... أضحت الدنيا ظلاماً ومتاها
أى نور بعد هذا يُرتَجَى ... أى هَدْيٍ يُبلغ النفس هداها
هذه الدنيا كفينا شرها ... كم أناس أسكرتهم بطلاها
كم حديث تكتم النفس إذا ... فضحته الخمر شاهت ثم شاها
كم فِعالٍ قُبِّحَتْ تأنفها ... رُفِعَ الستر بها واسوأتاها
حرمات قد أبيحت جهرة ... لم تجد من وازع يحمي حماها
أين عهدٌ توثق النفس به ... وأماناتٌ أضيعت لهواها
أى مسخ يسخر الناس به ... شاءه الله كريما فأباها
ضاق بالنعمة والفضل كما ... ضاق إبليس فأرداه شقاها
جعلوا الخمر دواء سفها ... هل ترى الأنفس في حَتْفٍ شِفاها
كل يوم تخرج الدنيا لنا ... مُلهيات تفقد النفس هداها
نفث الشيطان فيها كيده ... فهي سم ليس ينجو مَنْ حساها
وترى الأفواج تهوى نحوها ... ويباري كهلها فيها فتاها
أمَّل المفتون فيها سَلْوَةً ... ما الذى يُسليه عن مُرِّ شقاها
وَتَرى الشيخ على شيشته ... أو على السيجار لا يسلو هواها
إنها الدنيا أضلت أهلها ... فتمادوا كلهم يبغى رضاها
ما لهم هَمٌّ سوى أن ينهلوا ... عللا من لهوها أو من جناها
انه داء الأولى قد جعلوا ... من هواهم ومن (الكيف) إلها
لا يبالون بشيء بعدها ... ضُبِطَ الأمر أو انحلت عراها
وعلى التدخين كم من أمة ... أقبلت من سمه تحسو رداها
فقد الناس اذن وَعْى الهدى ... لم يعد من وازع .. من يتناهى ؟
كلما ازداد هوى شعب ذو سعة ... زاد بُعْداً عن هدى الله وتاها
فالعلاج الدين هل من صحوة ... يا ضحايا الكيف ينجيكم هداها؟!



يا مَنْ يُريدُ دَمارَ صحتِه وَيَهْ ... وى الموتَ منتحراً بلا سكينِ

لا تيأسنَّ فإن مثلك واجدٌ ... كل الذي يرجوه في التدخين

وبفضلِ جهلِك قد غدوتَ لصانعي ... تلك السمومِ السود خيرَ مُعين

تحبوهمُ المالَ الذي لولاه لم ... يجدوا السبيلَ لِكيدِ هذا الدين

وتخون حق الله في الجسد الذي ... لا يستبيح أذاه غيرُ خئون

فاهنأ بما حققتَ للأعداء مِن ... نصر ، وللشيطان من تمكين

ما كان إبليسٌ ليدرك غايةً ... لولا غباوةُ حزبه المأفون

وبمن ينالُ مُناه إن هو لم يَجدْ ... عوناً بكل مضلَّل مفتون !

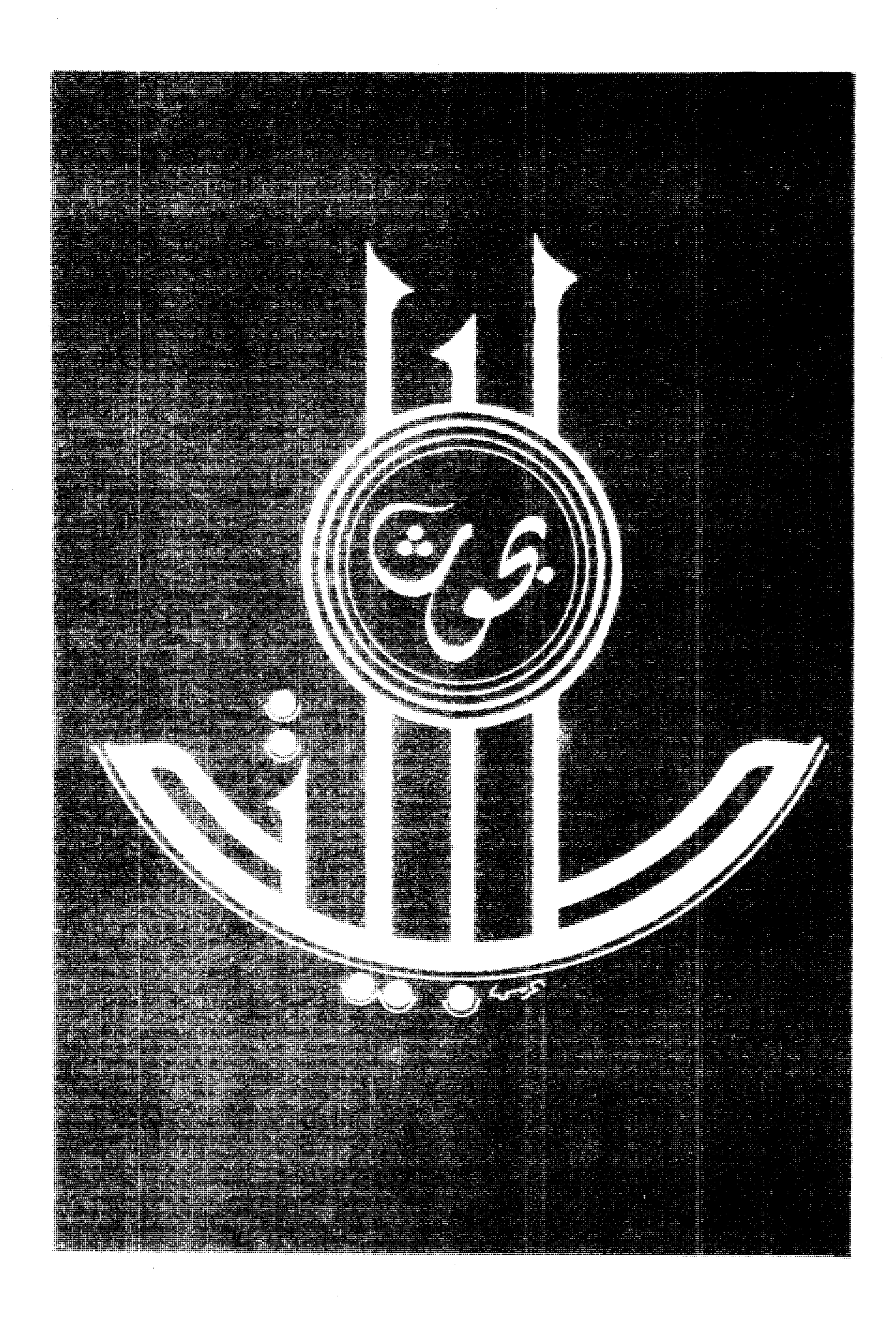
هل تعلم..؟

○ أنّ استعمال المنبهات لإنقاص الوزن أو للسهر المتواصل من قبل الطلاب أو السائقين ضارٌّ جدًّا .؟

○ وأنّ استعمال المهدئات النفسية تجعل الإنسان غير قادر على التكيف مع مشاكله أثناء استعمالها وحتى بعد الامتناع عنها .؟

○ وأن استعمال المنومات عادة سيئة يستيقظ الإنسان بعدها لا يستطيع حمل جسمه مع بطء في تفكيره كالذي يتخبطه الشيطان من المس .

○ وأنّ اطمئنان القلب يكون بطاعة الله وذكره :
« ألا بذكر الله تطمئن القلوب »





الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد :

فأقدم في هذا الموضوع ما توصل إليه الطب الحديث من كتاب هاريسون لعام ١٩٨٠ م (نظرات في المسكرات والمخدرات) حيث أصبح الطب ينقض بعض نظرياته السابقة التى يقول فيها ببعض الفوائد ، مع أننا نحن المسلمين نصدق ونؤمن بما قاله أصدق القائلين سبحانه : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » صدق الله العظيم في جميع ما قاله جل شأنه .

ونحن كذلك نؤمن بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر » .

ولنا وقفة في هذا المجال حيث يجب علينا نحن المسلمين أن لا ننخدع بما يظهر به علينا العلم الحديث أحياناً من بعض الفوائد للأشياء المحرمة ، حيث ما يقولونه اليوم ، ينقضونه بعد فترة من الزمن ، وما يكون لديهم اليوم حقيقة علمية ذات فوائد خفيت عنهم مضارها ، تنكشف لهم مضارها في يوم آخر .

فالمشكلات الرئيسية في المجتمع الحديث تنصب على المسكرات والمخدرات ، وإنما المشكلة النفسية الرئيسية هى : لماذا يستمر الإنسان على تعاطى هذه المواد مع علمه التام بما تسبب من أذى وضرر ؟

والمشكلة الطبية هى ماتولده من أمراض .

والمشكلة الاجتماعية هى ماتتضمنه من تأثير سيء على الفرد والأسرة والمجتمع والعالم بأسره .

والعدد الحقيقى لمدمنى الخمر في الولا يات المتحدة (١٠) مليون

وعدد شاربى الخمر في الولا يات المتحدة (٦٠) مليون

وفي بريطانيا يوجد مليون مدمن خمر .

وفي فرنسا يوجد ٤ مليون مدمن خمر .

وبالاستقراء يمكن إدراك ما يحدثه الكحول من دمار ونقص في الإنتاج وما يسببه من حوادث وجرائم ، وأمراض عقلية وجسمية ، وما ينجم عنه من تفكك عائلى .

« الكحـول » أو الخمـــر :

ثبت في الطب الحديث أن الكحول الأثيلى هو الجزء الفعال في الخمر في جميع أشكاله فكل شراب يحوى الكحول الأثيلى أو الكحول المثيلى له صفة الإسكار وإن تفاوتت النسبة حيث إن بعضها يحوى ٦٠ ٪ وبعضها الآخر يحوى ٤ ٪ فكلها مواد مسكرة .

وقد ثبت أن البيرة والمشروبات الأخرى لا تعتبر ذات قيمة غذائية .

نظرات في التأثيرات الفيزيولوجية والنفسية للخمر :

١ ـ قالوا سابقا إن للخمر فوائد في توسيع شرايين وأوعية القلب ثم ثبت بأن الخمر تنكس ألياف العضلة القلبية بتشبيط خمائرى ، وتحدث الجلطة القلبية بشكل مباشر وغير مباشر .

٢ ـ وقالوا سابقا إن الخمر تدفىء الجسم ثم أثبت الطب الحديث بأنها توسع الأوعية المحيطية ، وشعور الإنسان بالحرارة الخارجية يكون على حساب امتصاص الحرارة المركزية ، وقد يحدث الموت المفاجىء في المناطق الباردة .

٣ ـ وقالوا إن الخمر يزيد الشهية ثم أثبت الطب اليوم أن الخمر يزيد الإفراز المخاطى بالمعدة وينبه أعضاء الذوق الانتهائية ، ومنه يثبط إفراز الحمض الضرورى للهضم فيحدث عسر الهضم والتهاب حاد بالمعدة .

٤ ـ والتأثير المنعش في حالات التعب ظاهرة فيها الرحمة وباطنها فيه العذاب ، حيث إن هذا التأثير من شعور دماغي ، ولكن على حساب العضلات المجهدة المنهكة ·

٥ ـ وأثبت الطب الحديث بأن الخمر تحدث إما نقصاً في سكر الدم أو الداء السكرى وذلك بإصابة أماكن تولد الفليكوجين · وقد يحدث الحماض اللاكتائى حيث يتأكسد الكحول الإثيلى وبتحولات كيماوية يحدث الحماض ·

٦ ـ والرأى الحديث يقول بأن الكحول مثبط للجملة العصبية وليس منشطا · وبعض التأثيرات الظاهرة من التنبيه تعود لتثبيط بعض النوى تحت القشرية من الثرثرة والفعالية الشديدة · حيث يبدأ تثبيط القشر الدماغى · ويؤثر الكحول عكسياً على كلّ أشكال الأداء الحركى ووضعية الوقوف وضبط الكلام ، وحركات العين ·

ويقلل الكحول من كفاءات الأعمال العقلية ، وينقص قوة الانتباه والتركيز ، ويقلل من ملكات المحاكمة والتمييز ، ويفقد القدرة على التفكير والتعقل بوضوح ·

نظرات في الأمراض الناتجة عن الخمر :

أصبح ما ينتج عن الخمر من أمراض :

١ ـ التهاب المعدة ومنه عسر الهضم والألم الدائم بعد الطعام ·

٢ ـ تليف الكبد وهو سبب للموت المحقق ·

٣ ـ التهاب البانكرياس وهو سبب كذلك للموت المحقق ·

٤ ـ فقر الدم ·

٥ ـ مرض القلب الكحولى وهو سبب للموت المحقق ·

٦ ـ الذبحة الصدرية وتؤدى إلى الوفاة ·

٧ ـ السبات وفقد الوعى الكامل الذى يؤدى إلى الوفاة ·

٨ ـ التهاب الأعصاب وألم الأطراف المستمر ·

٩ ـ الخبل العقلى والشلل التشنجى ·

نظرات الطب الحديث في الأخطار الناتجة عن شرب الخمر :

١ ـ التحلل الأخلاقى والجنون ·
٢ ـ انتشار الجرائم الجنسية وتفشى الشذوذ الجنسى بأنواعه المختلفة ·
٣ ـ انتشار الأمراض الجنسية كالسيلان والزهرى خاصة في البلاد الغربية من مخلفات الإدمان المفرط ·
٤ ـ إيجاد الاستعداد الوراثى للإدمان حيث إن بذرة الإدمان تنمو بسرعة في تربة الإدمان العائلى ·
٥ ـ الخمر سبب مباشر وغير مباشر في ٥٠ ٪ من حالات الوفاة في معمل الطب الشرعى في إحدى الولا يات الأمريكية ·
٦ ـ فقد القدرات الدقيقة على الحكم والملاحظة والانتباه لدى السائق والطيار والبحار نتيجة تناول الخمر مما يعرضه وغيره للموت المحقق عند شربه قبل العمل أو أثناءه ·
٧ ـ البطالة فيصبح المدمن عالة على غيره هو وأسرته ·
٨ ـ نقص الإنتاج والدخل القومى ·
٩ ـ قد يحدث سلوك مخرب غير معقول بسبب تناول كمية صغيرة من الكحول تغرى بالشرب وتؤدى إلى الاستعداد للتحسس بالكحول بما يعرف بالحالة الزورية الكحولية الحادة فيقتل الكحولىّ بدون أن يشعر بأنه قام بهذا الفعل ·

فهل هناك بعد ذلك شك في أن « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ؟

نظرات الطب الحديث في معالجة الإدمان وشرب الخمر :

طالعنا الطب الحديث بأن أساس المعالجة الناجعة الناجحة للإدمان على شرب الخمر هو الانقطاع الكامل المطلق عن الشرب ، الذى يمثل عملياً الحل الوحيد الدائم · ومن المتفق عليه طبياً أن أى محاولة لكبح عادة الشرب بالتقليل أو بالتدرج أو بالمناسبات ستفشل إذا استمر المريض على الشرب ·

وهكذا فلن يكون هنالك لا حاضراً ولا ماضياً ولا مستقبلًا أفضل مما قاله الله سبحانه « رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » ·

وهل هناك أفضل علاج من قوله تعالى (فهل أنتم منتهون ؟) ·

يقرأ منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى : « فهل أنتم منتهون ؟ » فيقول الصحابة رضى الله عنهم : ربنا انتهينا ·

وقد فشلت وسائل الإعلام في أمريكا الشمالية - في إبعاد الناس عن الخمر رغم ما كلفت الحملة الإعلامية عام ١٩٢٠ م من أموال بلغت حوالى ٦٥ مليوناً من الدولارات ، ورغم قانون منع المسكرات الذى يجعل عقوبة السكر السجن والغرامة من عام ١٩٢٠ حتى ١٩٣٦ م ولم يُجْدِ هذا كله شيئاً ـ والذى يجدى فعلًا هو الوازع الدينى الذى يوجده هذا الإسلام العظيم ٠

وقد فكرت جمعية الكحوليين المغفلين (AA) في أمريكا الشمالية وهى تتكون من الكحوليين السابقين الذين تركوا الكحول - وقدمت الأسس التى ترشد المدمن إلى الإقلاع عن الشرب - ولكن دون فائدة - والحقيقة أن الامتناع الكامل عن الشرب إنما يكون بالاستعانة بالله ثم بالحزم في ترك الشرب نهائياً ٠

نظرات في طرق مكافحة الخمر الوقائية :

١ ـ تدريس أضرار الخمر الطبية حيث يجب أن تكون جزءاً من المواد الدراسية التى يدرسها الطالب في الا بتدائى والثانوى والجامعات ٠

٢ ـ عرض أفلام تلفزيونية طبية عن أضرار الخمر ٠

٣ ـ إلقاء محاضرات إذاعية قصيرة يشرح في كل محاضرة منها مرض من الأمراض التى تنتج عن شرب الخمر ٠

٤ ـ عرض لقطات قصيرة وصغيرة عن كل ضرر من الأضرار الناتجة عن شرب الخمر ٠

٥ ـ تزويد خطباء المساجد أو مدرسى العلوم الشرعية ببعض المعلومات الطبية لإضافتها على النواحى الشرعية عن أضرار الخمر ليكون وقعها في المسامع أفضل وأقوى ٠

٦ ـ التدقيق في بعض المشروبات المستخرجة من التفاح والشعير المستوردة من الخارج ، والتحقق من أنها غير مسكرة ٠

٧ ـ عدم التساهل في بيع الكولونيا والعطورات التى تحوى الكحول لأن بعض ضعاف النفوس يشربونها بقصد السكر ٠

٨ ـ إعداد جهاز مقياس الشرب يحمله شرطي المرور ليعرف السائق المخمور وذلك بهواء الزفير من السائق ، فيمنع السكران من القيادة ٠

٩ ـ يجب أن تعرض على الناس النتائج الطبية والاجتماعية السيئة التى تنجم عن الشرب المستمر ، كما يُفَهَّم الناس أن الشرب باعتدال لا يمكن أن يتحقق لأسباب منها مثلا مرض السكر ، فمريض السكر لا يستطيع الامتناع عن المواد السكرية ٠

١٠ ـ القيام بطرق شخصية تقدمها المستشفيات والمراكز الخاصة كأن تبغض الخمر لشاربيها مستعملة أدوية مقيئة ٠

١١ ـ الاستعانة بالطب النفسى لإقناع المريض بالمنطق والمحاكمة بأن الامتناع عن الشرب أفضل من السكر المقىء ٠

« المخدرات »

١ ـ إن أكثر المدمنين من الشباب والأحداث المنحرفين الذين يعيشون في الأوساط الفقيرة وفي المدن الكبيرة ٠

ويبدأ تعاطى المخدرات في سن المراهقة بين ١٧ ـ ١٨ سنةً وثلثا المدمنين للمخدرات هم ممن دون ٢١ عاما ٠ والسبب الرئيسى هو معاشرة المدمنين ، واستعمال الأدوية لغرض دوائى ٠

٢ ـ يجب ملاحظة الأدوية التى لها تأثير مخدر ، خاصة الأدوية التى تستعمل لأمراض عضوية ٠ فمثلًا دواء لوموثيل للإسهال له خاصة مشابهة للأفيون ٠

٣ ـ يلاحظ أن ٩٠ ٪ من المدمنين على الأفيون يشاركون في عمليات إجرامية ٠

٤ ـ الاستعمال الدائم والذاتى لمتعاطى المخدرات هو أنه تطلب زيادة الجرعة ليحصل على نفس الشعور من الهيمنة والسعادة والتيه بعد استعماله الجرعة البدئية ٠

٥ ـ المريض المدمن يحاول إخفاء إدمانه عن طبيبه ٠

٦ ـ هنالك طريقة مخبرية تكشف المورفينات في البول ، وتكشف أى جرعة مأخوذة قبل ٢٤ ساعة ٠

٧ ـ يمكن معالجة الإدمان بنوع من المخدرات أخف يحدث إدماناً من نوع آخر ٠

٨ ـ يجب أن يعالج المدمن في بيئة خالية من المدمنين ٠

الجزء الفعال في المخدرات :

كل مادة نباتية أو تركيبية تؤخذ بطريق الحقن ، أو الفم ، أو الاستنشاق ، أو الشيشة ، أو السيجارة ولها صفة مفترة ٠

والمخدرات أنواع :

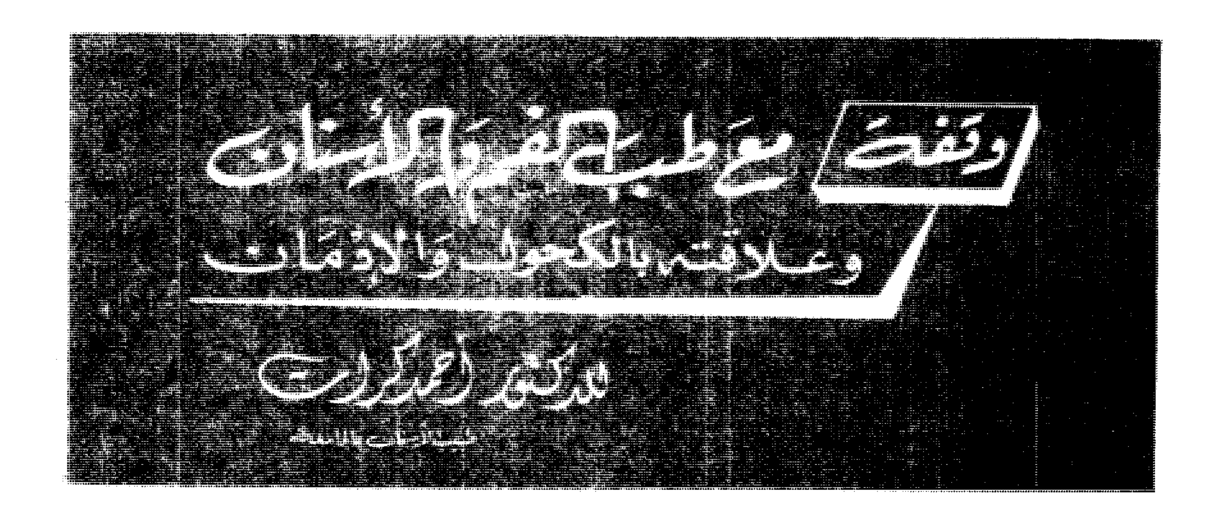
١ ـ مسكنات (كالأفيون ومشتقاته) ٠

٢ ـ منومات (كالباربيتوريات) ٠

٣ ـ مهدئات (كالفاليوم) ٠

٤ ـ مهلوسات (كالحشيش والماريوانا والقات) ٠

٥ ـ منبهات (كالامفاتامين والكوكائين) ٠



أخي المسلم **فمك** أمانة منحها الله لك فهو المدخل لطعامك وشرابك وجهازك الهضمي ، وفيه الأسنان واللسان ويحده من الخارج الشفتان وهكذا بفمك تتحدث وتنطق بالبيان فلا تأكل إلا الطيب الذي أحله الله ، ولنتذكر دائماً أننا مراقبون في أقوالنا وأفعالنا فلا يصح أن ننطق أو نقول إلا بما يرضى الله ، ولا نفعل إلا ما يحبه الله ، والله سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى ٠

إذا نظرنا إلى الفم وجدنا به الأسنان ، والسن يتكون من التاج وهو الجزء الذى يظهر في تجويف الفم والجذر هو الجزء المدفون في عظام الفك والذى يرتبط بعظام الفك بواسطة غشاء يسمى Peviodontal membran ليحفظ السن ثابتاً في مكانه والتاج يتكون من طبقات ، فالطبقة الخارجية وهى الميناء شديدة الصلابة ناصعة البياض نسبة الكالسيوم بها هى الغالبة ، وطبقة الميناء هى التى تعطي للسن بريقه ولمعانه ويلي طبقة الميناء طبقة العاج ثم لب السن الذى يحتوي على خلايا وأعصاب وأوعية دموية ومحيط بعنق السن اللثة ، ومحيط بالتجويف الفمي أغشية مخاطية تختلف في تكوينها وطبقاتها كل حسب وظيفته وموقعه ويوجد بالتجويف الفمى اللسان تلك العضلة المثبتة من الخلف في قاع الفم ويتحرك جزءه الأمامي في جميع الاتجاهات ويحتوى على حلمات حسية لتعرف المذاق الحلو والمر ويوجد أيضا بالتجويف الفمي سقف الحلق الذي يفصل بينه وبين التجويف الأنفي ٠ كذلك يحتوي التجويف الفمي على الغدد اللعابية التي لها وظائف هضمية وهى الغدتان النكفيتان والغدتان تحت الفكين والغدتان تحت اللسان ٠ وهى تفرز اللعاب ليختلط بالطعام فيسهل بلعه وهضمه ويرطب الفم فيسهل الحديث والكلام ٠

إن الفم أول أجزاء الجسم تعرضاً للمسكرات والمخدرات والتدخين . فالمسكرات وما تحتويه من مواد كحولية لها التأثير الضار على الخلايا التي تحيط بالتجويف الفمى ، فجسم الإنسان يتكون من أعضاء مختلفة والتجويف الفمى كأى عضو في الجسم يتكون من خلايا منتظمة التكوين لها شكل معين وتتراص في تركيب بديع ، لتقوم بوظائف خاصة كل حسب موقعه ، كل ذلك يقوم بنظام دقيق ليقوم كل عضو بوظيفته والكل يعمل في تعاون ونظام وتوازن الأنسجة والخلايا التى بالفم تقوم بأداء مهمتها ليكون الفم دائما في حالته الصحية ويقوم كل جزء بأداء عمله ، وخلايا الفم تختلف في عدد طبقاتها وقدرتها على التحمل كل حسب موقعه ووظيفته .

إن التبغ بصوره المختلفة وبكل أنواعه ومشتقاته سواء كان على صورته والتى توضع في الفم مباشرة وتمضغ أو عن طريق التدخين بالسجائر والسيجار والغليون وما شابه ذلك له الأضرار الكبيرة على صحة الفم والأسنان وكذلك أيضا المخدرات والمسكرات وينتج عند تناول هذه الأشياء تغير في رائحة الفم مما يتسبب في بخر من الروائح الكريهة وفي هذا يكون الأذى للمخالط والمجاور وبالنظر إلى أسنان المدخنين نجد طبقات سوداء اللون غيرت من طبيعة ميناء الأسنان وجعلتها أكثر تعرضا للتلف فلقد أفقدها التدخين لمعانها وبريقها وجعل للجراثيم المرتع الخصب في المواد المتخمرة لنشر الالتهابات وتعريض السن للتسوس وجعل رائحة الفم عفنة .

لقد أثبتت التجارب الطبية والأبحاث العلمية الأضرار والأمراض الناتجة من المسكرات والمخدرات والتدخين . فالمواد الكحولية وكذلك التبغ بكل صوره ومشتقاته الذي يدخل التجويف الفمي ويلامس خلاياه فالمسكرات تحتوي على الكحول والتبغ يحتوي على القطران والنيكوتين وكلها مواد سامة ذات تأثير ضار على خلايا الجسم المختلفة . تلامس هذه المواد السامة خلايا الفم فتصيبها وتحدث بها الكثير من التغيرات . لقد أدخلت في فمك الخطر وعرضته للمرض بتناول المسكرات والمخدرات وأرادت الخلايا أن تدافع عنك وتقاوم هذه السموم والأخطار ونتيجة للحرب بين الخلايا وسموم المسكرات والتدخين والمخدرات كانت الالتهابات التي تصيب الفم وأجزاءه المختلفة والتي تكون في بادئ الأمر بسيطة ثم تتطور لتكون حادة وكثيراً ما تكون صديدية تفرز الأذى والقيح والاستمرار في تعرض الخلايا لهذه السموم القاتلة يهلك هذه الخلايا الدقيقة التكوين ويضعف مقاومتها وتصبح عرضة لتتطور وتصبح أمراضاً خطيرة وخبيثة وهنا أوضح للقارئ ببعض الصور التى نشرت بالمجلات الطبية عن حالات تصيب الفم نتيجة التدخين والتي رأيت منها الكثير أثناء علاجي للمرضى وبخاصة في مصر .

العديد من المقالات الطبية والبحوث العلمية التي نشرت في العالم وتؤكد أن كثيراً من الأمراض التي تصيب الفم وتجعله معرضا للأورام الخبيثة السرطانية هى شرب المواد الكحولية والتدخين والتبغ بكل أنواعه ·



١ – صورة للتجويف الفمي ويظهر في الشدق التهاب مزمن تحول إلى مناطق بيضاء

إن الاستمرار في تناول المسكرات والمخدرات استمرار لتقديم المواد السامة والقاتلة التى تهلك خلايا الفم الدقيقة التكوين لتغير من طبيعتها فيتغير شكلها ونظامها وطبقاتها وتصبح في حالة عدم توازن وتستعد هذه الخلايا لمقاومة هذا الخطر بأجهزتها الدفاعية لتلتهم وتحاصر هذه المواد الضارة لتدفعها وتتخلص منها وينتج عن تلك الالتهابات التي تصيب الفم وأغشيته المختلفة وتعرض اللثة للالتهابات الصديدية والمتقيحة والمتقرحة وتصبح الأسنان فريسة للتخلخل بل وبؤرة صديدية تفسد الجسم · وبازدياد هذه السموم والمواد القاتلة الناتجة عن المسكرات والمخدرات تعجز الأجهزة الدفاعية عن مقاومة هذه الأخطار التي تهددها باستمرار في تعاطيها المسكرات والمخدرات وفي تقديم موادهما السامة إليها لتظهر بقعاً وقطعاً بيضاء الليكوبلاكيا Leukoplakia وهى تظهر في مناطق مختلفة من الفم أحياناً في الشدق كما في منظر (١) أو على الشفاه أو على سطح أو أسفل اللسان ، وهذه القطع البيضاء المعروفة

باللیکوبلاکیا تأخذ أوضاعا مختلفة حسب تأثیرها على الخلایا کما هو واضح في الشکل (٢)

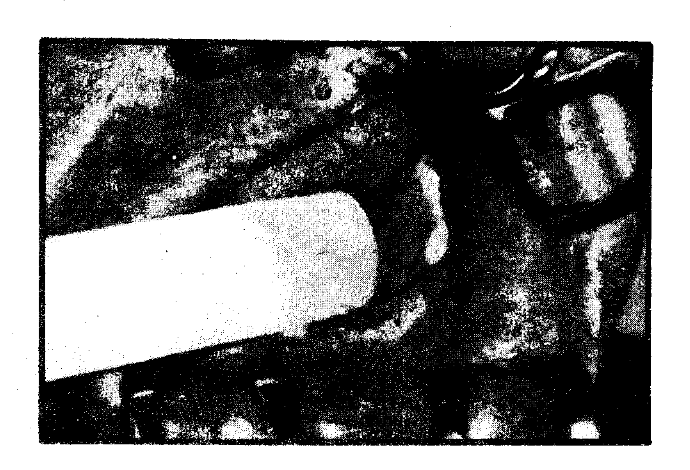


(٢) صورة للفم تظهر فيها بوضوح الإصابة باللیکوبلاکیا

ويمكن للطبيب تشخيص الإصابة باللیکوبلاکیا بشكلها وتكوينها وأسبابها التي منها تناول الكحول والتدخين والمخدرات وهذه الحالة المرضية تظهر بوضوح تحت المجهر ومن مميزاتها اختلال في طبقاتها الخارجية وهو ما يسمى بالهيبركيراتوزيس Hyperkeratosis

إن مرض اللیکوبلاکیا الذي يصيب الفم مرض خطير لأنه المنذر بأن الأمر سيكون خطيراً حيث تفقد الخلايا سيطرتها على الانقسام ويتغير شكلها ونظامها وتختل طبيعتها وتتكاثر بغير نظام لتأخذ صورة همجية وتفقد تعاونها ووظيفتها وتصبح عالة على الخلايا السليمة الصحيحة تسلبها خصائصها وتمنعها من أداء وظيفتها بل وتؤثر عليها وتصعقها وتجعلها فريسة لها بل وتورثها صفاتها الخبيثة ، عند ذلك يستفحل المرض وتكون الأورام التى كانت في بدايتها حميدة ثم تحولت لتكون خطيرة وخبيثة ٠

وهناك العديد من الأمثلة والكثير من الصور التي توضح وتعطي صورة حية لهذا الوبال الخطير الذي يهدد البشرية بأجمعها إنه السرطان ومن أهم أسبابه تناول الخمور والتبغ والمخدرات ٠



منظر (٣) صورة توضح قرحة بسقف الحلق نتيجة للتدخين

بالرغم من الإعلانات والدعاية الخادعة للتدخين والتي تدعى بأن السيجارة متعة وانها سلسة ودعايات أخرى بأنها تحتوي على أقل نسبة من القطران والنيكوتين إلا أن منظمة الصحة العالمية بعد التأكد بأن للتدخين مضاره على الجسم والإصابة بالأورام الخبيثة أمرت بالكتابة على علبه بأن التدخين ضار بالصحة ويسبب السرطان فننصحك بالامتناع عنه .



منظر (٤) صورة للتجويف الفمي تظهر فيه الليكوبلاكيا على سقف الحلق والشفاه من تأثير التبغ

أخي المسلم عد إلى رشدك واحفظ دينك ومالك ونفسك وعقلك وبدنك وتناول في فمك ما أحله الله لك وحذار أن تضع في فمك ما حرمه الله فكيف يستجاب لنا الدعاء .

تذكر أن الطعام الذي تدخله في فمك بيديك وتقطعه بأسنانك وتطحنه بأضراسك وتقوم أجهزتك الهضمية بإعداده ليكون مهضوما ليجرى في الدم فيبنى خلايا الجسد لا بد أن يكون حلالاً طيباً . ابتعد عن تناول كل ما حرمه الله فالمعجزة التي نزل بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هى القرآن إنه المعجزة التي أحلت للناس الطيبات وحرمت عليهم الخبائث . فليكن فمك طاهراً فتكون ممن يجاب لهم الدعاء .

انظر تأثير ما حرمه الله عليك وهذا منظر للتجويف الفمي وتحولت الليكوبلاكيا التي أصابت المنطقة التي تحت اللسان فحولتها إلى سرطان منظر (٥) .



منظر (٥) صورة لمنطقة تحت اللسان وقد تحولت الليكوبلاكيا إلى سرطان خبيث

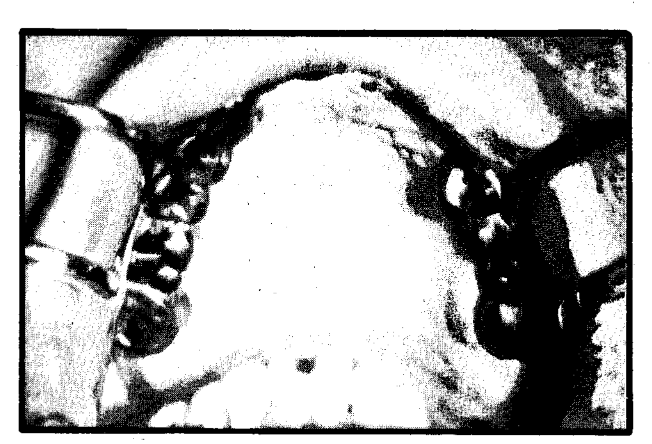
إن الله سبحانه وتعالى لم يحرم علينا شيئا إلا لما فيه من الضرر والمفسدة على صحة الإنسان سواء العقلية أو الفكرية أو الجسدية فالله سبحانه وتعالى حكيم عليم . ولقد أوضحت بعضاً من الحكم في أسباب تحريم المسكرات والمخدرات وآثارها الخبيثة على صحة الإنسان .

على المسلم أن يكون حذراً من مقارفة الحرام أو تناوله أو تناول أي شيء منه حتى ولو لم تكن هناك حكمة ظاهرة لنا حينئذ تكون الحكمة فيها تعبدية ولا يزال الإنسان قاصراً عن إدراك الكثير من الحكم ولتكن أعمالنا وأفعالنا وأقوالنا في طاعة الله وطاعة رسوله .

لقد أوجزت قليلا من كثير مما تسببه المسكرات والمخدرات والتدخين على صحة الفم والأسنان ، وسيظل العلم يبحث ويكتشف الكثير والجديد من آثارهما الضارة وفي نفس الوقت سيظل العلم عاجزاً للوصول إلى الحكم الكثيرة في تحريم الخمر وكذلك المسكرات والمخدرات ·

لقد سمعنا نداء الحق وكلنا مسئولون أمام الله عن المال فيم أنفقناه وعن الوقت فيم أضعناه وعن الشباب والصحة فيم أفنيناهما فلا تدخل فمك السموم والمنكرات وتدعي بأن التبغ والدخان عادة لا تستطيع الإقلاع عنها وأن فيها متعة الراحة والتخلص من الأزمات وأحياناً تدعي بأن الدخان فيه وقاية لك من الأمراض والميكروبات لأن عملك فيه المخالطة والمجاورة بالمرضى والصواب هو ضِدّ ما تدعيه لأنك تقدم الأذى والشر للمخالطين وكل من حولك لأنك تبثهم ما تلفظه من سموم الدخان الذى يحمل القطران والنيكوتين وزودته بغاز فاسد هو ثاني أكسيد الكربون وكلها مواد مؤذية مهلكة ·

أخي المسلم : عد إلى رشدك فلقد ميزك الله بالعقل فلا تضيع مالك ووقتك وصحتك وتعرض نفسك للمعاصى وعقلك وجسدك للأمراض وانظر إلى الأضرار الجسيمة التي تخلفها المسكرات والمخدرات · انظر إلى الصورة رقم (٦) لترى التجويف الفمي وقد أصيب الركن الأيمن من الفم بالسرطان نتيجة للتبغ ·



(٦) صورة توضح التجويف الفمي وقد تحولت منطقة الليكوبلاكيا **leukoplakia.** بركن الفم الأيمن إلى سرطان نتيجة الإدمان والتدخين ·

فليكن لنا في السابقين الأولين من السلف الصالح من هذه الأمة القدوة الحسنة ، فلقد أطاعوا الله ورسوله وجاهدوا في الله حق جهاده وفتحوا الأقطار والأمصار وخضعت لهم الجبابرة والقياصرة بقوة إيمانهم وكريم خصالهم وسلوكهم فكانت لهم القيادة وكان لهم النصر والفتح المبين لأنهم أقبلوا على الله معرضين عمن سواه حتى تم لهم اليقين وبلغوا درجة المقربين ·

الخمر
وتأثيرها على العيون

للدكتور فكري السيد عوض
طبيب العيون بالجامعة

● سنتعرض في بحثنا هذا بمشيئة الله تعالى وعونه على تأثير الخمر السيء على العين وسنكتفي بعرض تأثيرها على كل من : العصب البصري ، العضلات المحركة للعين ، الأوعية الدموية التي تغذي العين ٠

- الخمر ما هى إلا مشروبات تحتوي على كميات متفاوتة من الكحول ؛ وعلى حسب تركيز الكحول تختلف مسمياتها ٠ والكحول هو الذي يسبب جميع الآثار الضارة التي تنتج من شرب الخمور ٠

والكحول مركب كيميائي له صفات وخصائص معينة فهو مكون من ذرات من الكربون وذرات من الهيدروچين وتنتهي بمجموعة من الهيدروكسيل (oH) ٠ فيكون رمزه هكذا [c – H ...... oH]

- وأكثر الأنواع انتشاراً هو الكحول الإيثيلي :

وله استخدامات كثيرة منها :

أ - **في الطب :**

١ - يستعمل كمطهر ٠

٢ - مذيب للمواد العطرية ويستخدم بكثرة في صنع الروائح ٠

٣ - مذيب لبعض الأدوية (الأدوية التي تتكون من مواد دهنية أو قلوية فإنها لا تذوب إلا في الكحول) ٠

ب - **في الصناعة :**

١ - مذيب للمواد الدهنية ٠

٢ - يستخدم في ضغط بعض المواد ٠

٣ - كما أنه مقاوم للتجمد ٠

- أما الكحول المثيلي (كحول نشارة الخشب) فهو أسوأ أنواع الكحول من الناحية السميَّة ٠

- ويتكون الكحول الإيثيلي من تحليل المواد السكرية الموجودة في الفواكه ، أو تحليل المواد النشوية الموجودة في الشعير ، وذلك بإضافة الخميرة إليها بكمية معينة ، في درجة حرارة معينة ، فيحدث التخمر الذي هو تكوين الكحول ٠

- **امتصاصه من الجسم وتوزيعه :**

يدخل الكحول إلى الجسم عن طريق المشروبات ، ويمتص من الفم ، أو من المعدة ، أو من الاثنى عشر ، ويكون الامتصاص سريعاً إذا كانت المعدة خالية وكانت نسبة تركيز الكحول قليلة ، أما إذا كانت نسبة تركيز الكحول عالية والمعدة ممتلئة بالطعام فعند ذلك يكون الامتصاص بطيئاً ، ويذهب بعد ذلك عن طريق الأوعية الدموية إلى الكبد ، وهناك يتحول من الكحول إلى حامض الخليك ثم يتأكسد ، وهذه العملية تحتاج إلى كمية كبيرة من فيتامين ب المركب وبالذات فيتامين ب١ مما يؤدي إلى نقص كبير في هذا الفيتامين بالإضافة إلى نقص في كمية البروتينات الدهنية ؛ علاوة على أن خلايا الكبد تتأثر تأثراً مباشراً به ، وبعد ذلك يتوزع تأثيره على جميع أنسجة الجسم ٠

• فما تأثيره على العين ؟

من الحقائق التشريحية الثابتة :

أن الجهاز العصبي يتكون من نوعين يجب معرفتهما حتى يسهل معرفة تأثير الكحول على العين :

١ - جهاز عصبي مركزي (Central Nerveous System) : وهو يتكون من المخ وما به من مراكز للبصر ، ومراكز للسمع ، ومراكز للنطق ، ...

٢ - جهاز عصبي فرعي (Peripheral nerveous System) : وهو عبارة عن ثلاثة أقسام :

(أ) أعصاب مخية (Cranial nerves)

- وهى تخرج من جانبي المخ لتصل إلى العين وإلى الوجه وإلى جميع أجزاء الجسم ·

- عددها اثنى عشر زوجاً من الأعصاب ·

- والذي يهمنا منها ما يتعلق بتأثير الكحول على الأعصاب المتعلقة بالعين وهو :

xx العصب المخي الثاني : وهو يسمى بالعصب البصري (يختص بحاسة الإبصار)

xx العصب المخي الثالث : وهو يختص بتحريك معظم عضلات العين ·

xx العصب المخي الرابع : وهو يحرك عضلة واحدة من عضلات العين (العضلة المنحرفة العليا) ·

xx العصب المخي السادس :وهو يحرك عضلة واحدة من عضلات العين (العضلة المستقيمة) ·

(ب) أعصاب نخاعية شوكية : وعددها واحد وثلاثون زوجاً · وتخرج من العمود الفقري ·

(جـ) أعصاب لا إرادية : (Antonomic nerveous System)

وهى تعمل بدون تدخل الإنسان عند الحاجة إليها وقسم منها يسمى الأعصاب التعاطفية أو الودية حيث تتعاطف مع الإنسان في حالات الخوف أو القتال فنجد أن حدقة العين تتسع وتجحظ العضلات وتنتفخ الأوداج ، وتسرع ضربات القلب ويرتفع الضغط ؛ وعندما يذهب الخوف ويعود الهدوء يعود القسم الآخر من الأعصاب (وهو ما يسمى بالأعصاب نظير التعاطفية) للعمل ·

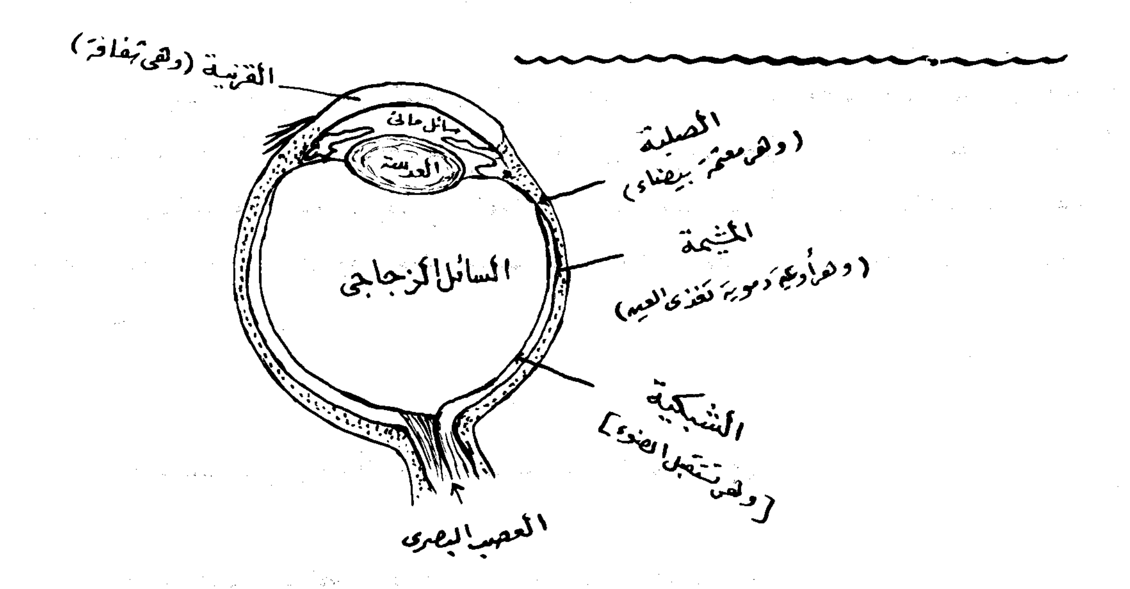
بعد هذا العرض ندرك أن الأعصاب التي تتعلق بالعين :

- إما عصب يختص بالإبصار (وهو العصب البصري) ·
- وإما أعصاب تحرك عضلات العين (وهو العصب المخي الثالث والرابع والسادس) ·
- وإما أعصاب لا إرادية لتحريك مقلة العين ، وانقباض أو استرخاء الأوعية الدموية ·
- وإما مراكز في المخ تختص بالإبصار ·

فماذا يفعل الكحول على هذه الأعصاب السابقة ؟

يؤثر الكحول على الجهاز العصبي إما تأثيراً مباشراً وذلك بضمور بعض الخلايا العصبية وعندئذ تتأثر جميع الإحساسات (من رؤية الأشباح ، وسماع أصوات موهومة ، وشم رائحة غير موجودة لا وجود لها) · - وإما يكون تأثير الكحول تأثيراً غير مباشر وذلك للنقص الشديد من فيتامين ب المركب ·

إلتهاب عصب العين المؤدي إلى العمى :



- يحدث ذلك عند مدمني الكحول وبالذات إذا كان الشخص يشرب الخمر وهو في نفس الوقت من المتعودين على التدخين حيث تتعاون المادتان السامتان في كل من الكحول والتبغ على إحداث العمى .

- والتهاب العصب البصري هذا يكون من النوع المزمن وهو ما يعرف (Toxic ambolygria) ويحدث فيه تحطيم لألياف العصب البصري نتيجة سموم خارجية ومن أهمها :

(التبغ - والكحول الإيثيلي - والكحول الميثيلي ...) .

● تأثير الكحول الإيثيلي على العصب البصري :

- يتراوح عمر المريض من الخامسة والثلاثين إلى الخمسين من عمره .

- يبدأ المرض بأن يشعر المريض بأن هناك ضباباً أو شبورة أمام نظره وعلى الأخص في المساء أو في الضوء الخافت ، ثم تأخذ الرؤية المركزية في النقصان تدريجيا بمعنى أن القراءة والأعمال القريبة تصبح صعبة .

– ويحدث ذلك في كلتا العينين إلا أن إحداهما تتأثر أكثر من الأخرى ·

– وبفحص قاع العين تظهر علامات معينة ، وبفحص مجال الرؤيا تظهر عتامات فيه ومبادىء في عمى الألوان وبالذات للون الأحمر ·

– ثم تفقد الرؤية المركزية بعد ذلك (فلا يستطيع القراءة ولا يستطيع ممارسة الأعمال القريبة) لكن من الممكن أن يرى من الجوانب إذا أراد المسير ·

– يحدث تحلل وضمور في نوع خاص من خلايا الشبكية ·
– علاج مثل هذه الحالات إذا اكتشفت مبكراً : هو أن يتوقف المريض عن شرب الكحول ويمتنع عن التدخين نهائياً ، ويعطى جرعة كبيرة من فيتامين ب المركب وبالذات

(Thiamine and B12)

● تأثير الكحول المثيلي على العصب البصري :

● يحدث ذلك في المناطق التي يمنع فيها من تناول الخمور ·

● ونظراً لأنه سام جداً فإن الحكومات تضيفه عمداً إلى الاسبيرتو (الذي يستخدم في الوقود) حتى لا يشرب ·

ولذا كان شرب السبيرتو مميتاً في الحال بخلاف بقية الخمور من حيث أنها تميت ولكن على فترات متباعدة ·

– وهو يتحلل في الجسم إلى فورمالدهيد + حامض فورميك ·

– والتسمم به له حالتان إما تسمم حاد أو مزمن ·

– ويصاب المريض بالغثيان ، والصداع ، وزغللة في عينيه ، ثم إغماء ·

- وإذا فرض أن المريض أنقذ ؛ فإن البصر يقل بسرعة عجيبة ، بادئاً بمرحلة ضيق مجال الرؤية إلى أن ينتهي بالعمى نتيجة ضمور في العصب البصري (Primary Optic Artophy) وذلك نتيجة لتحلل خلايا العصب بادئاً من الشبكية ويظهر ذلك بفحص قاع العين .

● هذا ما حدث للعصب المختص بالإبصار ، وهو العصب البصري .

فماذا يحدث للأعصاب الأخرى ؟ أي المختصة بحركة العين .

● في الغالب يحدث نتيجة تأثير الكحول على محاور الأعصاب (لأن كل عصب يتركب من محور أسطواني (Axis Cylinder) ويغلفه غشاء (Myelin Sheath)) فإذا ما حدث تحلل لمحور العصب يكون ذلك مميتاً للعصب إلا إذا توقف مبكراً عن الشراب ثم أخذ كميات كبيرة من فيتامين ب المركب - لكن إذا حدث تحلل في الغشاء الذي يغلف المحور فإنه يعود مرة أخرى . والخطر الذي يحدثه الكحول هو على محور العصب نفسه . وهنا تكمن الخطورة .

● ويلاحظ أن بعض الحالات المتأخرة في أمراض العيون مثل (Absolute Glaucoma) وهي المياه الزرقاء التي تصيب العين وتصل إلى مرحلة العمى ولا يصلح معها العلاج وتصبح العين فيها ألم شديد جداً إذا وافق المريض على استئصال هذه العين لإراحته من هذا الألم الشديد وإلا فإنه يعطى حقنة تخدير خلف العين ثم بعدها بدقائق يعطى حقنة من الكحول تركيزه ٨٠ ٪ خلف العين حتى يتخلص من هذا الألم لإحداث شبه شلل بأعصاب العين لكن بالطبع هذا له مساوئه العديدة التي منها عدم حركة العين ، وكذلك ارتخاء الجفن ، وكذلك التهاب القرنية ؛

لكن أشرنا إلى ذلك فقط من باب تأثير الكحول المباشر على الأعصاب وما ينتج عنه من تلف .

- كذلك فإن من الآثار السيئة للكحول على أعصاب العين المغذية للعضلات حيث يؤدي إلى اضطراب في حركتها مما يؤدي إلى الرؤية المزدوجة (Diploysia) . فيرى المريض الشخص شخصين ، وهكذا يرى كل شيء مزدوجاً مما يؤدي له الانزعاج الشديد والحرج البالغ .

وأكثر أعصاب العين إصابة هو العصب المخي السادس (العصب المُبَعِّدْ) (Abducent Nerve) فنجد كلما التفت المريض يميناً أو يساراً يرى الشيء شيئين ٠

- أما في حالات السُكْر :

فإنه يحدث تخدير خلايا المخ : فتنعدم الرؤية الواضحة ، يحتقن العينين والوجه وقد يرى الشيء شيئين وتبدأ الرأرة في العين (اهتزاز العين بحركة بندولية - (Nystag Mous)

- وعلى هذا فإن المدمنين للكحول نجد أن ملتحمة العين دائماً محتقنة ، ونجد كذلك أن الجفون محتقنة والتهاب في حافة الجفون ٠

لكن في بعض الحالات بدلا من أن تكون الملتحمة محتقنة نجدها صفراء وهذا يحدث في مرض اكتشفه الطبيب زيف (Zeive)

ما هو مرض زيف ؟ (Zeive's Syndrome) ?

- هو مرض خطير لا يصيب إلا المدمنين ، لكنه لا يصيب جميع المدمنين ٠ ويحدث فيه اختلال في وظائف الكبد وتضخم في الكبد ٠
- وينتج منه تحلل كرات الدم الحمراء بكميات هائلة حتى تسبب فقر دم شديد ٠

- وينتج عن ذلك مرض اليرقان الذى يحدث عنه اصفرار جميع أجزاء الجسم وكذلك ملتحمة العين ٠

- وقد لاحظ الطبيب زيف أنه مع توقف شرب الكحول وأخذ العلاج اللازم يتماثل المريض للشفاء وإلا فمصيره الدمار والهلاك ٠

وماذا عن مرض فيرنيكي الدماغي : (Wernicke–encephalopacy)

– إنه يكون عند المدمنين للكحول (نتيجة نقص شديد في فيتامين ب المركب)
– ويصيب المنطقة الوسطى من الدماغ حيث يخرج من هذه المنطقة العصب المحرك الثالث ، والرابع اللذان يقومان بحركة عضلات العين ، كذلك في هذه المنطقة يوجد المركز الخاص باليقظة ، ولذلك يصبح المريض في حالة كسل وخمول بالإضافة إلى أنه يرى الأشياء مزدوجة .

● الخمر وعمى الألوان :

توجد في شبكية العين (وهى تتكون من عشر طبقات فوق بعضها) في طبقة واحدة منها ما يختص بالرؤية حيث يوجد فيها نوعان من الخلايا يقومان بذلك :

النوع الأول : العصايا (Rods) وتختص بالرؤية الضعيفة (Scotopic Vision)

النوع الثاني : المخاريط (Cones) وتختص بالرؤية النهارية أو الرؤية المركزة .

أما كيف تحدث الرؤيا وتظهر الأشياء ملونة فهذا له نظريات متعددة وليس مجال بحثنا لكن في بساطة أن الشعاع الضوئي يمر في أوساط مختلفة من العين حتى يقع على الشبكية فتقوم الخلايا الحساسة للضوء (العصايا والمخاريط) بترجمتها إلى شكل سيولة عصبية تنقلها إلى العصب البصري الذى يوصلها إلى المخ .

والأمراض التي تصيب العين بعمى الألوان من جملتها التسمم المزمن بالتبغ والخمر حيث يؤثر ذلك على الخلايا الحساسة لاستقبال الضوء ، أو يؤثر على العصب البصرى الذي ينقل الصورة ملونة (يحتوى العصب البصرى ما يقرب من مليون جهاز ملون أى ألياف عصبية) وفي الغالب لا يكون عمى الألوان لجميع الألوان ولكن لبعضها دون الآخر أى يميز بعض الألوان ، والأخرى لا يميزها .

تأثير الخمور على مرحلة « نوم حركة العين السريعة » : (Rapid Eye movement sleep)

إن نوم الإنسان الطبيعي يشمل مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة النوم العميق :

ومدتها حوالى ساعة ونصف - وتقل فيها سرعة النبض وضربات القلب ، وتقل سرعة التنفس ، ويقل فيها ضغط الدم .

المرحلة الثانية : مرحلة نوم حركة العين السريعة :

- ومدتها من خمس إلى عشر دقائق تقريباً .

- حيث تتحرك مقلة العين حركة سريعة (بالرغم من أن الإنسان في نوم - وبالرغم من أن الجفن مغلق - وأمكن تصويرها بالأشعة تحت الحمراء وأمكن مشاهدتها وهى تتحرك بسرعة كبيرة تحت الجفن المغلق) ، فإذا استيقظ الشخص في هذه الفترة يتبين أنه يحلم .

- وإذا كان نوم الشخص خاليا من هذه المرحلة يصبح في تعب وإرهاق ولا يشعر أنه قد أخذ نصيبه الكافي من النوم . فهى تعتبر مرحلة ضرورية للنوم .

- ويتكرر ذلك كل ليلة حوالى أربع أو خمس مرات .

• وقد وجد أن من إحدى الأسباب التي تؤدي إلى انعدام حركة العين السريعة هو الكحول . وبالتالى يفقد الإنسان النوم الضروري له .

• ووجد أنه عند المدمنين إذا سحب الدواء أو امتنع المدمن مرة واحدة عن شرب الكحول فإن النوم كله يتحول إلى مرحلة نوم حركة العين السريعة . وهذا يسبب له هيجاناً شديداً ولذلك عند معالجة هؤلاء يتبع معهم نظام دقيق جدا داخل المستشفيات المعدة لذلك .

تكلمنا عن تأثير الكحول على الأعصاب المخية وعلاقتها بالرؤية والألوان وحركات العين .

بقى أن نعرف **تأثير الكحول على الأعصاب اللاإرادية :**

تقوم الأعصاب اللاإرادية بإرسال الأوامر إلى الأوعية الدموية حسب ضرورة الجسم بدون تدخل من الإنسان ، ولكى ندرك تأثيرها في الأوعية الدموية لا بد من معرفة تركيب الشريان حتى نعرف في أى طبقة تؤثر الأعصاب وما نتيجة ذلك .

يتركب الشريان من ثلاث طبقـــات :

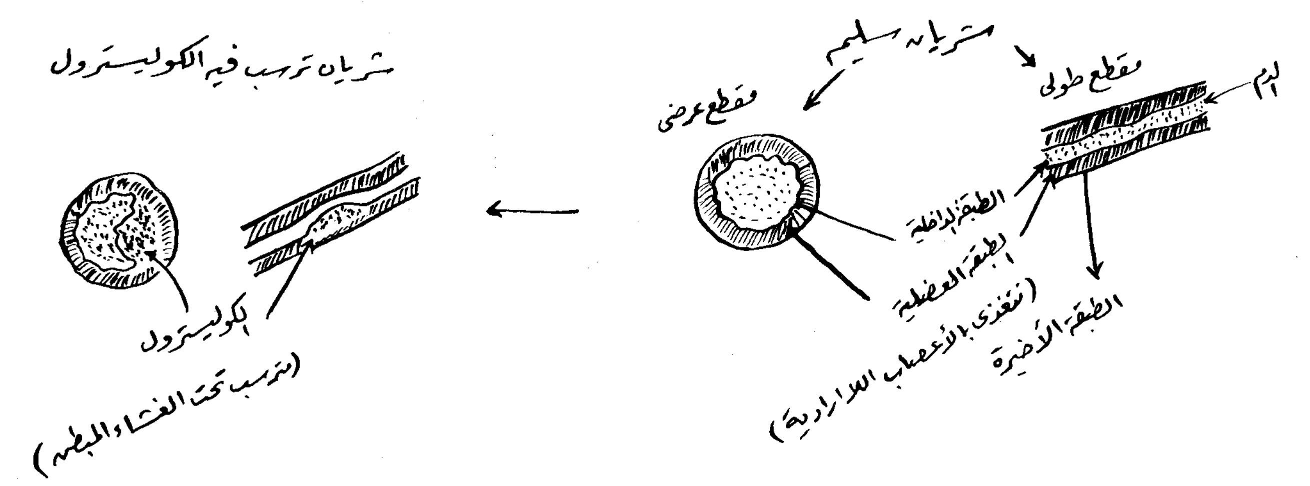
١ ـ **الطبقة الأولى :** وهى الطبقة الداخلية (Intima) وهى التى تبطن الوعاء الدموى ولذلك فهى ملساء ناعمة جداً ، وأى خلل أو خدش أو خشونة فيها ينتج عن ذلك الجلطة الدموية التى تؤدى إلى ضيق أو قفل الشريان .

٢ ـ **الطبقة الثانية :** وهى الطبقة العضلية (Muscular Layer) وهى تتكون من عضلات تتغذى بالأعصاب اللاإرادية فهى التى تأمر تلك العضلات بالانقباض (فيضيق الوعاء الدموى) أو تأمرها بالارتخاء (فيتسع الوعاء الدموى) بدون إرادة من الإنسان .

٣ ـ **الطبقة الثالثة :** وهى طبقة مصلية مغلفة للعضلات ، وأهميتها أقل من الطبقتين السابقتين .

فماذا يحدث لهذه الطبقات عند المدمنين للخمر ؟

أولا : الكحول كما هو معروف أنه يزيد من نسبة الدهنيات في الدم ، وخاصة نسبة الكوليسترول وإذا زاد الكوليسترول فإنه يترسب في الأوعية الدموية (تحت الغشاء الداخلى المبطن للوعاء الدموى) .



وكما هو واضح من الرسم أن ترسيب الكوليستيرول يؤدى إلى :

١ ـ تصلب في الشرايين الذى يؤدى إلى ارتفاع ضغط الدم .

٢ ـ ضيق في الأوعية الدموية الذى يؤدى إلى تباطؤ في سرعة الدم وترسيب صفائح الدم حيث تتكون الجلطة الدموية . وأخطر ما تكون إذا كانت في القلب حيث تؤدى إلى الوفاة ، أو إذا كانت في الأوعية الدموية التى تغذى فتحدث شللا ، وأما إذا كانت في الشريان الرئيسى المغذى للعين فإنه يحدث العمى المفاجىء .

ثانيا : في الشخص الطبيعى : إذا كان مستلقيا على ظهره وأراد الوقوف فجأة فإنه بتأثير الجاذبية فإن الدم من المفروض أن يتجمع في الأوعية الدموية التى في الأجزاء السفلى من الجسم ، لكن على الفور يقوم الجهاز اللاإرادى بموازنة تلك الحالة فيرسل أوامره إلى العضلات الموجودة في جدار الأوعية الدموية للانقباض حتى تدفع الدم إلى أعلى .

هذه الخاصية تفقد في عدة أمراض من بينها المدمنين على الخمور وذلك لسببين :

أ ـ لتأثير الكحول على الأعصاب اللاإرادية فلا يحدث التأثر الكافي .

ب ـ لتصلب الشرايين الناتج من الكوليستيرول المترسب فيها فلا يحدث الانقباض اللازم وعلى ذلك يبقى معظم الدم في الأجزاء السفلى وينتج عن ذلك عند النهوض من وضع الاستلقاء أن يقل الدم الواصل إلى المخ ويظهر ذلك في صورة الشعور بعدم الرؤية الواضحة لفترة قليلة والدوخة والصداع وقد يؤدى إلى الإغماء .

وهكذا نجد أن تأثير الكحول له مضار متعددة على كل مستوى من مستويات العين سواء على مستوى الأعصاب المخية أو الأعصاب التى تحرك عضلات العين أو الأعصاب اللاإرادية المختصة بالأوعية الدموية .

التسمم الكحولي

للصيدلي حمدي إبراهيم على إبراهيم
بمستوصف الجامعة

« التسمم من الخمور » أو « التسمم الكحـولى » :

ينظر جميع العاملين في مجال الطب والدواء إلى جميع الأدوية على أنها سموم لابد منها ، فهى غريبة عن مواد تركيب الجسم البشرى ، تستخدم بحذر شديد ، وبكميات معلومة ومحسوبة قبل التعاطى ، ويتعاطاها المريض لفترة معينة حتى يبرأ من مرضه ٠

وهذه العقاقير الطبية لها من التفاعلات الجانبية ما يحاول الأطباء والصيادلة منذ القدم في إيجاد حل في ملافاتها أو التقليل منها ، فضلا عن استبدالها كلما أمكن ذلك بعقاقير جديدة أقل في سميتها أو تأثيرها الجانبى ـ وكثيرا ما سمعنا عن تعليمات من هيئة الصحة العالمية بإيقاف استعمال دواء معين ظهرت منه أعراض ومضار ظهرت بعد طول استعماله ، بالرغم من فوائده فى حالات معينة ٠٠ ولذلك فلابد من إيجاد توازن بين الفائدة المرجوة ، والعيوب المتوقعة غير القاتلة أو التى تؤثر على الأجنة داخل أرحام الأمهات ٠٠

وكلما كانت الجرعات القاتلة أو الضارة أكبر بكثير من الجرعات الشافية ، كلما كان الدواء أكثر أمناً في استخدامه ٠

ويتحاشى الأطباء على قدر المستطاع وصف الأدوية ذات الحد السمِّى القريب من جرعاته الشافية ، لسهولة الوصول إلى هذا الحد إما عن طريق القصد أو النسيان ٠

كل هذه الاعتبارات وغيرها توضع موضع الأهمية عند تناول الأدوية التى لا بد منها لعلاج مرض أو للوقاية منه ٠

فهل يمكن تطبيق تلك الأمور على الخمور ؟

وهل يمكن النظر إلى المشروبات الكحولية على أنها دواء لأى داء ؟ ؟

ونستطيع طرح السؤال بمعنى آخر .. هل هناك مرض معين لا يبرأ صاحبه إلا إذا تناول نوعا معيناً من الخمور ؟ للجواب عن هذا السؤال نعرض عدة أمور :

الأمر الأول : أن المواد الكحولية ليست دواء ، وليس هناك ضرورة ملحة لتعاطيها .
الأمر الثانى : أنه ليس للمشروبات الكحولية أية فائدة على الإطلاق .
الأمر الثالث : أن عيوب هذه المواد وسميتها وأعراضها الجانبية تظهر من أول وهلة بل من أول لحظة التقائها مع أنسجة الفم .. فضلا عما تحدثه في الأنسجة الداخلية للجسم .
الأمر الرابع : يدعى مدمنو الخمور أنفسهم بأنهم يتعاطونها من أجل نسيان مشكلاتهم ، فهم يعترفون صراحة بأنها تطمس على عقولهم ، ولا تساهم في حل هذه المشكلات .

والخمور بجميع أنواعها ومسمياتها تحتوى على نسب مختلفة من مادة « الكحول الإثيلى » وهو أحد أفراد « الكحوليات » من المواد الكربوهيدراتية ، أى التى تحتوى جزئياتها على عناصر الكربون والهيدروجين والأكسجين .
وهناك أنواع كثيرة من « الكحوليات » ، ولكن إذا ذكرنا لفظ الكحول منفرداً ، فإننا نعنى « الكحول الإثيلى » $ك_٢ يد_٥ أ يد$.

ويحضر الكحول إما من غاز « الإيثيلين » أحد المنتجات البترولية ، وتعرف هذه الطريقة « بالتخليق الكيماوى » .
أو من تخمر المواد السكرية أو النشوية بفعل أنواع معينة من الخمائر ، في درجة حرارة مناسبة ، ويتصاعد أثناء عمليات التخمر هذه غاز ثانى أكسيد الكربون .
ومن خواص الكحول : أنه سائل رائق شفاف عديم اللون ، رجراج ، طيار ، ذو رائحة خاصة وطعم حار ، وقابل للاشتعال بلهيب أزرق عديم الدخان .
ويستعمل فى الطب : إما كمذيب للمواد العضوية التى لا تذوب في الماء ، أو كمطهر موضعى .

ويجب ان ننوه أيضا أن هناك « الكحول المثيلى » .. وهو أبسط فى تركيبه من « الكحول الإثيلى » فهو يتكون من ذرة واحدة من الكربون « $ك ٣ر. أ يد$ » .. ولكنه أكثر من الكحول الإثيلى فتكا بالصحة .. ولذلك فإنه يضاف إلى الكحول التجارى الذى يستعمل كوقود منزلى وهو ما يطلق عليه بعضهم اسم (السبرتو) يضاف هذا الكحول المثيلى لمنع استعمال (السبرتو) كمشروب كحولى ، ولكنه يستعمل بالرغم من ذلك خاصة وسط الطبقات الفقيرة والتى لا تجد طريقاً إلى باقى الأصناف ..

مرة أخرى .. إذا وضعنا تعريفاً للدواء بأنه المادة المناسبة التى تعطى بكمية مناسبة في الوقت المناسب للمرض المناسب .. فهل من الممكن تطبيق المواد الكحولية بهذا التعريف على أنها دواء ؟ ولنبحث عن المرض الذى يمكن أن تداويه هذه الأشربة · هناك ادعاءات بأن المشروبات الكحولية تعطى شعوراً بالدفء في الليالى الباردة ، وبأنها تزيد في فتح الشهية ، وتقوى الجسم من الناحية الجنسية ·

فهل يحدث هذا حقاً ؟؟ هذه ثلاثة ادعاءات !!

● **أما بالنسبة للادعاء الأول فيحدث الآتى :**

المواد الكحولية توسع الأوردة والشرايين القريبة من سطح الجسم ، فيزداد حجم الدم الواصل تحت الجلد ويحس الشخص بدفء ظاهرى نتيجة لهذا الأمر ، وبعد مدة يفقد الجسم حرارته بالرغم من هذا الشعور ، الأمر الذى تتسبب عنه الوفاة · أجل يموت من البرد بالرغم من إحساسه بالدفء · أليس هذا عجيباً ؟؟

● **والادعاء الثانى الخاص بفتح الشهية :**

هذا أيضا شعور كاذب نتيجة لزيادة إفراز حمض الهيدروكلوريك في المعدة ، ويلى ذلك تهيج في الأغشية المخاطية المبطنة لجدار المعدة ، وتضمر في النهاية ، ويقل إفراز حمض الهيدروكلوريك وتقل الشهية ·

● **وأخيراً فإن الادعاء بزيادة الكحوليات في المقدرة على مزاولة الجنس !!** لا يقل بلاهة عن الأمرين السابقين ، فهى تزيد من الرغبة فقط ، ولكنها تسلب المقدرة ، وتزداد تبعاً لذلك مشاكل الانحلال الخلقى والشذوذ ·

ومن هنا فإننا لا نجد للمشروبات الكحولية أية فائدة صحية أو غير صحية ، فضلًا عن استخدامها كدواء · ولنا أن نعود مرة أخرى لنتعرف عما تحدثه في الجسم من أفاعيل ·

إذا نظرنا إلى مضار المواد الكحولية أو إلى التسمم الكحولى ، فإننا سوف نجد أموراً عجيبة ، ذلك أن لهذه المواد أضراراً موضعية على الأنسجة التى تمر عليها ، وقبل أن تمتص داخل الجسم ، وتسير مع الدم إلى سائر الأنسجة والأعضاء الداخلية ·

فهى تؤثر على الفم والبلعوم والمرىء والمعدة والأمعاء الدقيقة .. كل هذا وعملية الامتصاص لا تتوقف .. ففى الوقت الذى تقاسى فيه المعدة من وجود الكحول داخلها ، تقاسى باقى أجهزة الجسم من جهاز عصبى ودورى وعضلى .. الخ ·

وسوف نقوم إن شاء الله بتفصيل هذه الأمور فيما يلي :

● **في الفم :** يتسبب مرور الكحول في الفم في حدوث التهابات ، وإصابات فطرية ، وتتصاعد منه الروائح الكريهة ، وتقل المقاومة الطبيعية ، وتتحول الميكروبات غير الضارة والموجودة بصفة عادية في الفم إلى ميكروبات ضارة تسبب التهابات خطيرة ، ترتفع فيها درجات الحرارة ، ويصعب معها البلع ، وقد يصل الأمر إلى مرحلة السرطان .

● **في المرىء :** تحدث انتفاخات يتسبب عنها نزيف دموى ، وينتهى إلى قرحة مزمنة وهذه الأمور يتسبب عنها القىء ، وإذا حدث القىء ، حال السُكْرِ البيِّن ، فان الشخص يفقد القدرة على التحكم ، وتصل هذه المواد إلى القصبة الهوائية والرئتين ، الأمر الذى ينتج عنه التهابات أو اختناقات تصل به إلى الموت .

● **في المعـــدة :** تتهيج الأغشية المخاطية ، وتزداد إفرازات حمض الهيدروكلوريك ويشعر شارب الخمر بأن شهيته للأكل قد ازدادت ، ولكن بعد هذا الشعور عندما تصل الأمور إلى حد الالتهاب ، يقل إفراز هذا الحمض الهام ويفقد الشهية ، وتظهر بثرات حمراء في جدران المعدة ، وتمتلىء بعد ذلك بالصديد وتضمر المعدة .

● **في الاثنى عشر وبقية الأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة :**

لا يختلف الأمر عما يحدث في المعدة ، تهيج في الأغشية المخاطية ، واحتقان وتقرح ، ينتج عنها نوبات متتالية من الإسهال والإمساك .

وتقل المقدرة على الامتصاص للمواد الغذائية ، ويصاب الجسم بأمراض سوء التغذية ونقص كثير من الفيتامينات الهامة ، يصل به إلى الانيميا الخبيثة والبلاجرا ، هذا بالرغم من وجود الغذاء ـ إذا وجد ـ فضلا عن فقد الشهية أصلا .

هذه المضاعفات السالفة الذكر تحدث من مجرد مرور الكحول على هذه الأنسجة فماذا يحدث داخل الأنسجة والخلايا بعد الامتصاص ؟

أولا : تأثير الكحول على الخلية :

ـ تفقد النواة سيطرتها على الانقسام والتكاثر ، ولن يتم تجديد الخلايا أو تعويض ما يفقد منها .

ـ تتأثر « الكروموزومات » وهى التى تحمل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء وتكون الأجيال اللاحقة لديها استعداد لكثير من الأمراض والتغييرات في الصفات ، وبذلك لا نجد تأثير الكحول على المدمن للخمر فحسب ، ولكنه يمتد إلى أبنائه الأبرياء من بعده .

ثانيا : تأثير الكحول على الكبد :

الكبد هو أكبر غدة في جسم الإنسان . ويعتبر أعظم معمل كيماوى في الوجود فما من مادة يتناولها الإنسان إلا وتمر على الكبد . فهو يقوم بأهم عمليات الأيض الغذائى وتكوين مادة الصفراء . وتطويع المواد السامة الناتجة من هضم المواد الغذائية إلى مواد غير سامة يمكن إخراجها عن طريق الكليتين .. ويقوم بعمليات تطبيع الأدوية وتكوين المواد الأساسية لايجاد عديد من الهرمونات .. والمحافظة على نسبة السكر في الدم .

فماذا يحدث لو فشل الكبد في تكوين خلايا جديدة بدل المستهلكة نتيجة لتأثير الكحول ؟

ماذا يحدث لو تجمعت المواد الدهنية بدون تمثيل ، أو المواد الناتجة عن الأيض الغذائى للبروتينات والأدوية ؟

ولذلك فإن تأثير بعض الأدوية العادية بجرعاتها المقررة يزداد زيادة مطردة . مما قد يؤثر تأثيراً ضاراً على الكبد مرة أخرى بدلا من أن يبرأ الجسم من مرضه .

وكما يفشل الكبد في عمليات « الأيض الغذائى » يفشل أيضا في إنتاج المواد اللازمة لتجلط الدم في حالة الجروح .. مما يسبب للمريض نزيفاً مزمناً تتفاوت خطورته على حسب حالة الكبد .

تتحطم الكرات الحمراء نتيجة لتضخم الطحال ، وتكون من نتائجه مرض الصفراء ، علاوة على الإصابة بالأنيميا .

ومن العجيب أن تكون مصادر الإصابة بفقر الدم نتيجة لقصر عمر الكرات الحمراء ، وفي نفس الوقت تقل المدد من الخارج لتعويض ما يفقد منها لسوء التغذية لقلة الشهية وضعف الامتصاص من الأمعاء .

ثالثا : تأثير الكحول على الجهاز العصبى :

ماذا لو تأثرت وسيلة التحكم الإرادى واللاإرادى في الانفعالات والتفكير واتخاذ القرارات أو تحويل الاتجاه ؟؟

كيف يكون انتقال المؤثرات الصوتية والسمعية والبصرية إلى جهاز أصيبت خلاياه بالضمور والتآكل .؟

واذا كانت الأعصاب هى المسئولة عن إفرازات اللعاب والإنزيمات لهضم الغذاء في المعدة والأمعاء « وهى المسئولة عن التحكم في فتحات الإخراج »

فماذا يحدث لو أصيب هذا الجهاز بالشلل أو القصور ؟

لنتصور حياة إنسان فقد القدرة على التحكم في إظهار عواطفه ، فهو يبكى في وقت الفرح ، ويقهقه سعيداً عند حلول المصائب .

يثور من أجل التافه من الأمور ، ويشك في أقرب المقربين اليه .

والنتيجة الحتمية هى تحطم الشخصية وتفكك الإرادة ، وأخيراً الانتحار ، والحركة الإرادية واللاإرادية تتوقف على تأثير الجهاز العصبى ، وإذا اختل هذا النظام ، فكيف يكون المشى والجلوس أو القيام ؟

والجهاز العصبى ما له من سيطرة كاملة على باقى الأجهزة ، فإن أى خلل منه أو تصدع إنما تظهر نتيجته على باقى هذه الأجهزة ، فيتأثر الجهاز التنفسى والجلد ووسائل الدفاع الطبيعية ضد غزوات الميكروبات ، علاوة على الاضطرابات في الغدد والهرمونات وإدرار اللبن للطفل الرضيع إذا كانت الأم تتعاطى مثل هذه المشروبات الروحية .

رابعا : تأثير الكحول على الجهاز الدورى :

فضلا عن تضخم عضلة القلب وقصوره تزداد نسبة« الكولسترول » نتيجة لاضطراب عمليات الأيض الغذائى للمواد الدهنية في الكبد . وهذه المادة هى المسئولة عن تصلب الشرايين والجلطة ..

بذلك تفقد الأوعية الدموية مرونتها في الانقباض والانبساط ، وتقل القدرة على المواءمة في حالة الشخص المدمن ما بين قيام أو قعود ، مما قد يتسبب عنه حدوث إغماءات لنقص حجم الدم الواصل إلى المخ .

وإذا كان الكحول كأى مادة كربوهيدراتية تنتهى عملية الأيض الغذائى لها إلى ثانى أكسيد الكربون وبخار ماء ويتولد عنها طاقة حرارية ، فهذه الطاقة الحرارية .. قليلة جداً بالقياس إلى الطاقة الناتجة عن كمية مماثلة من السكر أو النشاء مثلا ، ليس هذا فحسب ، ولكن هذه الكمية من الكحول ، تحتاج في عملية « التمثيل الغذائى » إلى كميات مضاعفة من فيتامين ب١

وأنى للجسم بهذا الفيتامين الهام وسوء التغذية وعدم القدرة على الامتصاص من الأمعاء أمران سبق التنويه عنهما ؟

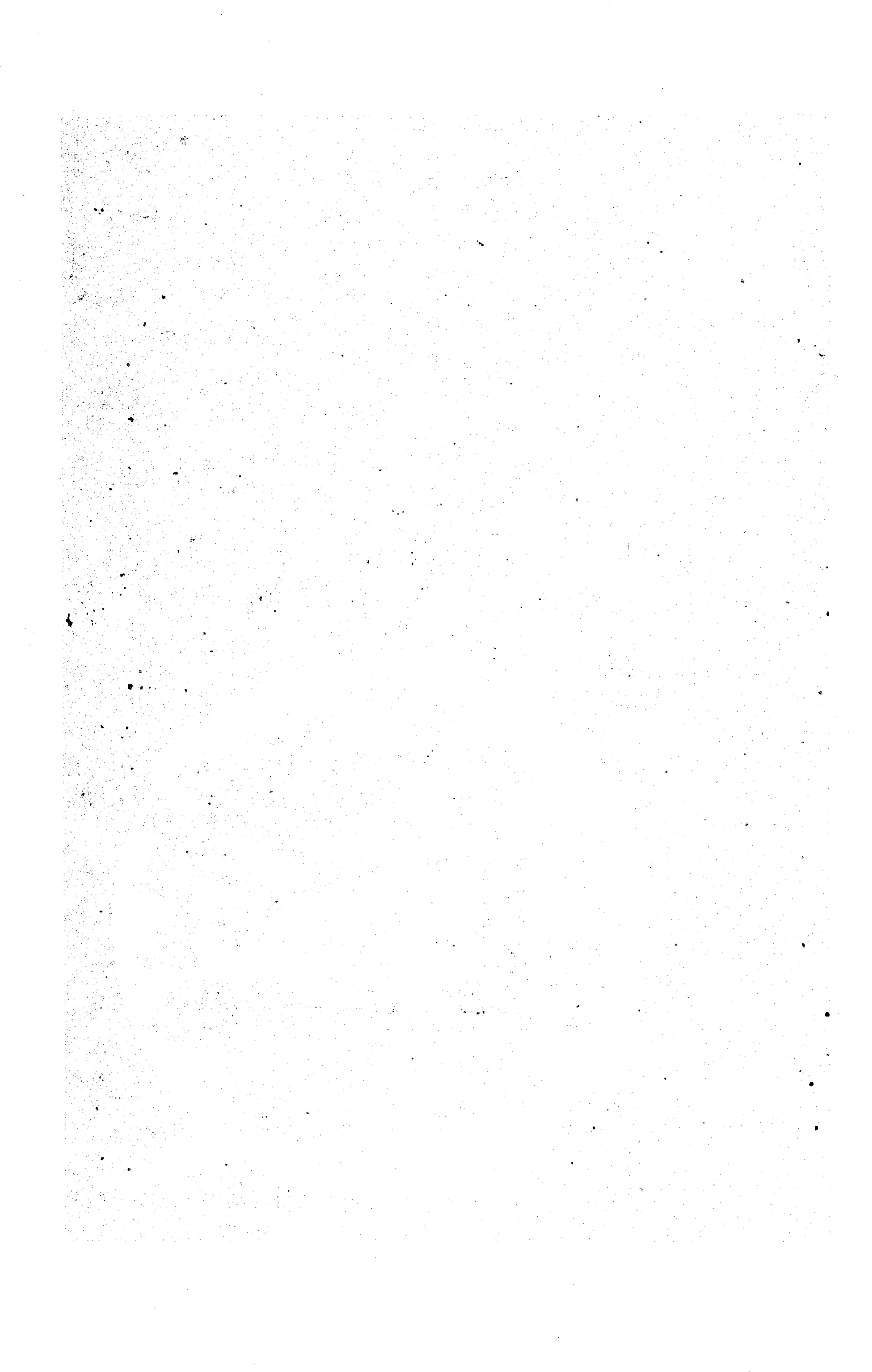
وبذلك يضاف مرض جديد إلى قائمة الأمراض وهو « البرى برى » .

هذه لمحة سريعة عما يحدثه الكحول من أضرار بشاربيه وهو ممسك بخناقهم لا يستطيعون منه فكاكاً لو وصلوا إلى حالة « الإدمان » .

يقول الدكتور كيث بول إن بريطانيا خسرت مليون إنسان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بسبب تدخين السجائر ، وستخسر مليونا آخر قبل نهاية هذا القرن إذا استمر الحال ولم يتغير ٠

وأعلن وكيل وزارة الصحة الأمريكى أن عدد الذين يموتون في الولايات المتحدة سنوياً بسبب التدخين يقدر بنحو (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ألفاً ٠

قدرت زيادة أيام التعطل عن العمل وملازمة الفراش في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب التدخين بـ (٧٧) مليون يوم عمل ، و (٨٨) مليون يوم في ملازمة الفراش ، و (٣٠٦) مليون يوم من العمل المحدود ، وبالتالى الانتاج المحدود ، وفي الرجال المدخنين مادون الأعمار (٤٥ ـ ٦٤) سنة تمثل نسبة التعطيل وملازمة الفراش بسبب التدخين ٢٨ ٪ من مجموع أيام التوقف عن العمل ٠ ويزيد الطلب على الخدمات الطبية في المشافي والعيادات الخارجية ويخسر المجتمع من الموت المبكر للناس الذين هم في سن العمل والإنتاج ٠



ـ لأول مرة : تقرير علمي صريح . التدخين يسبب السرطان ـ

فيما مضى أعلن العلماء والأطباء كثيرا من التصريحات المبهمة حول موضوع التدخين وعلاقته بالسرطان ، فكل ما نشر وأذيع خلال السنوات القليلة الماضية أجمع على أن التدخين (**قد**) يكون سبباً في الإصابة بسرطان الرئة .. ولم يدمغ التدخين إدماغاً قاطعاً بأنه المسبب الأول للسرطان . حتى أن التحذير المكتوب على علب السجائر ينهى بأن السجائر ضارة بالصحة (**وقد**) تكون سبباً في الإصابة بالسرطان .

الآن ، ولأول مرة ، نقلت وكالة « الاسوشيتدبرس »على لسان الطبيب الجراح العالمى إيفرت كوب أن التدخين هو **فعلا المسبب الرئيسى لسرطان الرئة والحلق والبلعوم** علاوة على أنه قد يلعب دوراً هاماً في الإصابة بسرطان المثانة والكلية والبنكرياس .

وهذا هو أعلى مركز يقوم بتوفير خدمات صحية للمواطنين في أمريكا ، ويهيمن على عمل أكثر من نصف مليون موظف حكومى هدفهم إيجاد توصيات ومقاييس ومعايير خاصة تعنى بشئون الصحة العامة للأفراد .

وجاء في التقرير أن سرطان الرئة هو المسؤول عن وفاة نحو ٨٥ ٪ من حالات السرطان في أمريكا .. وكان من الممكن تحاشيه إذا ابتعد الناس عن التدخين ، ومما يثلج الصدور أن سرطان الرئة هو مرض يمكن الوقاية منه بمجرد الابتعاد عن التدخين . ويشير كوب في تقريره الهام إلى نتائج بعض الدراسات السابقة بقوله : إن هذه النتائج تجمع على أن هناك ما يقرب من ٢٢ إلى ٣٨ ٪ من مجموع وفيات السرطان بأنواعها المختلفة سببها الرئيسى الإدمان على التدخين ، كما يشير التقرير إلى أن المدخنين يتعرضون إلى الوفاة مبكراً وهم صغار السن بنسبة أعلى من غيرهم غير المدخنين ، هذا إذا ما عرفنا أن السرطان أصبح الآن مسؤولاً عن وفاة نحو ٤٣٠ ألف نسمة في أمريكا هذا العام بالمقارنة إلى ٤١٢ ألف نسمة في عام ١٩٨٠ .

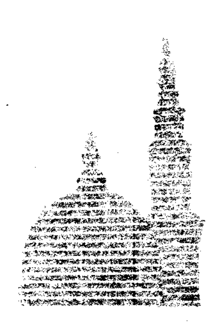
ويشير تقرير كوب أيضاً إلى أنه ليست هناك ثمة أدلة وبراهين مؤكدة على أن استنشاق دخان السجائر من غير المدخنين له أثر ملموس في إصابتهم بسرطان الرئة · ومع هذا فهذه المسألة قد لا تخلو من الأخطار الصحية الأخرى ، وأضاف كوب قائلا : إن معدل وفيات المدخنين قد وصل الآن إلى ضعف معدل وفيات غير المدخنين الرجال ، بينما زادت هذه النسبة بين النساء المدخنات بمعدل ٣٠ ٪ فقط ·

ويضيف التقرير بأن هناك علاقة مؤكدة الآن بين عدد السجائر التى يدخنها المدخنون يومياً ومعدل وفياتهم بسبب الإصابة بالسرطان · فكلما زاد عدد السجائر المستهلكة ، وزادت سنوات الادمان ، كلما زاد الاحتمال بالإصابة ·

أما مدخنى السيجار والغليون فقد يكونون أفضل حالا من مدخنى السجائر ، فهم ولو أنهم أقل احتمالا من الاصابة بسرطان الرئة بالمقارنة بين مدخنى السجائر ، الا أنهم لا يسلمون من بقية المخاطر المحدقة بهم وعلى وجه الخصوص سهولة إصابتهم بسرطان الفم والحلق ، أما استنشاق « النشوق » أو « السعوط » ، فهو من أهم أسباب الإصابة بسرطان اللثة والفم ، والجدير بالذكر أن هذه النتائج التى جاءت في التقرير تنافي تماماً النتائج التى توصلت اليها بعض شركات الدخان التى أجمعت فيما بينها ، في عدة تقارير رسمية ، على أنه لا توجد علاقة مؤكدة بين التدخين والسرطان ·

ويفيد تقرير الطبيب الجراح العام أيضا إلى أنه في العام ١٩٧٥ ، وهو العام الذى لديهم فيه احصائيات متكاملة ، تسبب سرطان الرئة في صرف ما يقرب من ٣٧٩٫٥ مليون دولار تكلفة ومصاريف المستشفيات ، ونحو ٧٨ مليونا تكلفة أتعاب الأطباء المعالجين ·

(الشرق الأوسط)



التدخين والصحة

تدمغ الدلائل الطبية والعلمية بشكل قاطع التدخين على أنه سبب أمراض متنوعة وفي زيادة نسبة الوفيات منها · وتتفاوت نسبة الضرر من تدخين السيجارات حسب طول أو قصر مدة التدخين وحسب كمية السجائر المستهلكة فكلما زاد التدخين كماً وزمناً كلما كبر حجم الضرر الحاصل عضوياً ونفسياً واقتصادياً على مستوى الفرد والجماعة والدولة ومداواة هذه الأضرار والعلل لا يكون بالعلاج بل بالوقاية

والعالم الثالث كله معرض الآن (للاستعمار السجائرى) كما قال أحد الظرفاء ، إلا أن الشركات الاحتكارية ، رغم سطوتها ونفوذها ومالها الحرام ، هى في موقف الدفاع أمام الحقائق الدامغة · وزراعة وصناعة وتجارة التبغ ليست عملية اقتصادية ـ اجتماعية رابحة على المدى الطويل رغم الاستفادة المادية الظاهرة الآن في بعض البلدان من هذه النشاطات وانخداع ـ أو فساد ضمائر ـ بعض المسؤولين في العالم الثالث· بها والطريف في الأمر أن شركات التبغ الكبرى هى الآن مثل الجيش المنسحب الذى يحرق في طريق تراجعه كل شيء ولقد بدأت فعلا هذه الشركات في تنويع استثمارات ووضع رؤوس أموالها في ميادين أخرى غير التبغ خوفاً من المستقبل وحَرِيٌّ بالمسئولين المخدوعين أو المتواطئين أن يفعلوا نفس الشيء ·

وتتناقض مصالح المواطنين مع مصالح الحكومات في هذا المجال عندما ينظر بعض المسؤولين إلى الأمر من زاوية مادية ضيقة ففرنسا مثلا ربحت (٧) مليارات من الفرنكات ، حوالى ١٥٠٠ مليون دولار أمريكى عام ١٩٧٨ م بينما لم تصرف على حملة مكافحة التدخين في العام نفسه إلا مليونين ونصف من الفرنكات فقط · وفي مثل هذه الحالة يعمى المال أبصار الماديين حتى أبصار بعض من يدعون شفاهة (فقط) تفضيل القيم الروحية والإنسانية على المادة ـ وهكذا يتذرع بعض المسؤولين باستحالة معالجة مشكلة التدخين حتى لا ينهار الاقتصاد ·

وفي بلادنا الإسلامية يجب البدء فوراً بالمنع التام لأى نوع من أنواع الدعاية والإعلان للتبغ والسجائر ثم منع التدخين في الأماكن العامة ونشر التثقيف الصحى على أوسع مدى وتركيزه على الناشئة ـ بخاصة ـ ولكن الخطوة الأولى الهامة التى قد تختصر كثيراً من الخطوات التالية وتلغيها هى :

أن يتربى أبناؤنا تربية إسلامية واعية والمؤمن ذو البصيرة لا يؤذى غيره فلا ضرر ولا ضرار في المجتمعات الإسلامية الحقة ولا يتربى أبناؤنا على ذلك إلا إذا كنا مؤمنين واعين نضرب لهم المثل الطيب في أقوالنا وأعمالنا في بيوتنا ومدارسنا ومزارعنا ومتاجرنا ومصانعنا وأماكننا العامة .

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه .

(مجلة الأمة القطرية)

ـ إرتفاع عدد مدمنى الهيروبين بين أوساط المراهقين الانكليز ـ

كشفت أرقام وزارة الداخلية البريطانية أن عدد مدمنى الهيرويين في بريطانيا تضاعف خلال العام الماضى .

جاء ذلك في صحيفة غارديان التى قالت أن عدد المدمنين المتوفر . لدى وزارة الداخلية للعام ١٩٨١ بلغ ألفين وثلاثمائة شخص وهذا يعنى زيادة مقدارها ٤٥ ٪ مقارنة مع أرقام العام ١٩٨٠ التى كانت ١٦٠٠ شخص .

وجدير بالذكر أن الزيادة في عدد المدمنين خلال الأعوام العشرة الماضية لم تكن تتجاوز السبعة في المئة في السنة . وتعزى وزارة الداخلية الأسباب في الزيادة الحادة الجديدة إلى توفر الهيرويين في كثرة وهبوط سعره والبطالة بين صفوف الشباب .

وقال مايك تريسترام المسؤول في مجموعة التخلص من المخدرات أن الهيرويين يساعد أكثر من غيره الإنسان على الهروب من الواقع . والشباب يقبلون على تناوله بأعداد كبيرة لأنه متوفر من خلال عمليات التهريب المتزايدة .

وقال دافيد تيرنر عضو مؤتمر سوء استخدام المخدرات : « ان الوقت يمر بسرعة وإذا لم يتم اتخاذ الإجراءات اللازمة فان الموت سيكون مصير المدمنين » .

ودعا تيرنر سلطات الخدمات الصحية المحلية إلى اتخاذ اجراءات فورية لمواجهة الإقبال على الهيرويين .

وعلى صعيد آخر قالت الصحيفة ان سعر الهيرويين هو ٧٠ جنيها للغرام الواحد وهذا يساوى نصف سعر الغرام في العام ١٩٧٨ ، فقد بدأ سعر الهيرويين بالهبوط قبل ثلاث سنوات عندما تم تهريب كميات كبيرة منه من إيران ، وتعتبر مناطق الشرق الأقصى في الوقت الحاضر المصدر الرئيسى للهيرويين .

وقد انعكست الزيادة في تهريب المخدرات في الكميات التى وضعت الشرطة أيديها عليها خلال السنتين الماضيتين .

وقال تريسترام « ان مشكلة الهيرويين ليست مشكلة شباب المدن فحسب فقد وصلت إلى المقاطعات الصغيرة وهناك أعداد كبيرة من المدمنين في هذه المقاطعات ، والمشكلة أن العيادات المعدة لمعالجة المدمنين قائمة فقط في لندن إلى جانب بعض العيادات الأولية في المدن الأخرى

وقال إن الهيرويين أصبح شعبياً بين المراهقين دون العشرين من أعمارهم » .

وأضاف « أن على الحكومة أن توجه السلطات الصحية وهيئات الشؤون الاجتماعية في عمليات مواجهة المشكلة » ، وذلك عن طريق إيجاد مبادرات جديدة .

(الشرق الأوسط)

أولا : أضرار المسـكرات على الأسـرة :

ان رب الأسرة عندما يتعاطى المسكرات ، فانه يقضى أكثر أوقاته في شرب الخمر ، متنقلا في محلات بيع المسكرات ومحلات الشرب الخاصة ، وينسى أن له زوجة وأولاداً هو مسؤول عن إعاشتهم وتربيتهم تربية صالحة قويمة ، ليكونوا عنصراً صالحاً في المجتمع ، الأمر الذى يجعلهم ينشأون نشأة بعيدة عن الكمال والصلاح ، ولعل هذا الأمر يؤدى ببعضهم إلى الانزلاق بطرق المعصية والفساد ، فيسوء الحال ويؤدى بالتالى إلى فقدان الأمن ٠

وقد ينساق أولاد مدمنى الخمر إلى تقليد آبائهم والتشبه بهم ، لأن الوالد يسرف في إهمال أولاده ولا يعمل على تربيتهم تربية صالحة ، بل لعله يشجعهم على تعاطى المسكرات ، فينشأون نشأة سيئة ، ويكونون تحت تأثير الوسط الذى يعيشون فيه ، وبالنهاية يكون مصيرهم إلى الجهة التى تتلقفهم ، ومثل هذه الأسرة سيسيطر عليها الشذوذ بالتفكير وتسودها الأخلاق السيئة ، وبالتالى سيكونون تحت ضغط شهواتهم وأهوائهم ٠

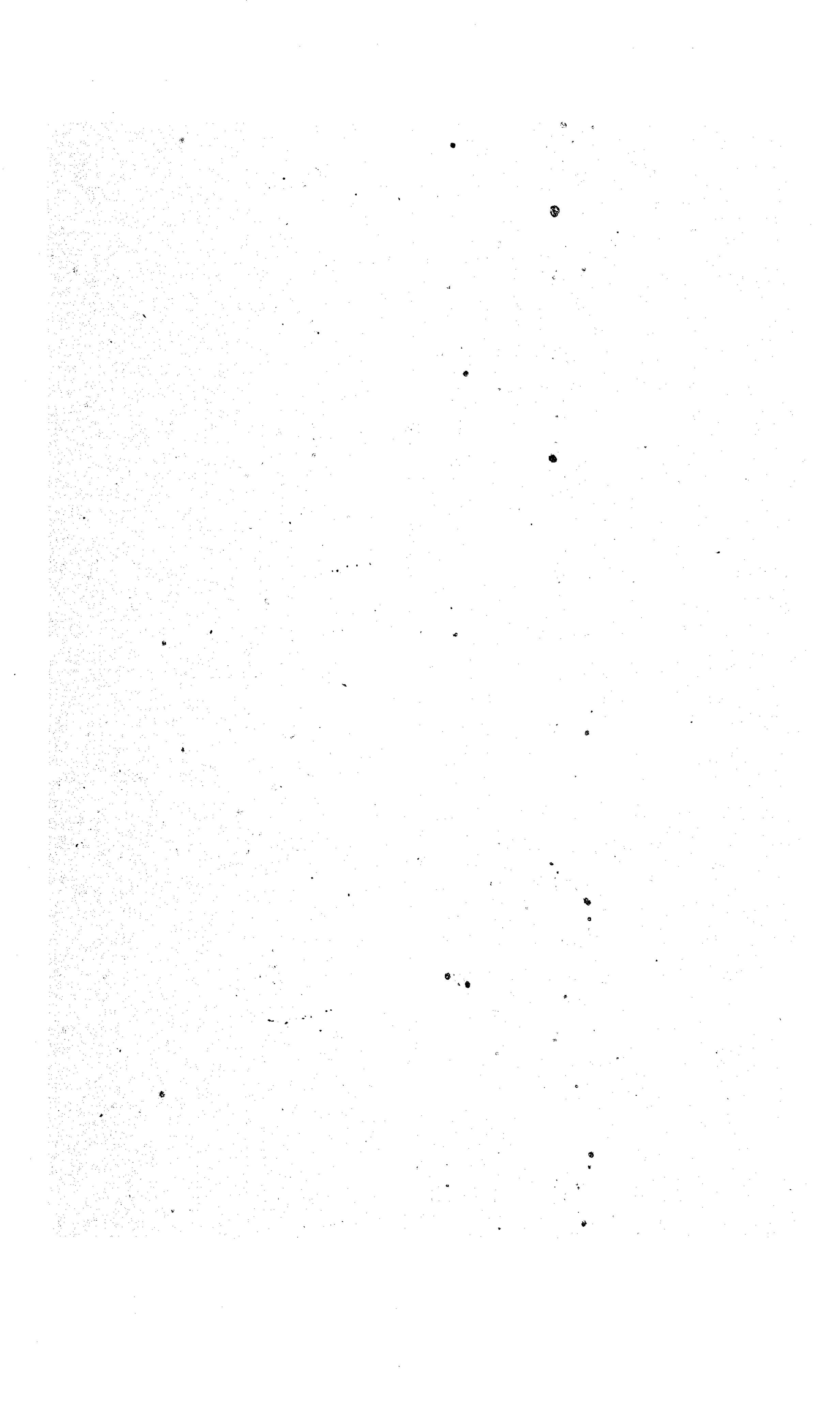
ثانيـا : تأثير المسكرات في الأخلاق :

ان المسكرات تهدم الشخص وتحطمه ، فتجعله لا يشعر بالواجب الملقى على عاتقه تجاه دينه ووطنه وأسرته ، فتخسره بلاده ويصبح عضواً عاطلا لا نفع فيه ولا خير ٠

فالسكير لا يعرف الخير ليعمله ، لأن الخمر قد أحدثت خمولا شديداً في جهازه العصبى حيث تنتقل عنده المشاغل ويذهب قلقه ، ويخف توتر أعصابه ، فيحصل عنده ابتهاج وقتى يزول عند زوال تأثير الخمر وعندها تبدأ آلامه ومشاغله بالظهور ، فيلجأ ثانية إلى شرب الخمر للتهرب من الواقع الذى هو فيه ٠

وما دام هذا حاله فانه لا يتورع من ارتكاب المعاصى والجرائم لأن السكر يمنعه من التفكير السليم ويجعله بعيداً عن نداء الروح ، ولا يشعره بالعذاب الوجدانى وتأنيب الضمير ، كما لا يحس بالندامة على عمله ليندم ، فأصبح هذا المسكر معولاً هداما للأخلاق ، لأنه جعل من السكير إنسانا خطراً على المجتمع ، وغالبا ما يفقد السكير ثقته بنفسه فتضيع الرابطة بينه وبين من يعول والمجتمع الذى يعيش فيه فيصبح لا يهتم بأمورهم ، بل كل همه نفسه ٠

(مجلة التربية الإسلامية)





أخبار الجامعة

في سبيل الدعوة إلى الله

١ ـ رحلة فضيلة الدكتور عبد الله الزايد إلى باكستان

زار الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الإسلامية جمهورية باكستان الشقيقة في رحلة عمل استغرقت شهرا ٠

تصريحات فضيلته حول هذه الزيارة :

وقد صرَّح فضيلته لمندوبى الصحف عقب عودته من هذه الرحلة تصريحات هامة جاء فيها :

ـ إن هذه الرحلة كانت بدعوة من فخامة الرئيس الباكستانى ضياء الحق ٠ وبموافقة من صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية وذلك لوضع حجر الأساس لكلية الملك فيصل للدراسات الإسلامية والعربية بمدينة فيصل آباد نيابة عن سموه ، ولزيارة بعض المدارس والجامعات هناك ٠

ـ **وقال فضيلته :** بعد أن قمنا بوضع حجر الأساس لكلية الملك فيصل نيابة عن صاحب السمو في الاحتفال الرسمى الذى أقامته جامعة « تعليمات إسلامية » بهذه المناسبة ، قمنا حسب خطة وبرنامج معد بلقاءات متعددة مع قيادات التعليم والشريعة لأكثر من

خمسين مدرسة وجامعة إسلامية شملت أكثر من خمس عشرة مدينة في ثلاث من ولايات باكستان ، وقد تدارسنا مع المسؤولين عن التعليم مناهج الدراسات الإسلامية والعربية · وأكدنا على أهمية القدوة في تثبيت التربية الإسلامية في مناهج التعليم في مختلف مراحله ·

ـ **وقال فضيلته** : إن من أهم تلك اللقاءات ، تلك الاجتماعات التى تمت مع قضاة باكستان الذين تقام لهم دورات تدريبية لتعميق الدراسات الإسلامية تمهيدا لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في باكستان ·

لقاء مع فخامة الرئيس الباكستانى :

وقال فضيلته : وقد شرفت بمقابلة الرئيس ضياء الحق وقد أكد فخامته بأنه ماض قدما بإذن الله لتأسيس المرتكزات الصلبة لتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع شؤون الحياة

بباكستان · تلك المرتكزات التى تضمن ألا يتأثر تطبيق الأحكام الشرعية بتغير الأشخاص · ولا بتغير الظروف ومرور الأزمان بإذن الله ·

لقاء مع جماعة أهل الحديث وتعريف بهم :

وقد التقى فضيلة الدكتور الزايد في هذه الرحلة إلى باكستان بجماعة أهل الحديث وترأس مؤتمرهم العام · وقد عرف فضيلته جماعة أهل الحديث بأنهم تجمع واسع في باكستان يضم عشرات الألوف من خواص الشعب الباكستانى وعامته وينطلقون في فهم الأحكام الشرعية عموما من مفاهيم الحديث الشريف من خلال فهم شراح الحديث وعلمائه المتقدمين والمحدثين · ولا يرضون أن ينتموا إلى مذهب معين ·

٢ ـ دورة تدريبية للقضاة الباكستانيين في الجامعة الإسلامية

وصل إلى الجامعة الإسلامية في أول شهر جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ ستة وثلاثون قاضيا من باكستان لتلقى دورة تدريبية بدأت يوم السبت الموافق ٤ من جمادى الأولى ·· وذلك إعداداً لهم على الحكم بالشريعة الإسلامية التى تعتزم باكستان تطبيقه في أقرب فرصة ·

وقد التقى فضيلة الدكتور عبد الله الزايد بأصحاب الفضيلة القضاة الباكستانيين في كلمة ترحيبية تناول فيها دور القاضى الذى لا تقف مهمته عند ساحة المحكمة بل تتعداها إلى قيامه بالدعوة إلى الله بعلمه وسلوكه في المجتمع كله ·

٣- وفود إسلامية فى زيارة الجامعة

● **من تونس :**

في أوائل شهر ربيع الثانى زار الجامعة الإسلامية وفد من الأدباء التونسيين المدينة المنورة على ضيافة النادى الأدبى ، وقد زار هذا الوفد الجامعة الإسلامية ، وقد التقى فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بهذا الوفد ورحب بهؤلاء الأدباء ضيوفا في المملكة وعرفهم بالجامعة الإسلامية ، نشأتها وتطورها وأهدافها وبحث معهم أوجه التعاون بين الجامعة الإسلامية والجامعات الإسلامية المماثلة فى العالم الإسلامى ·

● **من باكستان ونيجيريا :**

كما زار الجامعة في منتصف ربيع الثانى ١٤٠٢هـ فضيلة الشيخ طفيل أحمد أمير الجماعة الإسلامية في باكستان على رأس وفد باكستانى ·

كما زار الجامعة الدكتور عمر جاه الأستاذ الزائر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وتأتى زيارة الدكتور عمر في إطار بحث المساعدات التى تقدمها الجامعة الإسلامية لجامعة بايرو بنيجيريا والجماعات الإسلامية في منطقة غرب إفريقيا · وتناقش مع فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة حول الدورة التدريبية التى تقيمها الجامعة في إجازة الصيف لتدريب معلمى اللغة العربية والتربية الإسلامية في نيجيريا ·

● **ما تقدمه الجامعة الإسلامية من مساعدات هو جزء من رسالتها :**

وصرح فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة لمندوب جريدة المدينة ونشر في عددها الصادر يوم ٢٠ ربيع الثانى بأن الجامعة الإسلامية ترحب بجميع زوارها من جميع أنحاء العالم الإسلامى · وتعتبر ما تقدمه من مساعدات جزءاً من رسالتها في خدمة الإسلام والمسلمين ·

● **ومن الهند والجزائر :**

وفي آخر شهر ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ زار الجامعة الشيخ كاكا محمد عمر أمين عام جامعة دار السلام بالهند ·· والتقى بالدكتور عبد الله الزايد وبحث معه أوجه التعاون بين الجامعة الإسلامية وجامعة دار السلام ·

كما زار الجامعة وفد ممثل لوزارة التعليم العالى بالجزائر ضم كلا من الدكتور

بو عمران الشيخ · والدكتور عبد القادر حليمى والدكتور محمد العساكر الأساتذة بجامعة الجزائر والتقى هذا الوفد بالدكتور الزايد وجرى بحث التعاون الثقافى بين الجامعتين ·

● **الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامى :**

كما زار الجامعة الدكتور أحمد با حفظ الله الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامى ، وتباحث مع الدكتور عبد الله الزايد في شئون الشباب الإسلامى ـ وما يتعلق بأنشطة الندوة وما يخص الجامعة الإسلامية فيما يرفع شأن الدعوة في أوساط الشباب وفي موضوعات مختلفة حول الدعوة والدعاة ودور الجامعات وخريجيها ومنسوبيها في شئون القضايا الإسلامية التى تهم الشباب الإسلامى ·

٤ ـ جامعة إسلامية في كوريا

قد زار الجامعة الإسلامية في نهاية شهر صفر ١٤٠٢ هـ الدكتور أبو بكر كيم من قادة الحركة الإسلامية العاملة في سبيل نشر الإسلام في كوريا الجنوبية وجنوب شرق آسيا · وكان برفقته الدكتور أحمد يوسف المنتدَب من كوريا في وظيفة باحث في شئون الأقليات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز بجدة ·

وجاءت زيارة الدكتور أبي بكر كيم للجامعة الإسلامية في إطار بحث الحركة الإسلامية في جنوب شرق آسيا عن الوسائل التنفيذية لإقامة جامعة إسلامية في جمهورية كوريا الجنوبية على نفقة المملكة العربية السعودية بإنشاء مبانيها ثم إدارتها وإمدادها بكل وسائل الدعم المادى والمعنوى ·

وقد التقى هذان الضيفان بفضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الإسلامية ، وقد تباحث معه الضيفان طلبا لمشورته وتوجيهاته في مجال التربية والتعليم وشئون الجامعات وشئون الدعوة الإسلامية ·

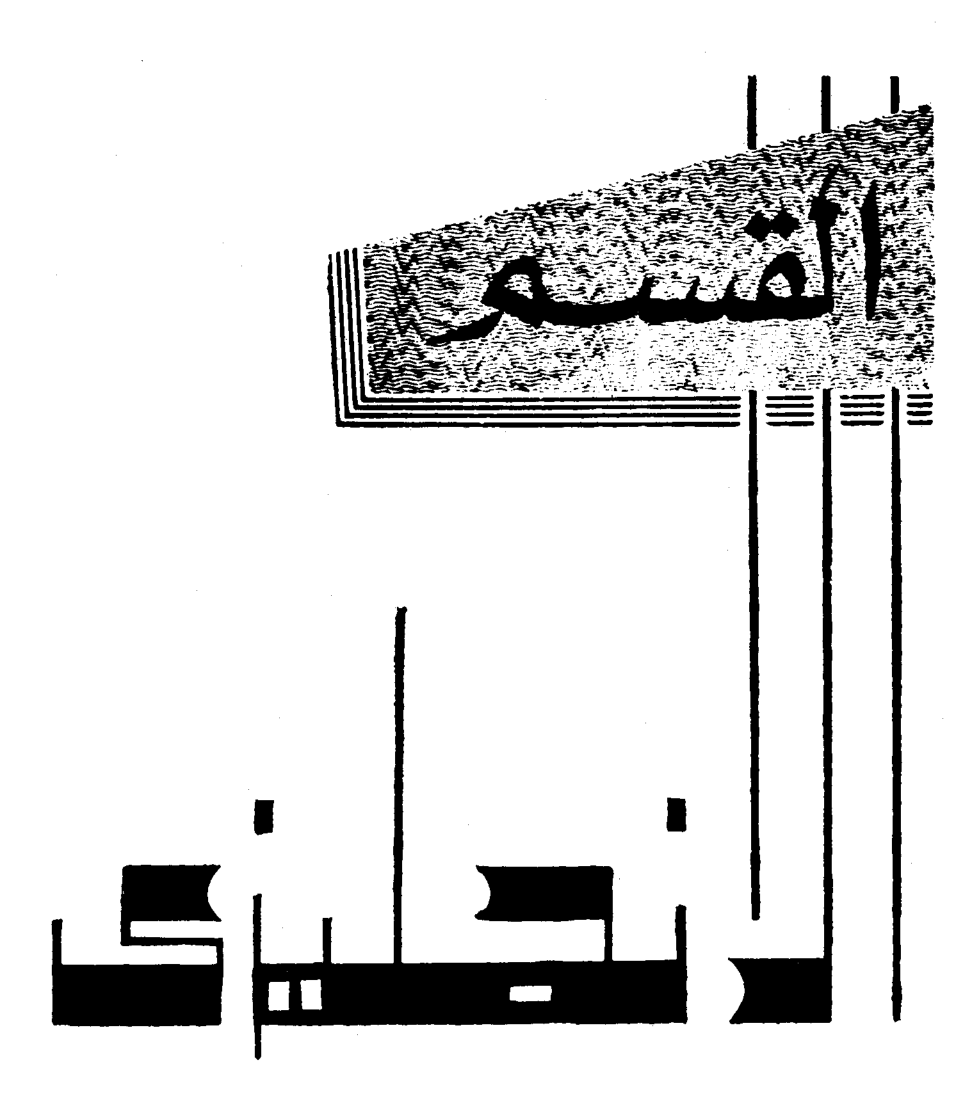
وفي معرض الحديث عن فكرة إنشاء جامعة إسلامية في كوريا الجنوبية قال فضيلته : إن فكرة إقامة جامعة إسلامية في كوريا جاءت ثمرة لزيارة صاحب السمو الملكى الأمير نايف ابن عبد العزيز لجمهورية كوريا الجنوبية عام ١٩٧٩ م · وقد وعد سموه بتبنى المملكة فكرة إقامة الجامعة الإسلامية هناك وتتولى إدارتها وتقوم بتدعيمها بكل وسائل الدعم ·

«إعداد : الشيخ محمود سالم»

محتويات العدد

الموضوع		الصفحة

محتويـــات العــــدد


القسم

(Do you intercede in a limit among the limits given by Allah ?

Then he got up and addressed the people saying, O people ! The nations before you went astray because if a noble person committed theft they used to leave him, but if a weak person among them committed theft they used to inflict the legal punishment on him. By Allah, if Fatima, the daughter of Muhammad committed theft, Muhammad will cut off her hand).

The following Prophetical sayings give a glance at the bad consequences of using intoxicants, in this life and Hereafter :

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » .

(صحيح البخارى)

(The Prophet said : An adulterer, at the time of committing adultery is not a believer; and a person at the time of drinking intoxicating drinks, is not a believer; and a thief, at the time of stealing is not a believer).

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : من شرب الخمر في الدنيا ثمّ لم يَتُب منها حُرِمَها في الآخرة » .

(صحيح البخارى)

(The Prophet said : whoever drinks intoxicants in this world and does not repent, will be deprived of it in the life Hereafter).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم :
« من أشراط الساعة أن يظهر الجهل ويقلّ العلم ، ويظهر الزنا ، وتشرب الخمر ...... » .
(صحيح البخارى)

(The Prophet said : some of the portends of the ' Hour ' will be that ignorance will prevail and knowledge will decrease, and adultery and drinking intoxicants will prevail).

Drinking liquors or using intoxicants is a great sin. The punishment prescribed, in Islamic penal law, for this sin is whipping, which may consist of as many as eighty lashes. This punishment was practised in the time of the Prophet. It is related in Sahih Al–Bukhari :

« إن النّبى صلّى الله عليه وسلم أتى نُعيمان وهو سكران فشقّ عليه ، وأمر من في البيت أن يضربوه بالجريد والنعال » .

(البخارى)

(A person called Nuaiman was brought to the Prophet in a state of intoxication, and it distressed him and he ordered those who were in the house to beat him, and he was beaten with palm stalks and shoes).

It is further related in Sahih Al–Bukhari :

« عن السائب بن يزيد قال : كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم وإمرة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين ، حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين » .

(صحيح البخارى)

(We used to strike the drunks with our hands, shoes, garments, during the lifetime of the Prophet, AbuBakr and the early part of Umar's caliphate. But during the last period of Umar's Caliphate he used to give (the drunk) forty lashes, and when they behaved inordinately and transgressed limits he used to scourge them eighty lashes).

Punishment must be inflicted without respect of persons, nor should mediation be accepted in such cases. When, in the case of a woman who was guilty of theft, some people sought to intercede on here behalf, since she came of a good family, the Prophet was enraged and said :

« أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب ، فقال : يا أيها الناس ، إنّما ضلّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشّريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدّ ، وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

(صحيح البخارى)

and in most of the countries, there is a partnership between the sexes in work, in sports and war. Many of the old restraints, have been removed thereby, and men and women may be seen drinking together in public. While millions of people go to bed hungry every night, the destruction of food goes on to prepare wines, beer and spirits. The idea fostered by the manufacturers of alcohols that alcoholic drinks are nourishing is totally false. Alcohol is a cell of poison for human beings; it first destroys every organ of the body which becomes less healthy during the intake of even a small dose; larger repeated doses may cause complete breakdown, severe, even fatal illness. " Continuing, Miss Heath said, " Alcohol is responsible for 23 to 30% of male admission to mental hospitals. Dr. Herlich, of Lausanne, found that out of 86 epilepsy cases, 50 had alcoholic heredity; 60% of all motor accidents admitted into larger hos pitals during the evening and over the weekend involved drivers who had taken alcohols. Cells of the brain which are effected by the alcohol shrink 20% of their normal size. " No statement is more convincing.

No worries are overcome by drinking alcohols. On the contrary, drinking alcohols increases them and deprives man of every power to have sound thinking. Alcohols effect the mind and in most cases give man or woman false courage and make them adopt wrong approaches to life. Islam wants to inspire true courage into its followers and dislikes the reckless daring which man shows under the influence of intoxicating liquors and which has so often led to acts of crimes.

According to a Hadith reported by Imam Muslim, the use of alcohols as medicine is prohibited. (This report says : Tariq bin Suwaid was ordered by the prophet not to make liquor, and when he said that he made it to be used as a medicine, the Prophet replied that it was not a medicine but a disease. (Sahih Muslim 36 : 3).

It also recalled that trading in intoxicants is definitely prohibited in Islam. It is reported by Imam Bukhari that the Prophet said :

« حرّمت التجارة في الخمر » .

(البخارى)

(Trading in intoxicants is prohibited).

It may be added here that when the use of intoxicants is no longer permitted it is indeed necessary to prohibit both the preparing of it and trading in it.

(That which a large quantity intoxicates, even a small quantity of it is prohibited).

The change which the prohibition of intoxicants brought about in Arabia, will always remain a riddle to the social reformer. The constant fighting of Arab tribes, one against the other, had made the habit of drink second nature to the Arabs, and wine was one of the very few objects which could furnish a topic to the mind of an Arab poet. Intoxicating liquors were the chief feature of their feasts, and the habit of drink was not looked upon as an evil, nor had there ever been a temperance movement among them, the Jews and the Christians being themselves addicted to this evil. Human experience with regard to the habit of drink is that of all evils it is the most difficult to be uprooted. Yet one word of the Holy Quran was sufficient to blot out all its traces from among a whole nation, and afterwards from the whole of the country as it came over to Islam. History cannot present another instance of a wonderful transformation of this magnitude brought about so easily, yet so thoroughly. It is to be added here that the remark that the moderate use of wine is allowed and that only drinking to excess is prohibited, according to some people, is absolutely without foundation. The Prophet's Companions never made use of a drop of wine after the prohibition was made known, and the Prophet is reported to have said : " A small quantity of anything of which large quantity is intoxicating is prohibited ".

Some people may claim that intoxicants warm up the body in cold climates. The intoxicants may warm the body but for a short period after which the body returns to its normal temperature.

There is no doubt that alcohols are the main cause of all sins and crimes. The civilized world had come to realize this fact, and a glimpse of the advanced countries will show how the spirits have caused degeneration of the society there and how their nations have sunk from former exellence and reverted to an imferior quality of people. The European reformers have already realized that alcohols are their worst enemy and they are continually warning their people against its danger. A large number of people die of alcohol in these countries and even their womenfolk have become addicted.

In a lecture delivered at the Albert Hall in London, in 1945, Miss. Muriel G. Heath, A famous British social worker, said : " The pest of modern civilization is alcohol. One who is addicted to drink is like a car broken from its fastening which no longer obeys; it can neither control nor be controlled. He is like a house without a beam; the main support is being missing. In the last fifty years, the relationship between men and women has undergone a change,

It was more of a recommendatory nature as it only says that the disadvantages of the use of intoxicating liquor preponderate over their advantages.

The third stage was that in which the Muslims were prohibited from going to prayer while drunk. On this point the Quran says :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون .... » .
(النساء ٤٣) .

It means : O you who believe ! Do not approach the prayer when you are intoxicated until you know what you say..... " (4 : 43).

In the fourth and the final stage intoxicating liquors were definitely and totally forbidden, by the proclamation quoted in the first paragraph of this article. (5 : 90). It is reported by ' Bukhari ' that the people who heard the proclamation emptied their stores of liquors immediately, so that liquors flowed in the streets of Madinah.

Hence, there are two important points to be cleared in this connection : The first point is that Khamr is prohibited on account of its intoxication, and other intoxicating things are therefore also forbidden. It is stated in a ' Hadith ' reported by ' Bukhari ' :

« فما أسكر فهو حرام » .
(البخارى) .

(Every intoxicant is prohibited).

It is further related in a Hadith, reported by Imam Muslim that :

« كل مسكر خمر وكل خمر حرام » .
(صحيح مسلم)

(Every intoxicant is Khamr and every Khamr is prohibited).

The second point is that when a beverage or any other thing becomes intoxicant, even a small quantity of it, that could not intoxicate, is not allowed. It is reported in a Hadith quoted by Abu Dawud in his ' Sunan ' :

« ما أسكر كثيره حرم قليله » .

from other things besides grapes, is clear from the 'Hadith' quoted by AlBukhari (4 : 74) from Umar (May Allah be gracious to him) which says :

« إنه قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء : العنب والتمر والحنطة والشّعير والعسل .... »
(صحيح البخارى) .

"...... Khamr, when prohibited, was made of five things : grapes, dates, wheat, barley, and honey".

The prohibition of intoxicants came in four stages : In the first stage it was spoken of in depreciatory terms towards the close of the Makkah Period, when the Quran stated :

« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون سكراً ورزقاً حسناً ... » .
(النحل ٦٧) .

It means : " And from the fruits of the date palms and the grapes you obtain intoxication and goodly provision" (16 : 67). Intoxication is here spoken of in contrast with goodly provision.

The second stage in the prohibition, contained in the first long chapter pevealed at Madinah :

«يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ... » .
(البقرة ٢١٩) .

It means : " They ask you about intoxicating liquors and games of chance. Say, in both of them is great sin and some advantages for people, and their sin is greater than their advantages" (2 : 219).

ISLAM TOTALLY AND DEFINITELY PROHIBITS ALL KINDS OF INTOXICATING DRINKS AND DRUGS.

By :

Dr. MOHIADDIN ALWAYE

Prof. ISLAMIC UNIVERSITY,
MADINAH.

Proclaiming the definite and final prohibition of intoxicants and alcoholic drinks the Holy Quran says :

« ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

(المائدة ٩٠ - ٩١)

It means : " O, you who believe ! Intoxicants and gambling (games of chance), sacrificing to stones set up and dividing by arrows are only uncleanliness, the devil's work; so shun it that you may succeed. The devil wants only to create enmity and harted among you by means of intoxicants and gambling (games of chance), and hinder you from the remembrance of Allah and from prayer. Will you not then abstain ? " (5 : 90 – 91).

The forbidden intoxicants and alcoholic drinks spoken of here are termed as ' khamr '. According to Arabic lexicology the root word of ' Khamara ' means to veil or cover or conceal a thing. From the same root is ' Khimar ' which means a woman's head–covering. The Intoxicating liquor is called ' Khamr ' because it veils the intellect. It has common application to any fermented juice of anything, and by further analogy it applies to any intoxicating liquor or drunk that clouds or obscures the intellect.

The intoxicating liquor prohibited in the Holy Quran allows no distinction between the wine or the fermented juice of the grapes, and the intoxicating juice of anything, or any intoxicating thing that obscures the intellect. ' Khamr ' was forbidden when there was not in Madinah any ' Khamr ' of grapes. The beverage of its inhabitants was prepared only from dates and it was sometimes prepared from grains. The wider sense of ' Khamr ' as prepared

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MONAWWARAH

RABI'E THANI – JUMADA ULA –
JUMADA THANI 1402 A. H.

Special Issue

54

14 th Year